

A B D O U L L A   B I N   A L I   A L - R O S T O M

دراسات  
RESEARCHES



# الدكتور عبد الحادي الفضلي بين الضوء والظل

عبد الله بن علي الرستم

طبع في

OPUS  
PUBLISHERS

فيolin



# الدكتور الفضلي بين الضوء والظل

إعداد: عبد الله بن علي الرستم



**الدكتور عبد الهادي الفضلي**

---

**بين الضوء والظل**

إعداد:

عبد الله بن علي الرستم

جميع الحقوق محفوظة  
الطبعة الأولى  
م ١٤٣٦ - هـ ١٥٢٠

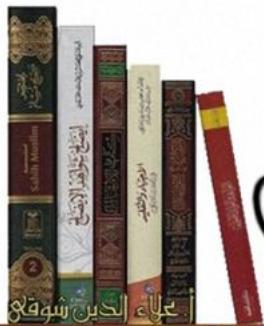
توزيع دار الرافدين



دار الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع  
بيروت، لبنان  
هاتف: ٠٠٩٦١ ١٥٤١٩٨٠  
E-mail: daralrafidain@yahoo.com



اطياف للنشر  
هاتف / فاكس: ٨٥٤٩٥٤٥ (١٢) ٩٦٦  
القطيف - شارع القدس  
منب ٦١٢١٥ القطيف  
الململكة العربية السعودية  
E-mail: atiyaf-pd@hotmail.com



مَكْتَبَةُ  
لِسَانِ الْعَرَبِ

[www.lisanarb.com](http://www.lisanarb.com)



# عبد الهاדי الفضلي .. بين الضوء والظل

## ■ كلمة منتدى السهلة الأدبي ■

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذا ملف تكريمي، يحتوي على مجموعة الندوات والكتابات التي أحياناً المنتدى بدءاً من العام ١٤٢٨هـ. وهي جهود مشتركة تعبر عن لون من ألوان القراءة والكتابة المشتركة، والتأليف الجماعي، وهي ظاهرة عرفها المجتمع العربي قديماً، ولكن على قلة وندرة.

## □ الكتابة المشتركة في المجتمع العربي

فقد اشتهر الأخوان الشاعران أبو عثمان سعيد (ت ١٤٣٧هـ)، وأبو بكر محمد (ت ١٤٣٨هـ)، ابنا هاشم بن وعكة بن عرام بن عثمان بن بلال الموصليان الخالديان بالتأليف المشترك، فقد ألفا القصائد والكتب بالتعاون بينهما، وكذلك اشتهرت في الفكر العربي ظاهرة التأليف الجماعي على يد (جماعة إخوان الصفا وخلان الوفا)، وأشتهرت رسائلهم وكتاباتهم المشتركة. وقد عُذ عبد الله بن المفع (ت ١٤٢هـ) بأنه من (إخوان الصفا). ومن التأليف المشترك (تفسير الجلالين)، نسبة

إلى جلال الدين المحلي (ت ٨٦٤هـ) وجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)؛ فقد بدأ جلال الدين المحلي في تفسير سورة الكهف حتى الانتهاء بسورة الناس، ولما شرع في تفسير سورة الفاتحة وافاه أجله، ثم تعهد جلال الدين السيوطي بإتمام التفسير، فبدأ من سورة البقرة حتى الانتهاء عند سورة الإسراء، فتم (تفسير الجلالين)، وهو تفسير مشهور منتشر بين أيدي الناس.

#### □ الكتابة المشتركة في المجتمعات الأخرى

وقد عرفت الكتابة المشتركة في الأدب والفكر الغربي، واشتهر في الأدب الفرنسي المثل: «الكتابة بأربع أيدي»، حيث يعبر هذا المثل عن التأليف المشترك، والكتابة الجماعية في فنون الأدب والفكر.

#### □ الكتاب في انتمامه إلى مجال الكتابة المشتركة

إننا في هذا الملف التكريمي لا ندعى شرف الكمال، ولكننا ندعى شرف المحاولة. وهذا الملف لا ندعى له بأنه يرتقي إلى مصاف الكتب الإنجازية في دراسة شخصية الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي، ولكن حسبه أن يكون محاولة مشتركة لمقاربة المنجز المعرفي الذي قدمه الدكتور عبد الهادي الفضلي.

وما ينبغي التأكيد عليه - أخيراً - بأن هذه الموضوعات والتعليقات والأفكار المطروحة تعبر عن رأي كتابها، الذين بذلوا جهد الكتابة ومحاولة قراءة تجربة الدكتور الفضلي العلمية والفكرية، فلهم الشكر والتقدير أولاً وأخيراً. والشكر موصول، أيضاً، للأخ عبد الله علي

الرسم الذي بذل جهد التحرير والجمع والكتابة، فهو لم يأل جهداً في تبني هذه الكتابات المختلفة وتحريرها، فقد كان داعياً وساعياً في ضرورة كتابتها ونشرها، فله الشكر والتقدير أولاً وأخراً.



## مقدمة

---

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين ..

يعدُّ الدكتور عبد الهادي الفضلي من أعلام الفكر البارزين على مستوى العالم الإسلامي في الفترة الراهنة؛ وذلك لما له من دور بارز على عدة جهات، سواءً في المجال العلمي أو العملي. ونظرًا لأن شخصية الدكتور الفضلي من الشخصيات البارزة، فقد اتسمت بسمات كثيرة يعرفها من اختلط معه أو قرأ ترائه المتنوع. فمن السمات البارزة في حياته: أنه صاحب عطاءً متجددًا، ونفسٌ طويلٌ، وخلقٌ راقٍ فيها يتعلّق بأدبيات الكتابة، واستيعابٌ للقضايا التي يتناولها. ويعمل لأجل قضيته ومبادئه التي آمن بها، مع احترامه للأطروحات المختلفة التي لا يتفق معها.

وقد صدرت دراسات عدّة تتحدث عن مشواره العلمي، وعطائه

غير المتوقف، سواءً على صعيد التعليم الحوزوي أو التعليم الجامعي، ذلك أن همه الوحيد هو توظيف الأطروحة العلمية وفق أطر تتناسب مع معطيات العصر، سواءً من حيث اللغة أو الأسلوب. ولعل ترائه البالغ أكثر من ٧٠ كتاباً ودراسة يثبتان ذلك.

والصفحات المائلة بين يديك - قارئنا العزيز - هي دراسات تقدم بها مجموعة من الباحثين ليستنبطوا هذا التراث العظيم، حيث خُصصت جميعها لهذا الجانب، ومن أراد ترجمة العلامة الفضلي فهي مبثوثة في مصادر أخرى مختلفة، وعلى بعض صفحات الشبكة العنكبوتية.

وقد أخذ «منتدى السهلة الأدبي» بقرية الطرف في محافظة الأحساء على عاتقه الاحتفاء بهذه الشخصية على مدى خمس سنوات، وذلك بتنظيم جلسة سنوية مخصصة باسم الدكتور الفضلي، وذلك في العاشر من شهر رمضان المبارك، حيث يصادف هذا التاريخ ذكرى ميلاد الدكتور الفضلي - عافاه الله<sup>(\*)</sup>. بحيث يتم استكتاب الباحثين بجميع اهتماماتهم للتتحدث عن بعض الجوانب المرتبطة بشخصية العلامة الفضلي، وذلك للتعریف بعطائه العلمي، وسيرته الحافلة بأحداث تاريخية. وقد بقیت تلك الأطروحات حبيسة الأدراج، وكنتُ فيمن شارك حضوراً وكتابةً في الاحتفاء بهذه الشخصية العلمية التي نظمها منتدى السهلة، وتقدّمتُ باقتراح للإخوة المشرفين على المنتدى بأن

---

(\*) تم إعداد الكتاب قبل وفاة الشيخ ~~نهج~~ بعام.

الأوراق يجب أن تظهر للنور؛ ليتم التعرف على تلك الأطروحتات المقدمة، وحتى لا يذهب هذا النشاط السنوي هباءً مثواً. وكان الإخوة منشغلين بأمور أخرى، فاقتربوا أن أتولى أمرها، وأبديت استعدادي من اللحظة الأولى في صفت حروفها وتفريغ المسموع منها حتى كانت بهذه الصورة. ولا أنس جهد الأستاذ / حسين منصور الشیخ في تواصله ومراجعته الكتاب قبل الطباعة، فله وافر الشكر والتقدير.

أرجو أن تكون هذه الأوراق المقدمة تشكل مساهمة فعالة في التعريف بتراث العلامة الفضلي العلمي، علماً بأن هذه الأوراق لا تمثل وجهة نظر منتدى السهلة، بل هي بحوث تمثل وجهة نظر كاتبيها، وقد اقتربت تسميتها بـ «الدكتور عبد الهادي الفضلي .. بين الضوء والظلل».

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل

عبد الله بن علي الرستم  
الأحساء، قرية الطرف

رمضان ١٤٣٣ هـ



الموسم الأول

## الشيخ الفضلي الشخصية الاستيعابية

سماحة الشيخ محمد العباد

رمضان ١٤٢٨ هـ

- افتتاحية الندوة
- الشيخ الفضلي الشخصية الاستيعابية
- مدخلات الجمهور



## افتتاحية الندوة

١٤٢٨ هـ



في هذه الليلة المباركة، في ليلة من ليالي شهر رمضان المبارك، نفتح هذه الجلسة التي نطمح أن تكون إحدى الليالي التي تستفيد فيها من عطايا هذا الشهر الكريم في الاحتفاء بالشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي من خلال استثمار (عطاء الذكرى). ولكي تكون أوفىاء لجهود هذا (الفقيه المثقف)، علينا أن نكون قراءً لكتبه ودراساته وعطاءاته المختلفة.

نستثمر هذه الليلة المباركة بحضور فضيلة الشيخ محمد العباد في ندوة تشارك فيها الحديث معه حول جوانب من شخصية الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي، وقد اختار الشيخ محمد العباد أن يتحدث عن بعد الاستيعابي في شخصية المحتفى به، بوصفه شخصية مفتوحة على أبعاد الحياة المختلفة فكراً وثقافةً وحضوراً اجتماعياً وإنسانياً.

إن انحياز الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي للخيارات التي تستوعب نبض الواقع الاجتماعي، منحه فرصة التواصل الخلاق مع أطياف المجتمع، واستيعاب متطلباته، وهذا منحه فرصة طرح محاضراته التصيفية بوعي حاد، وفكرا ملتزم بالمنهج العلمي، والشعور بالمسؤولية الأخلاقية تجاه الطرح المغاير المأهول للتغيير الاجتماعي الوعي.

يتفضل الآن فضيلة الشيخ محمد العباد؛ ليحدثنا عن شخصية الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي - حفظه الله - وعن منهجه «الاستيعابي» في فهم الواقع ومتطلباته .. فليتفضل مشكوراً<sup>(١)</sup>.

---

(١) الفاتحة لروح السيد مرتفع العسكري، حيث تزامنت هذه الندوة مع وفاته - رحمه الله تعالى، حيث توفاه الله في ٤ من شهر رمضان ١٤٢٨هـ.

## الشيخ الفضلي .. الشخصية الاستيعابية

■ الشيخ محمد العباد ■



وأنفصل الصلة وأتم التسليم، على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا ونبينا وشفيع ذنوبنا أبي القاسم محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين المعصومين.

أبدأ كلامي بالذكر بالحديث المشهور عن النبي الأعظم صلوات الله عليه أنه قال: «العلماء ورثة الأنبياء»<sup>(١)</sup>، وكما هو متفق عليه أن يكون الحديث والكلام عن جوانب متعددة في هذه الشخصية الفذة الكبيرة العلامة آية الله الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي - أطال الله عمره، ومن الله سبحانه وتعالى عليه تمام الصحة والعافية.

وما أتصوره أن كل نقطة ما هو مقترح أن يكون الحديث عنها بحاجة إلى كلام مفصل ومحاضرة مستقلة، وإلى متابعة حتى يمكن

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج ١ / ٣٢، باب صفة العلم وفضله وفضل العلماء.

إعطاء ساحة الشيخ حقه في هذه النقطة أو تلك. لذلك اخترت أن يكون موضوع الحديث تحت عنوان: «العلامة الفضلي والشخصية الاستيعابية»، ويمكن من خلال هذا العنوان أن تتحدث عنها هو مقتراح من النقاط أو بعض النقاط عن هذه الشخصية الكبيرة، ذلك أنّ مما تميّز به ساحة الشيخ أنه شخصية استيعابية وشخصية موسوعية بكل ما للكلمتين من معنى، ويمكن أن أشير إلى مصداقية هذا العنوان على هذه الشخصية في نقاط عديدة:

#### □ الأولى: الجمع بين الحوزوية والأكاديمية

الشيخ الفضلي شخصية استيعابية من خلال ما أفاده سيرته من الربط بين العلوم الحوزوية والعلوم الأكاديمية، والاهتمام في كلا الجانبيين، وكذلك التوازن العلمي فيما بينها من مشتركات، بحيث أخذ من كلا المنهجين ما يكامل به الآخر. وقد امتدت خبرته في المجال الأكاديمي ما يقارب سبعة عشر سنة في جدة، وقبل ذلك كانت دراسته بكلية الفقه بالنجف الأشرف التي أسسها الشيخ المظفر حـ، فدرس فيها، ثم عين أستاذاً ومحاضراً في الكلية نفسها. وبعدها خرج من العراق، وعيّن محاضراً بجامعة الملك عبد العزيز بجدة، ابتعث إلى مصر لينال فيها شهادة الدكتوراه.

وفيما يرتبط بدراساته الحوزوية، وصل إلى المرحلة التي هي عادة آخر مطاف يمكن أن يصل إليه طالب الحوزة وهي مرحلة الاجتهداد. وفي حينها كان من العلماء الحوزويين القلة الذين عُرِفوا بدراساتهم الأكاديمية، بحيث يجمعون بين الاجتهداد الحوزوي، والدكتوراه

الجامعية. وهذا ما أضاف إليه ميزة من المميزات التي يتمتع بها. وكان الجمع بين المجالين والوصول فيها إلى أعلى المراتب بعد حالة استيعابية: فاستوعب علوم الحوزة إلى درجة التخصص العالي، واستوعب العلوم الأكاديمية إلى مرحلة التخصص العالي أيضاً. وهذه الميزة الاستيعابية انعكست على دوره الميداني والعملي، فاستطاع من خلالها أن يُثري الحوزة بما تمنع به من مستوى علمي في كتاباته الحوزوية، في مناهج ومقررات الأصول والفقه، وعلم الكلام، وكذلك في الجانب التنظيري والتأسيسي على شكل دراسات في مسائل كثيرة كما سبّأ الإشارة إلى بعضها، فكتب حول دور المرأة، ومكانتها، وهل للمرأة أن تتبوأ مراكز ولائية، وهو ما يعني: ولايتها العامة في المجتمع المسلم وتبوؤ المناصب القيادية فيه.

لقد انعكس تخصصه في العلوم الحوزوية عليه، بحيث كانت له مثل هذه الاهتمامات المميزة التي ربما لا نجد لها في كثير من علماء الحوزة، ولا شك أن لاستيعابه للمجال الأكاديمي انعكاس في أن يتبعه منحى حقيقةً مميّزاً حتى في اهتماماته الحوزوية، فتبني رعاية جامعات أكاديمية في الحوزة، مثلاً، كما هي الحال مع «جامعة آل البيت العالمية» في قم، التي رعاها و كان وراء إنشائها، وتبني خطتها الدراسية، ولا شك أن القائمين على هذه الجامعة كانوا في تبنيهم لهذه المسؤولية تحت إشراف سماحة الشيخ، واختياره - أطال الله عمره. وهي من الجامعات المميزة في اهتماماتها الحوزوية على مستوى المؤسسات العلمية في الحوزة القمية، وهذا ما لمسته عن قرب عندما تشرفت بزيارتها، فأثار إعجابنا ما شاهدناه من تطور مناهجها، والشهادات التي

تمتع للخريجين من هذه الجامعة، وما ذاك إلا انعكاس لاستيعاب شخصية ساحة الشيخ للجانبين الحوزوي والأكاديمي.

كما انعكس ذلك في علاقاته مع الجامعات على اختلافها في العالم، حيث تجاوز الشيخ كونه عالم دين في حدود المجتمع الإمامي، كما تجاوز باعتباره شخصية أكاديمية ححدود عالمنا العربي، فكان أكبر وأرقى من أن يحده أو يضيق دائرة في حدودها الضيقة. فعندما يتبع الإنسان علاقاته بالجامعات، تجده على علاقة مع الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية في لندن، بل كان من رعاتها ومؤسساتها، فكان إما محاضرًا بصورة مباشرة، كما في سنوات تأسيسها الأولى، أو عبر التسجيل المرئي، وقد ظل على تواصل دائم مع القائمين عليها حتى سنواته الأخيرة. وقد أفاد الكثير من الطلاب في حاضراته ودورسه تلك، وقد كان لساحة الشيخ دور كبير في مراجعة الدراسات التي يقدمها الطلاب المتسبون، بحيث يُمنحون شهادات التخرج من هذه الجامعة.

وأكثر من ذلك، فهناك جامعات غير معروفة بأنها إسلامية، وهي أكاديمية محضة، كجامعة اسكوا في شمال نيجيريا، كانت على علاقة وثيقة جداً بساحة الشيخ. ولذلك عندما يتبع الإنسان مراسلاته مع هذه الجامعة وغيرها من الجامعات الأخرى، يجد بأن هناك علاقة علمية متواصلة أكاديمية بينه وبين هذه المؤسسات ورجالاتها من المتخصصين والأساتذة من تخرجوا في هذه الجامعات.

#### □ الثانية: استيعاب الآراء المختلفة

يستغرب الإنسان عندما يقرأ مثلاً كتاب «خلاصة علم الكلام»،

فيظن، من عنوانه، أنه مجرد مصطلحات وتعريفات وإشارات إلى بحوث في علم الكلام؛ ولكن ساحة الشيخ في هذا الكتاب تراه موسوعياً فيها يطرح ويتناول من آراء مختلفة في النظريات التي يذكرها ويطرحها، وهذا معنى أنه في بحثه أو تبعه أو أطروحته هو شخصية مستوعبة لأراء الآخرين. قرأتُ له بحث حول «السلام مع إسرائيل» الذي نشر في إحدى الدوريات الثقافية، ذلك أن من يقرأ العنوان للبحث يظن أنه بحث في التحليل السياسي المحسن، والموقف الإسلامي العام من مسألة الكيان الصهيوني، فيطرح رأيه كما يطرح الكثير من المفكرين والمتقفين والعلماء وغير ذلك، ولكن القارئ يكتشف أن ساحة الشيخ يطرح هذا البحث طرحاً علمياً استدللاً مسليعاً لأراء أئمة المذاهب الإسلامية على اختلافهم. فيطرح رأي أبي حنيفة، ورأي الإمام أحمد بن حنبل، وقبل ذلك روایات أهل البيت عليهم السلام، ثم يطرح آراء علماء ليسوا أئمة للمذاهب، ليستخلص بعد كل هذه الجولة العلمية الموقف من خلال دراسته واستيعابه لأراء العلماء في عدم جواز السلام مع إسرائيل.

إن استيعاب آراء الآخرين ونظرياتهم يعطي مزيداً من إقناع القارئ، بحيث لا يكون منشأ الرأي الانفعال، أو الموقف السياسي، أو الظرف الآني، وإنما منشأ نظريات متجلدة في الفكر والفقه الإسلامي، كما أنه يستند على آراء يشارك فيها معه علماء آخرون، وأن القائل بهذا الرأي لم يتعصب جهة لانتسابه إليها، وإنما ذهب إليه بعد ما استعرض جميع الآراء الأخرى المختلفة.

### □ الثالثة: استيعاب جميع نقاط البحث

عندما يطرح أحد الباحثين نقطة ما، قد تغيب عنه نقاط عديدة يكون البحث بحاجة إليها. فلو أن شخصاً أراد أن يكتب مثلاً: عن الاستقلال السياسي، يمكن أن يطرح البحث دون الإشارة إلى معنى الاستقلال السياسي، وكان القارئ عنده خلفية تامة حول معنى الاستقلال السياسي، أو قد يترك الإشارة إلى تاريخ الاستقلال السياسي. وهذا ما لا تجده عند الشيخ الفضلي، فعندما قرأت له بحثاً حول «الاستقلال السياسي»، وإذا بسماحته يبحر بالقارئ، من أول ما يحتاجه الإنسان للدخول في مثل هذا البحث، إذ ذكر معنى «الاستقلال» ثم كلمة «السياسي»، ماذا تعني السياسة، وبعدها تاريخ طرح مثل هذا البحث. وأخذ يتناول الاستقلال حتى في المجالات اللغوية، فطرح أمثلة عندما يقال: استقل الطير، استقلت القافلة، فأنت عندما تدخل وتريد أن تصلك إلى ما يريد أن يوصلك إليه ساحة الشيخ، تصلك وعندك مقدمات، بحيث لو أبحرت في الموضوع، لا تبحر دون أن يكون لديك وسائل لفهم كيف تبحر، إنما تبحر وعندك الوسائل، ربما قد يوجد عندك استفسار وعنده شبهات، وساحة الشيخ لا تخرج من البحث إلا والبحث تامٌ في كل جوانبه، أبحرت في هذا الموضوع، وخرجت باللآلئ، وما أردت أن تُبحر من أجله في هذا الموضوع.

### □ الرابعة: الجمع بين الإلقاء والكتابة

قلة من العلماء من جمع منهم بين المستوى العلمي الذي استطاع أن يوصله إلى المتلقى عن طريق الخطابة والإلقاء وعن طريق الكتابة

والتدوين. ولبيان هذه النقطة أشير إلى أننا كنا في أيام الحج في بعض السنوات، نحن نسمع بأن هناك شخصية علمائية كبيرة من المؤلفين، لها دورات في الكتب ومؤلفات كثيرة، عندما تستدعيه للقاء محاورة أو كلمة، تتوقع منه أنه يبح في أسلوبه الخطابي وبيانه كما يبح في قلمه، وإذا العكس بالعكس، ربما من يأتي ويستمع لخطابه ولا يعرف قلمه، يقول أصلاً هذا ليس بعالم وليس بخطيب، يفتقد أبسط آليات الخطابة الناجحة، وفن الخطاب الناجح، لكن ساحة الشيخ كما هو معلوم عند الجميع، يبح في علمه من خلال الجلسات المباشرة والحديث معه، أو قراءة كتاباته ومؤلفاته. فيجد بأنه عالم وفذ، وعندما يستمع لمحاضراته، فهو ذلك الخطيب المفوه، الذي يجلب الكثير من الجماهير، سواء كانوا كبار سن أو شباباً، أو صغاراً.

عندما يكتب ساحة الشيخ ويدون، فترى في كتابته ذلك القلم السرّال، الذي يقرأ له المجتهد ويقرأ له المتفق، ويقرأ له الأكاديمي البسيط، والحوزوي البسيط أيضاً، فيدرك ما كتب. وكذلك من يحضر محاضراته يدرك ويفهم ماذا يقول، ذلك أن الخطيب الجيد هو الذي ينزل إلى مستوى الجماهير ليأخذهم إلى مستوى. وهو ما يشير إلى أن الشيخ كان مستوعباً للعلم ولآليات إيصاله من خلال فن الخطابة الذي يتميز به، ومعه فن الكتابة.

ففي حاضراته، يبدأ بإعطاء مقدمة تعريفية ببعض المصطلحات التي يكون المستمع بحاجة إلى أن يفهمها قبل نقاط المحاضرة الأساسية، ولربما يستعين في بعض الأحيان بكلمات أجنبية مرادفة أو مترجمة لهذه الكلمات، أو لكلمات عربية مرادفة للكلمة التي يريد أن يوصل معناها

للمستمع. ومن أمثلة ذلك محاضرة له حول ولاية الفقيه بدأها من خلال تفسيره أولاً لمعنى ولاية، ثم لمعنى فقيه، وبعد ذلك أخذ يبح في تناول الموضوع من جوانبه الأخرى، كالاستدللالات الفقهية وأراء العلماء، وتاريخ طرح ولاية الفقيه، إلى أن يخرج بتبيّنة واضحة جدًا تقنع المستمع والشاهد لما يريد سماحة الشيخ أن يوصله من فكِّ سليم وصحيح إلى الآخرين.

#### □ الخامسة: استيعاب شرائح جماهيرية واسعة

فالعلماء الحوزويون والمثقفون والشباب وكبار السن، والمرأة، وغيرها من الشرائح والطبقات الاجتماعية عرف هذه الشخصية معرفة قوية من خلال قراءة فكره وكتبه المتنوعة، ومن خلال دوره وتعامله الأخلاقي المنفتح على الآخرين.

هناك بعض الشخصيات سواء علمائية أو غير علمائية تسعى كثيراً إلى تبني بعض المشاريع الاجتماعية ليكون باسمها الخاص، ليقال فلان من تبنى هذا المشروع أو ذاك، بل يسعى البعض لينتقل المشروع ولو بالوراثة، فلان أقام المشروع، وبالتالي لابد لهذا المشروع، أن يبقى كأنه ملك له. وهو ما أفقد بعض الشخصيات سمة استيعاب المجتمع على اختلاف شرائحه. سماحة الشيخ تميّز بأنه لا يتبنى مشروعًا مباشرًا فلم نسمع بأنَّ هناك مشروعًا ما أو مسجداً أقيم أو حوزة أقيمت .. أو غيرها من المشروعات وكان له الدور المباشر في ذلك المشروع، وإنما كان يدفع الآخرين إلى تبني المشاريع على اختلافها، وكان يرفض أن يكون مشروعًا ما باسمه، فحتى الجامعة التي أشرتُ إليها، وهي جامعة آل

البيت العالمية في قم المقدسة، على الرغم من أنها برعايتها ساحتة، وهو الذي دفع باتجاه إقامتها، وهو الذي لا يزال على تواصلٍ مستمرٍ مع القائمين عليها، لكن الكثير إلى الآن لا يعلم بأن هذه الجامعة هل هي للشيخ أو باسم الشيخ أو غير ذلك؛ لأنها شخصية لا تزيد أن تنطوي في دائرة معينة، أو في مشروع معين، أو في فئة معينة إطلاقاً. فالشيخ الفضلي شخصية استواعت الساحة على الرغم مما فيها من اختلاف كبير في الانتهاءات، سواء انتهاءً تقليدية، أو سياسية، أو اجتماعية.

ساحة الشيخ كان، ولا يزال، شخصية مستوعبة؛ لذلك أحبه الجميع، المخالفون له في آرائه، والموافقون له. يأتي له المثقف فيستقبله، ويكتب له مقدمة، كما أن طالب الحوزة يقصده كذلك، وعالم الحوزة الذي ربما يخالف ساحة الشيخ في كثير من الأمور، مع ذلك يستقبله ساحة الشيخ بكل رحابة صدر، وعلى استعداد تام أن يقدم له مادام ذلك في صالح المجتمع، وصالح الحق وصالح الإسلام.

#### □ السادسة: حلقة وصل بين القديم والحديث

ساحة الشيخ شخصية استيعابية من خلال كونه حلقةً وصل بين التراثِ القديم الأصيل، وبين ما يمكن أن يدخل في دائرة التجديد، فاستوعب النظريات الأصيلة والفكر الأصيل، كما استوعب ما تحتاجه متطلبات العصر، فاستطاع أن يجمع بين الأصالة وبين المتطلبات المعاصرة.

وأعطي لذلك مثلاً: عندما طرح موضوع المرأة في بحثٍ مفصل حول أحقيتها في تولي مناصب ولاية، تناوله في البداية من خلال

الحديث عن تاريخ المرأة، وتأثير الوضع القائم للمرأة على الرأي الفقهي؛ لأنه من المعلوم أن الرأي الفقهي عند أكثر العلماء أنه لا يصح للمرأة تولي مسؤولية ولاية، من قبيل: رئاسة مجلس شورى، أو منصب القضاء، أو قيادة عسكرية عليها، أو غيرها من الأمثلة؛ لأنها منا صب ولاية.

ولذلك بدأ البحث من الناحية التاريخية، وأن المرأة في ذلك الزمان، لم تصل في مستواها العلمي ودورها الميداني إلى درجة بحيث تُنَاط بها مثل هذه المسؤوليات. وكان لذلك تأثير في الرأي الفقهي آنذاك. أما الآن، وقد أصبحت المرأة كالرجل فيها تعلمك من مستوى علمي، فدخلت الميدان العملي، وشاركت في ميادين عديدة، وهو ما أهلها لأن تكون كالرجل في قدرتها على تولي مثل هذه المناصب الولاية، والمسؤوليات الولاية.

وهو ما جعله يذهب إلى أنه «لا مانع من تولي المرأة مثل هذه المناصب، فهي حقيقة بها كما الرجل». فالشيخ في هذا البحث لم ينكر الرأي الفقهي القديم، ولم يقل بخطئه، ولم يهاجم العلماء، أو يتهمهم بقلة خبرة، أو الوعي، أو غير ذلك، بل على العكس من ذلك، إذ احترم ذلك الرأي، وقدره، ويرى له ما ذهب إليه، وعندما تبنى سماحته رأيا آخر، بناء على الوضع المعاصر، حيث واقع المرأة الجديد، وهو ما يتطلب - حسب وجهة نظره - حكمًا يتغير بتغير الموضوع، وتغيير واقع المرأة.

#### □ السابعة: الجمع بين التقليدية والحركة

استطاع الشيخ الفضلي أن يجمع بين العلاقة مع المرجعية كعلاقة

تقليدية، والعلاقة مع المرجعية كعلاقة حركة. وهذا ما نتبيه من أطروحته في كثير من البحوث والمحاضرات، إذ يفرق في كثير من محاضراته بين المرجعية التقليدية وبين المرجعية السياسية الولاية، التي عبر عنها بولاية الفقيه. فقد يحصل خلطٌ عند الكثير من الناس، سواء كان من الذين يقدسون المرجعية التقليدية، أو الذين يطمحون إلى تلك المرجعية السياسية الولاية. فيقول في عدة بحوث له: « بأنه لا مانع أن تكون هناك مرجعية تقليدية، عبادية كما يعبر عنها، وأن تكون مرجعية سياسية لولي من الفقهاء، لمن تكون له ولاية الفقيه)، مستدلاً في ذلك بسيرة العقلاة.

ذلك أن الناس في سلوكهم العقلاني يتعمون إلى فكر شخصية معينة، علمية أو فكرية أو أدبية، لكنه في الجانب السياسي يعطي ولاءه إلى مرجعية سياسية مغایرة.

وذلك لارتباط المسألة بالأهم والمهم، فقد يجد مرجعاً معيناً أعلم في المجالات العبادية، وفي المقابل يرى نقیها آخر أكثر دراية، وأكثر وعيًا بقيادة الأمور وإدارة الدولة، فلا مانع حينها، من تقليد كل منها فيما هو أعلم وأكثر تمرّساً وخبرة فيه. ولا تعارض في تلكما العلائقين.

فهنا استطاع ساحة الشيخ أن يكون نقطة لقاء والتقاء بين هاتين المدرستين، لا شك أن عندنا هناك مدرستان موجودتان، مدرسة تقول: لا نؤمن بولاية الفقيه، وأن الرأي رأي المرجعية التقليدية، ومدرسة أخرى تقول: لا بد أن نؤمن بولاية الفقيه، ولا بد أن يكون التقليد لمن له ولاية الفقيه.

ولكن ساحة الشيخ يذهب إلى أنه «ليس بالضرورة أن تجتمع المرجعية التقليدية والمرجعية السياسية الولاية»، وإن كان يجد ومن خلال رأيه بمرجعية ساحة آية الله السيد الخامنئي عملياً وحدة المرجعيتين في شخصية السيد القائد - أطال الله عمره -.

وهذا هو رأيه العملي التطبيقي، لكن رأيه العلمي هو عدم المنع من رجوع المكلف إلى مرجع ما في مسائل عبادية، وإلى مرجع آخر في الولاية العامة، التي يعبر عنها بولاية الفقيه.

#### □ الثامنة: الانشغال بملء الفراغات الملحة

ساحة الشيخ معروف أنه لا توجد عنده وكالات كما هي موجودة عند الوكالء لمراجع متعددين، مع أن ساحة الشيخ يرى في المرجعيات قادة للأمة، ويُتَشَرَّفُ أن يكون معييناً ويداً يمدداً لتقويتها فيها من شأنه أن يكون لصالح رفعة الإسلام، وبخاصة أتباع أهل البيت عليهم السلام. ولكن ساحتته يرى بأن الساحة مليئة بالوكالء، القرية والمدينة إذا لم يكن فيها وكيل واحد، ففي بعضها وكيلان وبعضها ثلاثة وكلاء، فلم يجد أن يشغل نفسه بأمرٍ هناك من يقوم به، فالوكلاء الموجودون يقومون بما يحتاجه المجتمع، وهم حلقة وصل بين المجتمع وبين المرجعيات.

لكن .. الملفت للنظر قبوله لوكالة ساحة آية الله السيد الخامنئي - أطال الله عمره -، وما أتصوره أن ذلك ليملأ فراغاً، سواء على مستوى المنطقة هنا، أو أوسع من ذلك، بما يشمل منطقة الخليج. كما أن قبوله لها لا يبعد أن يكون تبركاً بساحة السيد القائد، ليكون يدأ معيينة للقيادة والمرجعية المتمثلة في قيادة ساحة السيد الخامنئي - أطال الله عمره -.

ومع قوله لها، لا تراه ينافس الآخرين في وكالاتهم، أو يصارعهم في مرجعياتهم، بل يعمل إلى جانبهم وينشئ حتى عليهم، سوأة كمراجعات أو كوكلاه للمراجع.

ومثال آخر على اهتمام بملء الفراغات الملحقة، ما قام به من دور في ملء الفراغ الثقافي الذي كانت المنطقة بحاجة إليه، فقام بدور توعوي منذ أوائل سنواته التي تشرفت المنطقة بمجيئه إليها. فقام ساحة الشيخ بدور جبارٍ ملء هذا الفراغ في المنطقة، وأحدثَ قفزة قوية في المجال الثقافي والتوعوي، سوأة في الأنشطة المتمثلة في الاحتفالات أو على صعيد التأليف والكتابة، أو في المؤسسات والأنشطة الثقافية والاجتماعية.

وما أتذكّره في هذا الجانب، عندما تشرفت بصحبته في زيارة لأمريكا قبل ١٤ سنة تقريباً، حيث كان هناك موكب لأهل البصرة في ولاية ميشيغان، وطلب أهل البصرة أن يلقي ساحة الشيخ حاضرة بالمناسبة. وفي حينها، كان أهل البصرة المهاجرون يمثلون في أكثرتهم مجتمعاً بسيطاً فيها يتعلّق بالثقافة الدينية، وقد ألقى حاضرة قيمة عن تاريخ البصرة السياسي والثقافي والعلمي والاجتماعي، وبأسلوبٍ شيق، بحيث أنعش هؤلاء المغتربين البعيدين عن أهلهم والمتशوقين إلى أن يروا عالماً عربياً أو أي شيء يذكرهم بانتهائهم، وكنتُ لاحظ وجوههم وقسماتها المبتهجة وكأنهم في أسعد أوقاتهم وهم يصغون لمحاضرته.

وقد أتعجبت بلفته تلك، فما يتوقعه الإنسان من العالم الحوزوي أن يأتي لمجتمع من المغتربين ليتحدث عن الالتزام بالحجاب والصلة وغير

ذلك، والأمر بالتقى والاحتياط في أكل المطاعم، وغير ذلك، وإذا سماحة الشيخ لا يتطرق ولا يشير إلى أيٌّ من ذلك، وتناول كما ذكرت في موضوعه عن تاريخ البصرة.

فسألته بعدما أنهى محاضرته: «شيخنا، هذا الموضوع، متى ستحت لك الفرصة لتحضيره، والآن طلبوه من عندك؟؟»، فتبسم الشيخ شاكراً إطرائي على المحاضرة. فقد كان جميع ما ألقاه مما اختزنته الذاكرة، وذلك لموسوعية قراءته، وقد كانت هذه المحاضرة مثلاً حيّاً على ذلك.

وفي الختام، لا يسعني إلا الإشارة إلى أن هذه وقوفات قليلة مما يمكن تناوله عن هذه الشخصية العظيمة، فقد أثرى الساحة الفكرية والمحلية، وهو ما استوجب الاحتفاء بها في أكثر من ساحة، وكتب عنه الكثير، وُطّرت شخصيته في مهرجانات وندوات عديدة، مع أنه منها طرح وذكر عن سماحة الشيخ، يبقى الكثير الذي لا يزال مخفياً، وإن شاء الله تظهر السنوات القادمة معلم كثيرة عن هذه الشخصية الكبيرة.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يمنّ عليه ب تمام الصحة والعافية، وأن يمتنعنا بطول بقائه، وأن ينفعنا بها كتبه وألفه وألقاه وحاضر فيه، وينفعنا بأفكاره وآرائه ونظرياته. إنه سميع الدعاء والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على محمد وآلـه الطاهرين.

## مداخلات الجمهور

### □ الاستيعاب وأثره في التخصص ومسألة الثقافة

تناولتم الجانب الاستيعابي لشخصية الدكتور الفضلي، فهل هذا الجانب الاستيعابي أثر على التخصص، خصوصاً وأن التوجه الآن إلى الدراسات التخصصية؟

والسؤال الآخر: مؤخراً، احتفي بالدكتور الفضلي بمدينة سيدات في مهرجان عنوانه «الفقـه المـثقـف»، هل هناك تلازم بين المـثقـف والـثقـافـة؟

■ الأستاذ أحمد بن مبارك الريـح

□ أشرنا إلى أن من عـيـزـات سـيـاحـة الشـيـخـ استـيـعـابـه لـمـجاـلاتـ كـثـيرـةـ منـ الـعـلـومـ، وهـيـ مـيـزةـ لمـ تـؤـثـرـ عـلـىـ مـسـطـوـاهـ الـعـلـمـيـ، بلـ كانـ هـاـ أـثـرـهـ فـيـ تـمـكـنـهـ مـنـ اـسـتـيـعـابـ الـآـرـاءـ وـالـنـظـرـيـاتـ، فـكـانـ مـصـداـقاـ لـلـرـوـاـيـةـ: (أـعـقـلـ النـاسـ مـنـ جـمـعـ عـقـولـ النـاسـ إـلـىـ عـقـلـهـ)، ولـلـرـوـاـيـةـ الـأـخـرىـ: (أـعـلـمـ النـاسـ مـنـ جـمـعـ عـلـومـ النـاسـ إـلـىـ عـلـمـهـ). وماـ أـتـصـورـهـ أـنـ هـذـهـ مـيـزةـ أـكـسـبـتهـ مـسـتـوـىـ عـلـمـيـاـ أـعـلـىـ وـمـعـارـفـ أـكـثـرـ.

أما بالنسبة للسؤال الآخر المتعلق بمهرجان «الفقيه المثقف»: أنا شخصياً لا أجد أن يكون هناك فاصل أو فارق بين الفقيه والمثقف؛ لأن الثقافة هي: ما يملكه الإنسان من وعي أو ثقافة أو علم يقوم به شخصيته. ولعل القائمين على المهرجان أرادوا منها التمييز بين الحوزوي وبين الأكاديمي، ولعلهم لو استعملوا المصطلحين: «الحوزوي الأكاديمي»، قد يكون أقرب انتظاماً على الشريحتين من أن يقال: «فقيه» و«مثقف». وهذه وجهة نظري.

#### □ إفاده المجتمع من الشخصية الاستيعابية

كم أمعتنا يا شيخنا الفاضل عن هذه الشخصية التي عاشت مغمورة. فكلنا فخر واعتزاز بأن نُنتج منطقتنا مثل هذه الشخصية الاستيعابية، هذه الشخصية التي في الواقع اكتفت بين جوانحها عدة شخصيات. فهو الشخصية العلمية، وهو الشخصية الأدبية، وهو الشخصية الباحثة، كل الشخصيات احتوتها واختصرتها واحتزلتها في شخصية واحدة. وتعقيباً على المحاضرة، أطرح السؤال التالي: هذه الشخصية الاستيعابية بأفقها الواسع، ماذا استوعبت منها المنطق، والمحوزة بشكل خاص؟

#### ■ الأستاذ حسين بن علي البوصالح

□ شخصية الشيخ الفضلي الاستيعابية ليس بالضرورة أن يقابلها استيعاب من قبل الجمهور. كما عدم الاستيعاب لا يعني عدم إعطائه

المكانة اللافقة التي تعني الفخر والاعتزاز بهذه الشخصية الفذة الكبيرة. إذ ينبغي أن تكون هناك مساعٍ حثيثة في المنطقة باتجاه بلورة النظريات والأراء والجهود التي بذلها ساحة الشيخ في المنطقة وخارجها. وفي الوقت نفسه، لا يمكن تجاهل الجهد المبذول، فهناك مستوى لا يأس به من الاستيعاب. نعم، قد لا يرقى إلى المستوى المطلوب، لكنه موجود بقدر معين، فهناك شريحة كبيرة من الشباب المثقف، الذي أتصور أنه يعزز بالانتساب إلى مدرسة ساحة الشيخ الفضلي في فكره وآرائه ونحوه العملي. وهذا نراه في المنطقة عموماً، فعندما تذهب مثلاً إلى سيريات العميد، وإلى القطيف، هناك شباب يتبنّون احتضان هذه الشخصية الكبيرة، سواء في مهرجانات الاحتفالات أو في مناسبات ثقافية واجتماعية عديدة. ولا يغيب عنكم حسينية الناصر في سيريات التي كانت تهم كثيراً ساحة الشيخ، كشخصية أولى لأنشطة اللجنة القائمة في هذه الحسينية.

كما أن المنطقة هنا في الأحساء هناك شباب يحمل فكر ساحة الشيخ الفضلي وآرائه والنظر إليه بأنه الشخصية الأولى في المنطقة وخارج المنطقة، وأبعد من حدود المنطقة أيضاً، وهذه صورة من صور الاستيعاب لأطروحتات ساحة الشيخ.

إن الحضور الجماهيري في بعض المناسبات التي يشارك فيها يدل على أن هناك توجهاً لاستيعاب ساحة الشيخ في فكره وآرائه ومدرسته. وفيما يرتبط بالحوزة العلمية، هناك بعض طلاب الحوزة، لا شك أنهم ينظرون إلى ساحة الشيخ كما ينظر إليه الكثير من الأخوة المثقفين الوعيين، ولا شك بأنهم يستنيرون بفكرة وآرائه وتوجهاته وتوجيهاته.

كما أن المؤلف أو الكاتب عندما يقدم له ساحة الشيخ أو يعرض كتابه على ساحة الشيخ لنقده أو غير ذلك، أو يستشير ساحة الشيخ في كثير من الأمور، فهذا دليل على أن هناك مستوى معيناً من الاستيعاب. نعم، قد يكون هناك نقاش بمستوى الاستيعاب، لأنه قد لا يكون بالمستوى والطموح المرجو، وهو ما نرجو أن يتتطور مع الزمن.

#### □ تغيب الشيخ الفضلي في تاريخ الحركات الإسلامية

الكلام عن ساحة الشيخ الفضلي، بالفعل كبير وواسع. وبخاصة عندما ننظر للأحداث الجسام التي عاصرها طوال عمره المديد، إذ يبلغ منه أربعة وسبعون سنة، أطال الله في عمره، ومتمناً بيقائه، لقد كان حاضراً فيها بكله. وما أسأله حوله هو: أñana نلاحظ غياب الحديث عن الشيخ الفضلي بالتاريخ، خاصة الأحداث والحضور الشيعي الكبير على كافة الواقع في العراق، ووقف الشيخ الفضلي بمعية المرحوم السيد الشهيد الصدر، والمرحوم الشيخ محمد مهدي شمس الدين، والسيد محمد حسين فضل الله، والآن الزميل الراحل للشيخ الفضلي السيد مرتضى المسكري في تأسيس الحركة الإسلامية، وإيجاد المشروع له، وأنا لا أسأله: لماذا تغيب الجانب التاريخي في حياة الشيخ الفضلي مع أنها نقلة خطيرة في حياة المجتمع الإسلامي، عندما تكون النقلة في النجف الأشرف وتكون في قم، عندما تكون النقلة بهذا الحجم في تلك الواقع، التي انعكست على سائر الواقع الإسلامية الشيعية،

وأيضاً غير الشيعية من المسلمين، التغيب أصبح الحديث أشبه ما يكون شخصياً عن الدكتور الفضلي، في حين أتنا حيناً نتحدث عن سيرة الشيخ الفضلي بهذه الأحداث وحضوره بقوّة، نرى بأن تعامله مع الشهيد الصدر والرسائل المتداولة، والذي أطروحه كتساؤل: لماذا تم تغيب الجانب التاريخي في حياة الشيخ الفضلي على أهميته والتحولات التي حدثت فيه؟

■ الأستاذ باقر بن عبد الوهاب الرستم

□ شخصية ساحة الشيخ متعددة الأبعاد، ولا يمكن طرح الموضوع حسب بعد أو بعدين في شخصيته في جلسة واحدة أو جلستين أو ثلاث، وإنما تحتاج إلى مدى زمني أطول.

وقد خرج كتاب جديد عن ساحة الشيخ «الفضلي بين عراقين»، وهو كتاب يتناول ساحة الشيخ من الجنبة التاريخية أكثر من الشخصية، وما أنصوروه أن البعد التاريخي في شخصية ساحة الشيخ بعد ثريٌ من ناحية تعرف الظروف التاريخية التي عاشها ساحة الشيخ، سواء في البصرة أيام صغر سنّه، أو بعد انتقاله إلى النجف الأشرف، ثم إلى بغداد، وهجوم الفكر الشيعي في العراق، وما كان له من دور خطير، حيث كان يهدد الوجود الإسلامي في العراق إن صحت التعبير، وكان للشيخ دور في هذا المجال، وكان من ثمار هذا الدور، تناجه أول كتاب له، وهو: «مشكلة الفقر» الذي كتبه مواجهةً للفكر الشيعي الذي كان دخل العراق آنذاك.

لقد كان ساحة الشيخ يعيش الواقع التاريخي وأحداث الواقع التاريخي وله دور في تلك الظروف التاريخية، كما أشرت في السؤال، وأتصور أن هجرته من العراق إلى السعودية في جدة، ومن ثم إلى مصر كان من أسبابها وجود هذا الوضع من الفكر الملحّن والمنحرف آنذاك في العراق، إذ كان لساحة الشيخ دور مع الشهيد الصدر في كتابة «الفتاوى الواضحة»، وحتى الكتب الأخرى ككتاب «فلسفتنا» و«اقتصادنا»، و«البنك ال拉بوي في الإسلام». وتوجد بعض الرسائل المتبادلة بين ساحة الشيخ والشهيد الصدر تشير إلى بعض هذا الدور، وتجد في هذه الرسائل أن للشيخ مكانة قريبة جداً للشهيد الصدر رض، تارة يعبر عنه بالعلامة المعظم، رسالة كتبها الشيخ محمد جواد مغنية للشيخ الفضلي - أطال الله عمره -، يقول فيها: «وقد التقيت في يوم الأحد الثاني عشر من المحرم بساحة العلامة الحجّة السيد محمد باقر الصدر ره وقد أثنى فيمن أثني عليكم وقال بأنكم الأمل، وأثنى على كتابكم «مشكلة الفقر»، وتذكرت أني لم أشكركم بالشكر الذي تستحقونه، عرفتكم من خلال ثناء الشهيد الصدر عليكم هذا الثناء الكبير وأنكم الأمل».

إن هذا بعد التاريخي في حياة ساحة الشيخ أيضاً يقربنا من ساحتـه والتعرف عليه أكثر فأكثر، ربما نعرفه كاتباً مؤلفاً وعالماً فقيهاً، ومحاضراً قيـاً وغير ذلك، لكن يبقى دوره في تاريخ العراق وتاريخ الأمة، وحتى التاريخ العلمي، إذ نجد له يـ طولـ في تاريخ العلم وتطوره، وتطور الحوزـات العلمـية. فـ كما تفضلـتـ بعدـ التاريخـيـ في شخصـيةـ سـاحةـ الشـيخـ بـحـاجـةـ إـلـىـ تـرـقـ إـلـيـهـ بـخـصـوصـهـ.

□ الإفادة من الدرس الحوزوي في الجانب الأكاديمي

■ أريد أن أشير إلى ناحية استيعابية عند الشيخ الدكتور - حفظه الله، فكما تعلمون في علم أصول الفقه، تدرس أبحاث كثيرة تعنى بالقضايا اللغوية في علم أصول الفقه، ويُستفاد منها في أبحاث علم النحو، فالذى يدرس في الجامعة علم النحو فقط دون الاستفادة من علم أصول الفقه، وهي كلها توجهات ونظريات تختلف عن الذى يجمع بين علم أصول الفقه وال نحو.

فالدكتور - حفظه الله - جمع بين علم النحو فهو عالم نحوى، وعلم أصول الفقه وهو من الفقهاء، واستطاع أن يستخرج لنا بعض النظريات الرائعة في هذا المجال، وألف كتابه الصغير «دراسات في الفعل»، واستفاد من نظريات علم أصول الفقه في النحو كما فعل الدكتور مصطفى جمال الدين في رسالة الدكتوراه، والسيد محمد تقى الحكيم في كتابه «تجارب الأصوليين في المجالات اللغوية».

■ الأستاذ حسن بن علي الرستم

□ إعجاب شخصيات بارزة بالشيخ الفضلي

■ لعل من الأشياء التي لا نعرفها، كنت في البحرين والتقيت بأحد الشخصيات الرسالية والنشطة، فكان يسألني عن الشيخ الفضلي ويتمنى اللقاء به، فانبهرت من حاسه الذي يتمنى فيه أن

تتاح له فرصة أن يلتقي به، ثم يستطرد ويشير إلى أنه عرف الشيخ الفضلي من الدورات التي تقيمها الحوزات في القرى وكانوا منبهرين بها، فكتب الشيخ الفضلي هي التي تدرس لهم، فكانوا يطبعون تلك الكتب التي يدرسونها، ويتمون أن يلتقا به هذه الشخصية التي تدرس كتبه. وكان يحدّثني بأن أحدهم كان يتحدّث بأنّ من صفات الشيخ الفضلي أنّه لا يجب الاعتداء على الآخرين، لقد كان معجّلاً بسماحته دون أن يراه، كما هو تعلقنا بأمير المؤمنين عليه السلام وبرسول الله ﷺ ونحن لم نشرف بلقائهما، حتى أنا نريد أن نعرف التفاصيل الصغيرة. كان يريد أن يعبر عن مدى انسجامه مع هذه الشخصية ومدى ولعها به.

■ الأستاذ يوسف بن خليفة الشريدة

□ حديث كل أخٍ منكما يفتح أفقاً جديداً للحديث عن ساحة الشيخ، وجيل جدًا الإبحار في جوانبه الفكرية: مقالاته وبحوثه وكتبه، فهي جيئاً تبرز شخصيته أكثر فأكثر. فربما يسمعه أحدنا كخطيب أو حاضر، ويسمع غيره من المحاضرين والخطباء، ويمكنه أن يميز بين الشيخ وبين غيره في هذه الجنبة، لكن في الجوانب العلمية والنظرية، وبحوثه التي كتبها تعطي أبعاداً أكثر في شخصيته الكبيرة والعظيمة. هناك عدة كتب ألفت وبحوث كتبت عن ساحة الشيخ، سواء في مجلة الموسم، أو ما كتبه ساحة السيد هاشم الشخص حينما ترجم له في أعلام هجر، أو ما وزّع في ليلة المهرجان، أو ما أشرت إليه من كتاب

«الفضلي بين عراقين»، هذه يمكن أن تكون بحوث مصغرة عن سماحة الشيخ، وسيسفر التاريخ بإذن الله عن صبح مشرق أكثر لسماحة الشيخ. وعندهما يظهر بعضاً إعجابه بسماحة الشيخ، فلمعرفته القليل، فكيف بأولئك الكبار الذين يعرفون الكثير عن سماحة الشيخ، عندما تحدث آية الله الشيخ التسخيري - حفظه الله - في مهرجان «الفقيه المثقف»، تحدث عن شخص كأنه أستاذ له، وكذلك عندما تحدث السيد عبد الله الغريفي، وهو العالم الوعي المثقف الكبير ذو المكانة الكبيرة في البحرين، يتحدث بحديث التلميذ عن أستاده. هؤلاء وغيرهم يتحدثون عن سماحة الشيخ كتلامذة له، فنحن ماذا نكون عندما تحدث عن سماحة الشيخ. ولكن يبقى سماحة الشيخ العالم الذي لا نزال لا نعرف عن شخصيته إلا القليل.

وفي النهاية، أشكركم على هذه الدعوة وإتاحة الفرصة للحديث معكم، وربما لم أعطكم أكثر مما هو عندكم عن سماحة الشيخ الفضلي، ولكن هي ما جادت به النفس، نرجو أن يتقبله الله منا، وأن يتقبل منكم صالح الأعمال، وأن ينقل به ميزاننا يوم نلقاه.



الموسم الثاني

## العلامة الفضلي في حاضرة البناء الصدرى

الأستاذ باقر بن عبد الوهاب الرستم

رمضان ١٤٢٩ هـ

- افتتاحية الندوة
- العلامة الفضلي في حاضرة البناء الصدرى من الأبجديات إلى الأدبيات



## افتتاحية الندوة

■ الأستاذ جابر بن عبد الله الخلف ■

إن من المزايا التي يتمتع بها الدكتور الفضلي - من خلال إجراء قراءة ولو عابرة لكتاباته ومحاضراته - حرصه الشديد على أن يكون خارج ما يمكن وصفه بالسجال الفكري والديني بمعناه السلبي المتضمن للمبالغة والمعارضة والمناطحة والمبازلة والكفر والفر. فهو لا تبدو عليه صفات المُطَارِح فيها يتناوله من أفكار، سواء كان في كتبه أو محاضراته؛ بل يبدو بسيء الباحث الأكاديمي، ومزايا الحوزوي في انتظام أفكاره وعمقها وشمولها. فتراه يتخلّ ويتنقى أعقد الأفكار من قام الصراعات والسعجالات قبل أن يباشر بها جمهوره، أو يفاجأ بها قراءه، كما يتنقى الفلاح جيد البر من رديئه.

فهو قارئ نقي بامتياز، وباحث منهجي يسمو بأسلوبه عن مبدأ «المطاراتات والمناطحات». وهو حريص أدق الحرص على انتقاء ألفاظه وعباراته وأفكاره من بين ركام الألفاظ والعبارات والأفكار السجالية المتراسصة في متون الكتب. كما أنه يُعرّيها من أسئل القراءات السجالية التاريخية والمذهبية. فأسلوبه رصين رصانة «الأكاديمية»، ومتين متانة «الحوزوبي» الأصيل.

محاضرٌ بارز استطاع، بما يمتلكه من قدرة على المناورة الفكرية، وبما يتسلح به من منهجة وإيجاز ناصع الإيماء والإشارة، ناصع اللفظ قليل العبارة، أن يشد إليه جمهوره ومتبعي محاضراته. واستطاع أيضًا بعد تجربة علمية عريقة، وخبرة أكاديمية استبدال المنهج السجالي في الطرح الفكري والأدبي بمنهجية «ملء الفراغ» في المكتبة العربية الإسلامية. فأصبحت دروسه وكتبه ومحاضراته تملأ النفس والعقل والقلب، وأخذت مع الوقت تسد الفراغات والفجوات المskوت عنها، سواء كانت فراغات فكرية، أو عقائدية، أو فقهية، أو لغوية، أو نحوية.

وقد خلت كتبه ومحاضراته، أو تقاد، من العناوين السجالية؛ بغية النأي بأفكار قرائه ورواد محاضراته عن الارتجالية والاستفزاز المذهبى، أو الغلو الدينى. فلا «مطاراتات» ولا «مناطحات في الفكر»، ولا مبالغات، أو مخاصمات، وإنما «سلوكنا من منظور إسلامي»، و«كيف نقرأ التاريخ؟»، و«كيف يجب أن يكون القد؟»، و«الإمامية والأمة»، و«حضارتنا في ميدان الصراع»، و«المؤولية الخلقية»، و«مشكلة الفقر»، و«أصول البحث»، و«الإسلام مبدأ»، و«أصول الحديث»، و«تحقيق التراث» وغيرها.

فقد أثبتت الشيخ الفضلي، بما تناوله، من دراسات أنه خارج تقاليد السجال المذهبى أو الدينى. فلا تراه قد تأثر بطاحونة السجال التاريخي فيها يطرحه من أفكار أو طرحه من قضايا، بل تناول ذلك بعقلية القارئ الوعي، ومنهجية الباحث المقارن. ولذا لا تراه مشغوفاً بطرح كل فكرة قد أكل عليها الدهر وشرب، أو مولعاً باستعادة التاريخي بوصفه مأزقاً ومزلقاً، فليس من مصلحة الواقع المستقبل الزنج بالتأريخ بكل أcale.

دون مبرر منهجمي...!

كما أنَّ الدكتور الفضلي في كتاباته المختلفة، ومحاضراته الإسلامية المتعددة يتبنّى «منهجية النقد» بوصفها الوسيلة المثلثة في دراسة الأفكار. وهو يطرح النقد باعتباره وسيلة هدم وبناء: هدم الآيل للسقوط من الأفكار، وإعادة إعماره بمواد معاصرة، وأاليات حديثة، فيقدم البديل النافع<sup>(١)</sup>.

للطباعة ١٨ رمضان ١٤٢٩ هـ

---

(١) الافتتاحية مقتبسة من مقالة كتبتها حول كتابات الدكتور الفضلي ومحاضراته، بعنوان: «اللاسجالية في كتابات الشيخ الدكتور الفضلي ومحاضراته».



## العلامة الفضلي في حاضرة البناء الصدرى من الأبجديات إلى الأدبيات

■ الأستاذ باقر بن عبد الوهاب الرستم ■

الإيجاز الذي قرأناه لسيرته المباركة، ونوعية الكتب التي ألفها والمدرسة التي انتمى إليها تساعدنا بدرجة ما لفهمه في عالم الحراك النجفي التأثير على الرجعية والتقليدية القاتلة للطاقات المتوهجة، والتي تلقيتها الصانع الحضاري الكبير آية الله الشهيد الصدر، أو هو رأي نفسه في عالمه ليتغلل إليه.

وعندما تكون في عالم الشهيد الصدر الصانع الحضاري الكبير، فهذا يعني أننا نقرأ بناءً حضارياً فذاً، يفرض علينا قراءة طبيعة البناء الحضاري، وكيف يتم صناعته، وإن لم نكن نريد العزم بالدخول في هذا الأمر تفصيلاً، وإنما معنى ذلك في عالم الشهيد الصدر، وكيف عاشه شيخنا الجليل الفضلي.

لذلك يمكننا القول بأنَّ البناء الحضاري هو: الحراك الذي تعشه الأمة من لغة الخطاب فيها، إلى تعاطيها مع قضائهاها، إلى بناء كيانها العمراني والعقائدي والثقافي.

إلا أنَّ الأمة لم تعيش حيث مفروضات القاعدة التي كان يجب أن تقوم بها وعليها حضارتها، وهو دينها وإيمانها، وإنما كما قال الإمام الحسين عليه السلام: «الناس عبادُ الدين، والدين لعُقُّ على ألسنتهم، يحوطونه ما درت معايشهم، فإذا مُحصوا بالبلاء قلَّ الديثانون»<sup>(١)</sup>، ما أورث كوارث قاتلة غيَّبت عوامل النهوض من منظور أئمَّة أهل البيت عليهم السلام في هذه الأمة، ليغيب عنها حتى مجرد البحث عن ذلك، ليكون بناؤها الحضاري مبنياً على المواجهة المفروضة، وما تفرضه المعاشرة على الحاكميات المنفلترة من تراجع مرة عن غير، وأخرى ما تتظاهر به من ممارسة لخداع الناس «ما درت به معايشهم»؛ ليكون بناؤها الحضاري في أكثر حالاته متأنِّراً عن الأمم الأخرى، وإن كانت في حالات معينة غير مقصودة، وتغلب فيها الحالات الفردية تبرز تقدماً ملفتاً، حافظ على عدم تأثُّر هذه الأمة إلى حد كارثي. إلا أن التخلف الذي عاشته الأمة في زمن الانحطاط غيَّب حتى الحالات الفردية وغير المقصودة؛ لتتسع الهوة ويكون البون شاسعاً بيننا وبين تلك الأمة.

ولذلك الواقع المؤلم، تكنت قوى الغرب الاستعمارية أن تمدد في عالمنا الإسلامي، وتنهب ثرواته، إلا أن المسلمين قاوموا ذلك بطريقة حروب العصابات، وليس ما يحكيه عنها إرثها الديني والإيماني والفكري والثقافي الذي يفرض عليها المبادرة، أو في أقل الأحوال الالتزام بسياسة الوقاية. إلا أن المسلمين لم يستطعوا مواجهة

(١) تحف العقول عن آل الرسول، ابن شعبة الحراني، تحقيق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي - قم، الطبعة الثانية - ١٤٠٤ هـ ٢٤٥.

استهدافهم الثقافي والفكري، ولم يكونوا في مستوى حرفة أسلوبه الماكرة، ليعود الغرب بما يشاء إلى كل أمتنا الإسلامية ليمسخ الكثير من الإيجابي الذاتي الذي لديها، وما أمكنه الاستفادة منه، فإنه أخذه ليبني قوام حضارته الجديدة.

نعم، كانت بعض الحواضر العلمية غير الشيعية متوجة وبغزاره؛ إلا أنها لا تحرك الشارع، ولا تصنعه، وإنما انشغلت لإبراز ذاتها، وتوسيع سياسات حاكميها، ما جعل فعلها الثقافي والسياسي واقعاً تحت طائلة التوجيه والإثمار السياسي الموجه، فيما السياسيون المتنفذون يفتقرن للإرادة وحكاية واقع أمتهم.

بخلاف المجتمع الشيعي الذي بُرِزَ كمجتمع مستقلٍ، وذلك من خلال التزامه في صياغة وعيه الديني والثقافي والسياسي بالحوزة الدينية الملزمة طيلة تاريخها باستقلالها، والذي جعل إرثه الثقافي والفكري والسياسي أكثر استقلالية، ما أعطاه نقاء وإن كان في بعضه فكراً غير عملي؛ إلا أنه نتاج عقلية متوجة ومستقلة، وليس موجهة، أو تشغله على طريقة المفکر الموظف.

ولذلك كانت موقع المجتمع الشيعي أكثر رفضاً وأشدّ حصانةً، ما جعلها الأكثر مقاومة، وذلك بخلاف بعض المجتمعات الإسلامية التي استطاع الاستعمار أن يبقى فيها طويلاً، مكّنه من إعادة صياغة ثقافته إلى حد التحول إلى لغته، كما في بعض البلدان الإسلامية، ليكون المجتمع الشيعي الأكثر تسبيباً للخيبة له، وضياعاً للجهود الاستعمارية فيه، بالرغم من أنهم لم يقاوموه وطاغوتيات آئمة كالشاهنشاهية في إيران

والصدامية في العراق بطريقة محترفة ومدرسته لما بعد أي إنحاز، إلا أنهم لم يعرفوا الانكسار في تاريخهم كما تشهد بذلك أحداث التباكي، والحركة الدستورية في إيران، ثورة العشرين وحركة الشهيد نواب صفووي، وحركة أبي القاسم الكاشاني، والدكتور محمد مصدق، والحركة الإسلامية في العراق، وإن خسروا في بعض مواجهاتهم؛ لغياب قراءتهم الصحيحة لموقعهم الصحيح بعد كل نصر، أو لعدم تكافؤ إمكاناتهم وم مشروع حراكهم، كما هي الانتفاضة الشعبانية.

ما جعل الصناع الجدد للمرحلة الحضارية المعاصرة، والأكثر مصيرية يسعون لتدارك ما فات قيادات الأمس. فتميزوا بإدارة حراكهم بامتياز، وعلى درجة متقدمة جدًا من الوعي والحرفية، فكان الإمام الخميني والشهيد الصدر من قادا البناء الحضاري في هذه المرحلة؛ ليكون عملها بناءً يكمل بعضه الآخر؛ ليكون خلقًا جديداً، تبارك الله أحسن الحالين.

فمن عاش في حاضرة الإمام الخميني، واستلهم منه وعيه وحضوره، والتزم بذلك كالأمام الخامنئي، فإنه سيكون في كل وجوده بانياً في أي موقع يعيش، وهكذا بالنسبة للشهيد الصدر، فسيكون من عاش حاضرته بانياً كما هو الشهيد الصدر، ومتحركاً باتجاه أهدافه وغاياته الشريفة، كشيخنا الجليل أبي عماد ما استطاع إلى ذلك سبيلاً. وذلك لتميز حراك هذين الإمامين الجليلين، كونه قائماً على رؤية تأسيسية واعية لا تعتمد الاستثناء في موقع البناء، وإنما تلتزم الحاجة وتعطي بالإمكانية، دون أن تضع خطأً أحمر لعملها باسم اليأس أو العجز.

من هنا كان البناء الحضاري التأسيسي للمرحلة التي يمكن أن نسمّيها بالثالثة<sup>(١)</sup> والثانية من حيث الأهمية، وذلك لحضورهما ومرىدهما في رفد ذلك البناء، ما ولد إقامة كيان عصيٌ على الاستهداف.

في حاضرة البناء الصدرى، بُرِزَ الشِّيخُ الجليلُ أبا عِمَادَ كأحد العلامات الفكرية والثقافية التأسيسية في ذلك البناء، حيث عاشه من الأبجديات إلى الأديبات، وأسهם فيه، وناضل من أجله؛ ليكون منه وإليه، والإنجاز الكبير الذي تولد عنه.

وعندما يكون إنجازًا مرتبطًا بحقبة تاريخية وبشخصية تاريخية وبحراثٍ تاريخيٍّ مصيريٍّ يستدعي كل العناصر المكونة لصورة المدرسة والإنجاز وعظمته، حيث الشهيد الصدر ذلك الميلاد الجديد للنجف، واللحقة التاريخية الجديدة، والتحول الذي بدأ دون نهاية يغرس في أفق الإنجازات والإبداعات واختراقات الجمود والتقلدية، والغوصى والعشوائية.

وحيث حوزة النجف وذلك الحراك الكبير الذي هو من طبيعتها؛ لتكون قادرة - بطبعتها - على توليدِه، ليتلوه على أولى البصيرة، ما يفرز سؤالاً بحجم ذلك الحضور، مندفعاً بإثارة محتواه وحساسية حراكه. ما معنى قولتك: إن الدكتور الفضلي هو إنجاز كبير لمدرسة الشهيد الصدر وحده، حيث سوّاق الشِّيخُ محمدُ أمين زين الدين، والسيدُ محمدُ تقى

---

(١) حيث الأولى بداية الرسالة وما جرى على ضوئها من بناء، ثم المرحلة الثانية التي كانت في دور التبادل الثقافي والفكري مع الحضارات الأخرى؛ ليتّبع عن ذلك تطوارعاً عمرانياً يواكب التطور العلمي والفكري.

الحكيم، والشيخ محمد رضا المظفر؟!

وبالرغم من أن مشروع هذه الدراسة لم يكن بقصد تناول كامل العناوين التي أسهمت في بناء هذا الكيان الرائع المتمثل في علامة حيّناً، والعلامة الكبير في الحوزات العلمية والجامعات الأكاديمية (جامعة الملك عبد العزيز بجدة والجامعة الإسلامية في لندن) آية الله العلامة الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي، وإنما هي بقصد تناول الجانب الأساسي في شخصيته، أو قل العنوان الكبير الذي يُقرأ به ومن خلاله شيخنا الجليل، وقراءته على أنه الفقيه بفقاهة مختلفة، ومفكّر ومنظر وسياسي بطراز صدرى بامتياز.

إنجازٌ صدرىٌ كونه اغترف من تلك السوaci، ليُسبِّع ذاته، لتنتهي به في حاضرة الشهيد الصدر، حيث يرى إنجازه بتلك الهوية، وإبداعه من خلاها، وقيمة عندما يحمل همومه التي عاشها واشتغل بها لعقدين من عمر الوثاق بينها؛ ليتحرك بكل مخزونه بهمة في رحلة البناء التأسيسية، ورسم الأطر والصور والخيارات والنهاذج؛ لتبرز بكل إلهاماتها.

إنجازٌ صدرىٌ عندما يستلهم فهمه للدين والحياة من العبرية الفذة للشهيد الصدر، ويضع لمساته في موقع حضوره كما هي آمال وأمانى الشهيد الصدر.

لا أقول إن الذات الفضلىة ذابت وتلاشت؛ ليكون مجرد مردٍ لما يقوله الشهيد الصدر!!؛ لأن قراءته بهذه الطريقة يجعل منه مقلّداً غير قادر على الإبداع، فيما هو طاقةٌ من الإبداع والإنجاز. وهكذا كان

الشهيد الصدر، وهكذا كان هو وكل من عاش - مثله - الشهيد الصدر وصناعة الشهيد الصدر.

إذ كيف يكون في حاضرة الشهيد الصدر وهو يعي موقعه ولا يكون قادرًا على الإبداع والإنجاز؟ فالشهيد الصدر فتح بذاته إلى كلّ ما هو إبداع، ولا يستطيع أن يكون في مدرسته من لا يعيه.

بدايات الشيخ الفضلي المفكّر والمنظر السياسي كانت في مدرسة الشهيد الصدر، وهي البدايات الأولى لتأسيس حزب الدعوة، التي كان فيها الشهيد الصدر القائد والمُلهم والمنظر المؤسس لنهجه العقائدي والفكري السياسي والاجتماعي، ولذلك فإننا عندما نقرأ الشيخ الفضلي وانتهائه لحزب الدعوة، أو عندما نقرؤه سياسياً لا نجده خارج حاضرة البناء الصدرى.

## □ الأساتذة ودورهم في بناء الفضلي كاتباً وعالماً ومفكراً

تحرك قراءاته بمهنيته الخلاقة في الحقول العلمية والفقهية والفكرية والاجتماعية، وحتى في الحقل السياسي الذي فرضت بعض المعطيات أن يتعاطاه بحذر في خارج اجتماعات حزب الدعوة (القضية العراقية)، ونظرًا إلى أن قيمة الحراك وثاره في بعض الموارد محدودة جدًا، أو قد تكون غير مثمرة وغير عملية، ما فرض أن يركّز الإثمار العلمي في كل عطاءاته الفقهية وال الفكرية والثقافية؛ ليعيش حاضره ويعمل فيه بعلميته الفذّة، والتي تتعاطى مع الواقع والإرث التاريخي لهذه الأمة، وأثره في صناعة المنجزات، وصقل الخبرات.

وعند قراءته لهذا الواقع ومعالجة إشكالياته، فإنه سيعاطى مع قراءته للتاريخ بطريقة مختلفة، لا يسقط حلول الأمس على اليوم، ولا مشاكل الأمس على قضايا اليوم.

قراءته للتاريخ و بداياته تعينه دائمًا إلى قراءة بناء بداياته، وذلك الجيل الذي كانت تلك البدايات تتشكل من خلاله شواهد أو نماذج، حيث هم أساتذته وبُناته، ولذلك فإنه لا يكاد يعيش مناسبة أو قضية أو معالجة إلا وكان أحد أساتذته شاهدًا؛ لأن أساتذته عاشوا واقعهم وتجاربهم بنفس بصيرته، ووعيه وحماسته، لذلك كان حًقا عليه أن يجعلَ وبيجل ذلك التاريخ وتلك الأستاذية، ما جعلني لا أستطيع الفرار من الإشارة إلى هذه الظاهرة في حياته.

فيما بناؤه السيكولوجي يحكي عن استعدادٍ ذاتي لديه يدفعه إلى أن يتتعاطى مع عطاءات أولئك الأساتذة بروح صدرية وثابة، كانت في البداية توافقًا فطريًا في المواقف والاستعداد والأمال والطموحات؛ إلا أنها تكاملت بعد اللقاء بقراءة الأبجديات والأديبات الصدرية في فلسفته، في رؤاه، في روحيته، في خطابه، وتحديدًا البناء الصدرى الحضاري من الأبجديات إلى الأديبات، إلى نمذجة الرؤى حياةً وسلوًكاً، لأجد نفسي أمام هذه الحقيقة، وهي التي دفعتني أن أتبني الاعتقاد المفضي إلى كونه إنجازًا كبيرًا لمدرسة الشهيد الصدر، مع التذكير بالإشارة السابقة إلى أنني أقصده صدرىًّا في الفكر والسياسة والممارسة البحثية، كما هي استفاداته منه في الدرس الفقهي المتميز والطلائعي.

وبقدر ما كان له الشهيد الصدر، وبقدر ما كان حاضراً في وعيه، وبقدر ما كان صانعاً للمسارات الثقافية والسياسية، فإنه لا يمكن تجااهل الشخصيات الحوزوية التي ساهمت في بنائه كاتباً محترفاً وفقيقاً أصيلاً، بربزت مجتمعة في ساحتها؛ ليتحدث عنها بما رسمته فيه، حيث هندستها للخطاب وبيانه والمعنين به، كقوله في شيخه الجليل الشيخ محمد رضا المظفر والأستاذ المتميز السيد محمد تقى الحكيم والعبقرية الفذة الشهيد السيد محمد باقر الصدر.

فكان قولته في الشيخ المظفر في معرض جوابه عن سؤال عن الشخصيات التي أثرت في حياته: «الشيخ محمد رضا المظفر <sup>رحمه الله</sup> في اللغة العلمية، فقد كان متيناً بقدرته على التعبير العلمي الميسر، عن هجنة العامية، وابتداال الصحيفية، وتعقيد التقليدية»<sup>(١)</sup>.

وفي الشيخ محمد أمين زين الدين: «في التعبير الفني، حيث يتمتع بالقدرة - ويتميز - على وضع الكلمة المناسبة في موضعها»<sup>(٢)</sup>.

وفي الشهيد الصدر: «في التحليل والنقد، فقد كان موهوباً وبعقرية منفردة في القدرة على التحليل العلمي والنقد العلمي. ومن هنا كان أصيل الرأي فيها يعطيه من نتائج، عميق الفكر فيها يكتبه أو يلقيه من بحوث، مستقل الذهنية فيها يُبدع ويبتكر»<sup>(٣)</sup>.

وفي السيد محمد تقى الحكيم: «في المجتمع وطريقة العرض، فقد

(١) منعطف القرار، علي المها، ١٧٦.

(٢) المصدر السابق، ١٧٦.

(٣) المصدر السابق، ١٧٧-١٧٨.

كان قليل النظير في هندسة موضوع البحث وتصحيحه، وفي أسلوب صياغة ألفاظه وبناء تركيبه<sup>(١)</sup>.

من جانب آخر، لم تكن العلامات المؤثرة في حياته العلمية محصورة في الحوزة، وإنما تجاوزت إلى الحقول الأكademية، والتي أخذت نصف عمره العلمي تقريباً، في الميدان الأكاديمي بروزت في حياته:

- الدكتور إبراهيم السامرائي.
- الدكتور مصطفى جواد.

وهما من كبار أساتذة اللغة العربية، يصفهما الدكتور الفضلي بقوله: «السامرائي في المجال اللغوي والأدبي، ومصطفى جواد في مجال التاريخ والأدب وتحقيق التراث. ولهم أسلوب التدريس محبّب جداً للتלמיד، يشد الطالب للعلم بطريقة تربوية عالية، وقد تخرج من مدرستهما العلمية الكثير من الأساتذة الكبار والمفكّرين»<sup>(٢)</sup>.

ويقول: «إن الدكتور مصطفى جواد كان ينقل لهم نقولات تاريخية وأدبية مهمة من مخطوطات نادرة، جمعها خلال سين طويلة، حتى شكلت لديه كتاباً أسماه «أصول التاريخ والأدب»، ربما جاوز الستين مجلداً، حوى نصوصاً تاريخية وأدبية مهمة ونادرة، ولكن للأسف كتابه ظل مخطوطاً، لم يقدر له أن يطبع»<sup>(٣)</sup>.

---

(١) المصدر السابق، ١٧٧.

(٢) الفقيه المثقف، ٣٠.

(٣) المصدر السابق، ٣١-٣٠.

## □ الفكر الإصلاحي في مواجهة الانتكاسات

ساهمت مجموعة من الأحداث، كأحداث فتوى التباك والحركة الدستورية، والتي تدثر التقليديون (السلبيون) خلف جانبيها الآخر، والمُسمى بالمستبدة بها ينسجم وطبيعتهم، وكذلك ثورة العشرين، ومواقف المرجعية والحوزوة من النظام الجديد الوارث للاحتلال البريطاني، والأحداث السياسية في إيران والعراق المتلاحقة، إلى حراك سياسي ساخن أجبرت طبيعتها المرجعية والحوزوية بكل ثقلهما ومراركهما على الخوض في الشأن السياسي، ما أدخل المسألة السياسية المعاصرة في الحوزات النجفية ذات الخصوصية التقليدية في كل الاتجاهات في النجف وسائر الحوزات في العراق وإيران، تأثراً بما يجري في العاصمة العلمية الشيعية (النجف الأشرف)؛ وذلك لأن الحوزويين في النجف الأشرف هم من الإيرانيين؛ إلا أن التعاطي مع المسألة السياسية في النجف الأشرف لم يكن مع كافة أفرادها، وإنما بدأ مخصوصة في محورين:

الأول: مواجهة الاستعمار وقضايا الأمة الكبرى، كاحتلال فلسطين والمواقف العلمانية في حال المجاهرة على محاربة أحكام الله وشرعيته.

الثاني: مواجهة استهداف المسلمين، كالبهائية والبابية، واستهداف المرجعيات الدينية من قبل المؤسسات السياسية الحاكمة، كاستهداف الإمام الخميني من قبل الشاه المقبور محمد رضا بهلوى.

فيها العمل السياسي بمعناه المهني وفي إطاره الأخلاقي الإسلامي انحصر في ممارسات فردية، وعلى استحياء أو تقية.

ولذلك فإن ضيغامة تلك الأحداث، وبالرغم من اقتحامها الواقع النجفي بقوّة، لم تساعد بها يكفي على إشاعة التعاطي الإيجابي مع الشأن السياسي، بل إن مطلق المتمين إلى الحوزات في العراق وإيران لم يكونوا في وضعٍ ينسجم ومتطلبات المرحلة، ليفرضوا على الحوزة محدودية الإيجابي فيها.

وقد انعكس ذلك على الجانب الثقافي، بجانبيها السلبي والإيجابي. إلا أن حضور الطبقة الإيجابية في الأحداث الكبيرة للأمة بكل وجودها وتمكنها من التأثير الإيجابي فيها، واصطفاف المرجعيات والقيادات الدينية الكبرى خلفهم أغلق التقليديين وألمهم، بل وأقصاهم عن الساحة، ليتجاوز ذلك حد الاشتغال بغيرهم؛ ليظلوا منكمشين يبحثون عن عودة رائدة من خلال انتكاسة هنا أو هناك.

وغياب الخط التقليدي عن التأثير في الأحداث لا يعني غيابهم المطلق عن التأثير في الحياة الثقافية والفقهية في النجف، وإنما يعني عدم قدرتهم على الحضور في الأحداث الكبيرة والقضايا الكبرى للأمة؛ لأن تلك القضايا لم تكن همهم، وإنما كان شغفهم هو التعامل مع المصلحين كخصوم وأعداء، ولذلك فإنهم في مثل تلك الأحداث يغيبون؛ ليكونوا حاضرين في أي جدلٍ داخلي.

نماذج من الواقع التي تعرّس خلفها السليميون، ما يُسمى بالمستبدة، وهو الاتجاه الآخر للحركة الدستورية ونكسة ١٩٢٤م،

والتي أدت إلى نفي المراجع الكبار والفقهاء العظام إلى مدينة قم وطهران، ولم يعودا إلا بعد أن أخذوا بتعهيد بعدم العودة للعمل في الشأن السياسي؛ لبؤدي ذلك إلى انكماش سياسي تام، إلى الحد الذي فرض على آية الله الشيخ محمد حسين النائيني أن يقوم بسحب رسالته الفقهية والمؤسسة للحرراك السياسي الملزتم (تنزيه الملة ونبأ الأمّة) من التداول<sup>(١)</sup>، وكذلك مسألة التطوير والتي تفجرت عام ١٣٤٥ هـ، والتي كانت العامل الأكبر لعودة الخط السليمي (التقليدي) إلى الساحة بقوة، وهيمته - أكثر من ذي قبل - على أي جدلٍ حوزوي يتعلق بالتحديث والمعاصرة، ويحكم قضيته عليها.

وقد تمثل الخط الإيجابي في مجموعة من الفقهاء والمراجع، الذين لم يستطعوا في فترة من الفترات ليس فقط من مواجهة السلبيين، وإنما ليجد بعضهم نفسه مجبراً على مدارااتهم بإظهار الدعم لهم، وعلى رأس أولئك آية الله الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء، الذي أظهر دعمه للدعاة التطوريين، فيما كان موقفه من قبل مناهضاً له من خلال فتواه الصادرة عام ١٣٣٩ هـ، ليشي بذلك أنه كان ضدَّه منذ البداية، إلا أن وراء موقفه المستجد عنف وتطرف جماعة التطوير، التي كان يتزعمها الخطيب السيد صالح الحلبي، وقد أفصحت إجابة الشيخ آل كاشف الغطاء للأستاذ جعفر الخليلي في كتابه «هكذا عرفتهم» عن دوافع أخرى لذلك الموقف، خاصة وأنَّ الشيخ آل كاشف الغطاء أعاد الفتوى الأولى في كتابه «الفردوس الأعلى» الذي صدرَّه بمقدمة له عام ١٣٧١ هـ، وفيها لم

(١) هكذا عرفتهم، جعفر الخليلي، ١/٢٥٩.

يأتي في ذات الكتاب على فتوى تأييد التطير، أو التعليق أو التهميش لها، على أن هذه فتواه قبل العدول إلى القول بالتطير<sup>(١)</sup>، كما أن الأستاذ جعفر الخليل سأله عن موقفه الداعم للتطير حينها، فقال له: «عفا الله عما سلف»<sup>(٢)</sup>، فيما أعلن المرجع الأعلى في زمانه آية الله السيد محسن الحكيم رفضه له متأخراً، وقد روى ابنه الشهيد السيد محمد باقر الحكيم ذلك عنه<sup>(٣)</sup>.

فكانـت هذه القضية الأكثر فاعلية في حضورـهم في مواجهة الخط الإيجابـي، وهذا ما يفسـر كثـرة السـؤال والإـلـاحـاحـ فيهـ، حتىـ فيـ غيرـ أـوـانـهـ، حتىـ اـجـتـهـدتـ جـمـاعـةـ التـطـيـرـ أـنـ يـصـنـفـواـ مـخـالـفيـهـمـ فيـ مـعـسـكـرـ بـنـيـ أـمـيـةـ.

ولذلك حاول الخط الإيجابي الإصلاحي تجاوز مسألة التطير إما بمداراة أهلهـ، أو بعدم الصدام معـهـمـ، كما فعل آية الله الشـيخـ مـحـمـدـ حـسـينـ آلـ كـاـشـفـ الـغـطـاءـ، خـافـةـ أـنـ يـفـسـدـ تـصـدـيـهـمـ مـشـرـعـهـمـ الإـصـلاـحـيـ للـحـوـزـةـ.

وقد بـرـزـ إـلـىـ جـانـبـ آـيـةـ اللهـ الشـيـخـ مـحـمـدـ حـسـينـ آلـ كـاـشـفـ الـغـطـاءـ جـمـوعـةـ منـ الفـقـهـاءـ الإـصـلاـحـيـنـ:

١. آية الله السيد أبو الحسن الأصفهاني.
٢. آية الله السيد محسن الأمين، وكان رئيس الإصلاحيـنـ.
٣. آية الله الشـيخـ مـحـمـدـ جـوـادـ الـبـلـاغـيـ.

(١) الفردوس الأعلى، المسائل القندھاریة، جواب السؤال الثاني، ٥٨.

(٢) هـكـذـاـ عـرـفـهـمـ، جـعـفـرـ الـخـلـيلـ، ١/ ٢٣٤.

(٣) موقع دار الولاية للثقافة والإعلام.

٤. آية الله السيد هبة الدين الشهريستاني.
٥. آية الله الشيخ عبد الكريم الجزائري.

كما ساهم بعضهم بحماسة في العمل الإصلاحي، إلا أن مساهمتهم تلك اتسمت بالفردية، وكانت تراجعاً للضمور أو للحركة الخجولة؛ لتكون أهم عوامل عدم ذلك غياب السياسة الداخلية لتلك المشاريع، وعدم قيامها بصياغة المناهج المرجوة لراحل البناء الذي يستهدفونه، وليس المقترحة والمتقدمة، وإعداد الكوادر المباشرة للمشروع والمتزمرة به حاضراً ومستقبلاً، فيما كان مشروع الجيل الثاني أخذ ذلك في أولويات عمله الإصلاحي.

فكان ببدايات الجيل الثاني من خلال الأساتذة:

١. الشيخ محمد رضا المظفر.
٢. الشيخ جواد الحجامى.
٣. السيد علي بحر العلوم.

وذلك عبر تأسيس «جمعية منتدى النشر» عام ١٣٤٣هـ، فيما ظهرت أسماء أخرى على هذا الصعيد، كالشيخ علي ثامر، والسيد محمد سعيد الحكيم (١٣٠٢ - ١٣٩٥هـ) - غير الفقيه الحالى، والسيد يوسف الحكيم، النجل الأكبر للمرجع السيد محسن الحكيم، والسيد موسى بحر العلوم.

وهكذا تالت المشاريع الإصلاحية؛ ليتهي الأمر بتأسيس كلية منتدى النشر، وكلية الفقه في النجف الأشرف؛ ليتحصل لدينا العناوين الكبيرة في العمل الإصلاحي، وهي الرائدة في ذلك العمل، تلك التي

كانت تصنع الإصلاح، لا تلك التي تتبناه أو تظلّ تبحث عنه دون أن تضع يدها مباشرة على طبيعة المشكلة وعلاجها بالتحديد؛ ليبرز الروّاد الأوائل في الأساتذة الآيات:

١. الشيخ محمد رضا المظفر.
٢. الشيخ محمد أمين زيد الدين.
٣. السيد محمد باقر الصدر.
٤. السيد محمد تقى الحكيم.

فكان عملهم انتهاج العمل الميداني المباشر، والخطط العملية لتفعيل القراءات الإصلاحية وتوسيع دائرة الحضور، ومدّه بالحياة والفاعلية عمرًا يتتجاوز نَفْس الخصوم، وإن كانت بداياتها صغيرة وهادئة، إلا إنها أصبحت فيما بعد علامة نجفية رائدة.

فكان أن حملوا على عاتقهم مسؤولية النهوض الفكري والثقافي والسياسي بالنجف الأشرف بما تحمله أسماؤهم وما يخترنـه تاريخـهم. ولذلك استطاعوا تلمـس الحاجـات التي تـتنـاسب وغـایـات الـانتـهـاء إـلـى جـامـعـة عـلـمـيـة يـمـتدـ تـارـيـخـها إـلـى تـسـعـة قـرـونـ، فـكـانـت روـيـتهم تـقـوم عـلـى أـسـاسـ أن تـلـمـسـ الحاجـةـ يـوـلـدـ حـلـوـلـاـ وـرـوـىـ وـخـطـطـاـ وـنـتـاجـاـ يـتـنـاسـبـ وـمـدىـ تـلـمـسـهـمـ ذـاكـ.

وعندما نتحدث عن الإصلاح والتـحـدـيـثـ، فـهـذـا يـعـنيـ ذـلـكـ الـحـراكـ فيـ مـواجهـةـ الرـجـعـيـةـ وـالـسـلـبـيـةـ الـعـيـدةـ، ماـ فـرـضـ أنـ يـتـسـمـ أـولـئـكـ الـروـادـ بـالـصـبـرـ وـالـمـراـبـطـةـ وـالـمـدارـأـةـ، فـبـيـاـ رـكـنـ آخـرـونـ إـلـىـ العـزـوفـ. إـلـاـ أـنـ ماـ يـلـفـتـ الـانتـهـاءـ هوـ أـنـ يـتـجاـوزـ عمرـ الـعـلـمـ الـإـصـلـاحـيـ الـقـرـنـ، وـلـاـ يـزالـ

وكانه في بداياته، ما يعني المعاناة الشديدة والبدء الأشد في حركة الاستجابة، والهيمنة المشددة لأولئك السليبيين على واقع الحوزة، وإن لم يتمكنوا من شل تلك الجهود المضنية؛ لتمتنع روادها بالإرادة الصلبة والعزمية الراسخة.

في ظل ذلك الصراع وتدعياته، والذي لم يحيط أحداً، ليجعل الأقوى على ضبط إيقاع أدائه متميّزاً أو محسوباً على هذا الطرف أو ذاك؛ ليعيش الشيخ الدكتور الفضلي كل ذلك الحراك في أوج نشاطه وتفاعلاته، ويفرض عليه انتهاء منسجهاً وطبيعته؛ ليرسمه في بداياته تلميذًا نجيبًا لأساتذة الجيل الثاني الإصلاحي، وسرعان ما كان رائداً إلى جانبهم، وفاعلاً ومؤثراً بقلمه، بمحاضراته، بكتاباته، بتاليفه؛ ليشارك بمهنية محترفة في إعداد المناهج والمقررات.

#### □ تميز الأساتذة و اختيار الطريق

مشاركة الشهيد الصدر مجموعة البناء والتأسيس لتحديث المناهج والدراسة في الحوزة كانت نموذجية وخلقة، وذات خصوصية أبرزت رؤيته للبناء الذي يتتجاوز بها حدود المطالب المحدودة بحدود مقررات الدرس الحوزوي، دون الالتفات إلى غيابها التي تبني مستقبلاً ينسجم وتعلمهاته، ما أعطاه تميزاً على نظرائه الإصلاحيين في أن الإصلاح يتتجاوز الدرس والزيري والفتوى والمظاهر الاحتفالية المخنقة في النطاقات الضيقة؛ ليعيش الحياة كلها، ويصوغها وفق رؤية مستوعبة متنامية، ليس فقط تلتزم عصرنة أداء عنصرها البشري، وإنما فتح آفاق القابليات لديها، وتشجيع قدراتها، وذلك وفق رؤية نصية للبناء

والعصرنة من الفرد إلى الشعب إلى الحكم والحاكمية.

وحيث يرى أن مسؤولية صياغة هذه الرؤية وذلك الواقع المنشود، فإن هذا يعني مسؤولية الحوزة في إعداد وبناء الكوادر الإصلاحية والموجهة لحركة الأمة نحو أعلى المراتب التي تحكيمها حقيقة إرثهم العقائدي والفكري والسياسي، وهو ما ترجوه الإنسانية وما هيئت له، فيما أولئك الأساتذة الأفاضل الثلاثة فقد انحصر حضورهم في حدود الحراك العلمي المحسن، ولم يتجاوزوا به حركة النهوض بالتجفف كمؤسسة علمية أو جامعة علمية ذات التاريخ والمجد العريقين، وإن لم يكونوا سلبيين تجاه الحراك الصدري.

ومن هنا فإن جراهم، وإن كان قادرًا على صناعة استعداد لمشروع حركي أكبر، يتتجاوز النهوض العلمي، إلا أنهم لم يكونوا بصدده، أو لعلهم كانوا يعتقدون أن ما بعد جراهم هو خاصية الشهيد الصدر، القادر على تجاوز المسار التقليدي المحسن للحرك المحوظوي.

آية الله الدكتور الفضلي بها يملكه من خصوصية منفتحة على مسألة البناء بحقوقها الفقهية والفكرية والسياسية والاجتماعية، فإنه سيجد نفسه في أجواء الشهيد الصدر بقوة تزداد، وهجًا كلما مثل الشهيد الصدر فتحًا في آماله وطموحاته. ولذلك أصبح الانتهاء إلى الشهيد الصدر انتهاءً إلى مدرسة ذات خصوصية مختلفة عن أولئك البناء، وإن كان يحمل في نفسه بصماتهم.

فمراجعة مؤلفات أولئك الأساتذة الأفاضل يؤكد ما قلناه عنهم، فيما مؤلفات الشهيد الصدر وحركه اتخذوا طابعًا مختلفاً يتحرّك من

الصياغة الفكرية والعلمية والاجتماعية إلى بناء الدولة الإسلامية بشعها وبحراكه الثقافي والسياسي والاجتماعي والعلمي، والتي لم تستقبل فكرتها وضربيتها إلا من خلال الشهيد الصدر ومدرسته.

ولأنه عاش الشهيد الصدر بأماله وطموحاته، وإثرائه الخطاب الديني على مستوى الدين والمجتمع والدولة، فقد شارك أستاذه في العمل التأسيسي للفكر السياسي المعاصر في العراق؛ ليكون أول من كتب في الدولة الإسلامية وطرحها بطريقتها البحثية والمنهجية؛ لتكون أطروحته بمثابة الفتح النجفي في ذلك الوقت، ولم يسبقها حركياً إلا الإمام الخميني رض، وذلك أن الإمام الخميني عندما طرح كتابه «كشف الأسرار» لم يكن بصدّ معالجة إشكالية فقهية، وإنما بصدّ صياغة رؤية سياسية لحاكمية فقهية، منطلقة من النص، ثم أعاد الكرّة إليها من جديد في بحوث الخارج في قم حتى قبل رحيل آية الله السيد البروجردي، وهذا ما ظهر في تقريرات آية الله الشيخ جعفر السبحاني لدرس خارج الأصول الذي كان يلقيه، والذي ظهر بعنوان «تهديب الأصول»، وقد طُبع في الستينيات الميلادية، فيما كان إلقاءها في الخمسينيات، ثم أظهر التزامه هذا بمواصفة السياسية التي أدت بالنتيجة إلى انتصار الحركة الإسلامية في إيران، وهذا ما دفع الشيخ الفضلي للذهاب للإمام الخميني لمناقشته في رأيه عندما كان في قم المقدسة.

ويعني هذا أن موقفه تجاوز حدود الرأي الشخصي ليتحول إلى رأي فقهي مؤسس على التزام مبنائي، ورؤى ذات بُعد حركي لتبلور نظرية سياسية لتنتج نظاماً سياسياً نموذجياً، من حيث تأسيس النظرية ثم قيام النظام على أساسها.

هذا تبني الإمام الشهيد الصدر هذه النظرية قبل مجيء الإمام الخميني إلى النجف: «وكان لهذا اللقاء أثره بعد عودة الشيخ الفضلي للنجف، حيث دارت نقاشات الشهيد الصدر، وتبنّت الدعوة على إثرها نظرية ولاية الفقيه»<sup>(١)</sup>.

في هذا الصدد، ألمَّ الشيخ الفضلي كتابي «الدولة الإسلامية» و«في انتظار الإمام» والكتب والدراسات الأخرى التي تحمل الطابع ذاته؛ ليرسم جهة انتهاء، والمدرسة التي صاغته وتصوغه حركياً. ومن خلاله يترجم خطاب ومنطق تلك المدرسة الصردية التي تختلف قراءتها عن طبيعة الهموم والاشتغالات التي عاشها وأشتعل بها أولئك الأساتذة الذين شاركوا في صناعة الفضلي العالمي.

ومن هنا، فإنني عندما أتحدث عن الفضلي كإنجاز في حاضرة البناء الصدرى، إنما باعتباره إنجازاً صدرىً أو قل إنجازاً استوحى قيمه والتزامه وحركاته ومفهوم البناء لإقامة عالم ونظام ومجتمع إسلامي من خلال مدرسة الشهيد الصدر؛ لأجد نفسي أنني أمام إنجاز صدرى بامتياز. هذا ما أعنيه بالإنجاز، حيث خصوصية الانتهاء؛ لأجد لمسات الشهيد الصدر فيه، ول يجعل منه صدرى المشروع والرؤى والتفكير والسياسة.

ولذلك قال علامتنا الفضلي عن ذلك الفتح النجفي التاريخي الأستاذ العبرri الفذ آية الله الشهيد الصدر: «كان يُمْرِّغ ينطلق في إضافاته المثمرة من نظراته لحاضر الحوزة ومستقبلها من خلال واقع

---

(١) الفقيه المتقد، ٣٨.

رسالتها في حياة المسلمين وتحقيق أهدافها في مجتمعاتهم. وحيث إن الحياة طورت أساليبها ووسائلها، وختلف ثقافاتها تبعاً لتطور حضارتها حتى أصبح الإنسان المسلم المعاصر أبعد مدىً في نظره للمستقبل، وأوسع شمولية في استقطابه لما يدور حوله<sup>(١)</sup>.

وقد ظلل إلى جانب أساتذته الأجلاء (المظفر والتقي الحكيم وزين الدين) في نضاله العلمي والحزوي، وإلى جانب أستاذه الشهيد الصدر في كل حضوره العلمي والحزوي والفكري والسياسي والثقافي، وحتى في قراءاته لإمداد الأمة بالوعي الفكري والسياسي والاجتماعي ما أمكن، والتي كان يعمل بها في مرحلة نشاطه العلمي والحركي في النجف الأشرف، وإن كان في طريقة البحث والاستنتاج العلمي اتخذ منحى الأداء الأكاديمي الذي يعتمد المنهجة المدروسة والإيجاز العلمي الإيجابي الذي يشيع المادة عرضاً وحاجة، وقد تعامل معه الشهيد الصدر في كتابة «الفتاوى الواضحة»، وذلك فيأخذ الجانب التربوي في نظر الاعتبار؛ لتكون مشروعاً جديداً وخلافاً في كتابة الرسالة العملية.

وهذه الرؤية الفضلى النوعية في صياغة الخطاب الحزوي الجديد ملأ بها موقعين:

الأول: مراعاة الجانب الدراسي والعلمي التربوي.  
الثاني: أن تكون في إطار مشروع البناء الصدرى الذي يرمي إلى بناء نظرية إسلامية على أساس علمي رصين وأصيل.

---

(١) المصدر السابق، ٢٨.

ومن ثَمَّ بناء مجتمع إسلامي واعٍ، وينطلق من رؤية واضحة وملزمة ومستوعبة للمشروع، رؤية قابلية وتداعيات.

#### □ مبادئ العمل الفضلية

عندما تكون الظروف معقدة فإنه من العسير أن ينجح المدفوعون دفعاً لمعالجتها، ما لم يملكو القدرة على القراءة الدقيقة لطبيعتها المصabraة والمرابطة حتى الخروج من تداعياتها بنجاح.

وقد أطاحت تلك الظروف بقابلية أشخاص رُشحوا أو زُجوا في أحداث لا يملكون القدرة على فهم طبيعتها ولا تداعياتها، وهذا ما حدث عندما استبسط بعض من التحق بالشهيد الصدر؛ ليكتشف فيما بعد أنه صغير جداً أمام همة عالية، وتطلعات كبيرة، وعفة نفس مجردة عن الهوى والصغار تحمل في طبيعتها شعار: «من لحق بي استشهد، ومن لم يلحق بي لم يدرك الفتح»؛ ليكون آية الله الفضلي المدرك البصير بهذه الظاهرة الصانعة، ويعيش كل هممها وتطلعاتها، بل وضربيتها .. إلا أنه لا يُغفل طبيعة العمل في مثل هذه الساحات، والتي تقضي الكر والفر، الظهور بلغة، والغياب بجسده؛ ليجد نفسه الحاضر بقوّة في تلك الحاضرة والفاصلة التاريخية والمؤسسّة لمرحلة نجفية جديدة متالقة تضجّ بالحياة، وتُنضح حيث الريادة الفذة التي تخزن المثابرة والثبات والتاريخ والتطلع المشروع؛ لتسخّل من خلاها رؤية ومشروع العمل الإسلامي الشيعي في العراق، القائم على الأهداف الثلاثة التالية:

الأول: صياغة النظرية الإسلامية في السياسة والفلسفة والاقتصاد والمجتمع.

الثاني: إصلاح مراكز صنع القرار في المجتمع الشيعي (المرجعية والمحوزة).

الثالث: دفع المجتمع الإسلامي بقوة إلى مشروعه الإصلاحي من خلال صناعة الكوادر الملتزمة وتربيتهم وفق حركة المشروع ومدياته، وتحريكهم نحو الصدام مع العقبات الكأداء لإضافتها ومن ثم إزالتها، وهو المشروع الذي يحمل مشروع المواجهة والشهادة.

مشروعه هذا لا يقف عند حد تلك العقبات الكأداء، وإنما هدفه مواجهتها إلى أبعد حد، وهو قد تصور البديل، وتتصور الحالة والإشكالية والمعالجة وضررية كل ذلك، اعتقاداً منه أن ذلك مسؤولية أخلاقية وشرعية إزاء انتهائه. إلا أن مشروعه هذا كما هو بحاجة إلى منظر لمرحلة التأسيس والبناء الأولى بحجمه، فهو بحاجة إلى مفكرين من الطراز الأول لفهم خطاب النظرية وميدان ذلك الخطاب والنظرية، ما يستدعي منهم استيعاب خصوصية انتهائهم، وطيف الاتهامات الأخرى، فلا يقفون متفرجين إزاء حالات النشاز التي أوجدها المد الشيعي، واحتراقاته لأوساط الم الدينين المشغولون بتحويل عادتهم وتقاليدهم إلى واقع شرعي، ما يعود بكارثية على الخطاب الإسلامي الإصلاحي ومشاريعه، ومواجهاتها أمام مستهدفه، وما يسهل على مستهدفه احتراقه.

فكان على الشهيد الصدر ومعه كادره الذي التفت حوله أن يضعوا لمساتهم الأخلاقية؛ ليعيدوا الكرة في ملعب الآخر الذي كان يزعم أن الإسلام بلا نظرية سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية، بالرغم من أنهم واجهوا عنفاً خطيراً من جهتين:

الأولى: من كثيرون من أبناء الحوزة، والذين لم يفهموا أو لم يستوعبوا مشروعه، أو أنهم يرون في هيمنته لهذا التيار الفكرية والفقهية ما يحجم حضورهم أو يلغيه.

الثانية: المتضرر الآخر، والذي كان مشروع الشهيد الصدر يستهدف من الأساس، وهو النظام البعشي.

من هنا، كان الشهيد الصدر بمجموعته التي عمل على صناعتها وتربيتها وتكييرها يحمل مشروع الإسلام الكبير، فكان مشروعه بحجم الإسلام في شموليته وبحجم فاعليته في بناء الحياة. فكان الصف الأول في مجموعته أفضل من استوعب خطابه ومشروع حراكه، وإن اختلفوا في بعض مفاصل عملهم نتيجة الاحتدام العنيف مع النظام البعشي، إلا أنهم بربوا لأنفسهم ما عرفته النجف الأشرف من متدين إلهياً على مستوى الانفتاح على الآخر وتقديم قراءة نموذجية للإسلام في كافة حقوقه، والتي تمثل أكثر إلحاحاً لدى السائل الآخر.

ولم يكن دخولهم في أجواء الشهيد الصدر وفي مشروعه يهدف أن يتوحدوا جميعهم في إنتاج مادة واحدة وبيان واحد؛ وإنما بتبني كل واحد منهم مجموعة من العناوين والعمل عليها ما استطاع، فكان الشهيد الصدر في مقدمتهم، عندما افتح على أكبر قدر ممكن من العناوين والقضايا التي تُشغل الساحة العراقية والإسلامية، وتعني الإسلام في شموليته وفي عالميته؛ ليشتغل فيها بروحية المتخصص والمبدع المؤسس، وكان كما اشتغل قلمه؛ ليكون المبدع في كل حضوره.

وقد كان علامتنا الفضلي من أبرز علامات الحراك الصدرى

الإصلاحى النموذجى، فاشتغل فى الكتابة والمحاضرات والتبلیغ بحرافية أستاذة؛ ليصف الشهيد الصدر ذلك الحضور بقوله: «والواقع إن ما يجز فى نفسي أن تكون أوضاع الحوزة بشكل يزهد في الإقامة أمثالكم، من يرفع الرأس عالياً، ويشكل رقمًا من الأرقام الحية على عَظَمَة هذه الحوزة التي تُتَعَجَّبُ رغم كل تبعثرها أن ينمو الطالب في داخلها بجهده الخاص إلى أن يصل إلى هذا المستوى المرموق فضلاً وأدباً وثقافة. وعلى أي حال، سواء ابتعدت عن الحوزة مكاناً أو اقتربت، فأنت من آمال الحوزة ومفاخرها»<sup>(١)</sup>.

#### □ سمات ذاتية في البناء

ما نريده هنا هو أن نسلط الضوء على هذه العلامة في حراك الشهيد الصدر، أي الدكتور الفضلي بأخلاقياته، بحركاته، ببياناته، وماهية متجهاته المتميزة طيلة عمره العلمي المبارك.

عندما نزمع قراءته فقهياً وسياسياً ومتقدماً ومنظراً للحركة الإسلامية في العراق، فإننا بحاجة إلى الاقرابة كثيراً منه، حيث سماته الذاتية ودورها في صياغته مفكراً ومنظراً حركياً، وكيف كان إلى الشهيد الصدر ذلك الأخلاقي المتفاني في قضيته، المتميز بنكران ذاته؟؛ لتقرأ في سجاياه ما يجذبه إلى الشهيد الصدر؛ ليرتبطا معاً في الرواية والتاريخ والبناء والالتزام.

ورد عن النبي ﷺ قوله: «ألا وإن الأرواح جنداً محنتة، فما تعارف

(١) منعطف القرار، علي آل مهنا، ٩٥.

منها اختلف، وما تناكر منها اختلف»<sup>(١)</sup>، فلم يكن اللقاء مع الشهيد الصدر لقاء في الرؤية السياسية والمعالجات الإصلاحية فحسب؛ وذلك لأن هناك كثير من يرون ذلك، ولم يكن شيخنا الفضلي منسجّها معهم، ولا متفاعلاً، بل في بعض المراحل كان على النقيض وإياهم، وهذا ما يفسّر ادعاء البعض الانتهاء للشهيد الصدر، فيما أخلاقياته على النقيض والشهيد الصدر، فأصبح احتسابهم عليه إساءة له، وعبّينا على كل حضوره.

هذه الخاصيّة أثارتني ولفت انتباهي؛ نظراً إلى أنني عشت هذه الحقيقة بنفسي، فأتحدث عنها عن قرب وخبرية؛ تكون شخصية بحثنا هنا منسجمة وطبيعة الرؤى والمعالجات الإصلاحية وأهدافها الشريفة، كما أنّ حديثي هنا يختضن الرغبة لدى في أداء الأمانة، وحفظاً لاستاذته في البناء، إلى درجة لا يشعر المدف بمشروع بنائه إلا وقد شبّ عن الطرق، بفضل منهجهية البناء الفضليّة المتميزة.

وفي أجواء الحديث عن الشهيد الصدر والبحث عن شاهدٍ يترجم لي ما يدور في خلدي، فوجدتُّ الكثير ما ينوه به كتابٌ كبير، إلا أن ما كان يعنيني رأيته لدى شاهدٍ عاش الفضلي نجفيًا في النجف، وكيف كان يتعاطى مع الآخرين، وأستاذًا ومربيًا، حتى فيها لو كانوا في بعض حالاتهم خصومًا له، فلنقرأ ما كتبه الأستاذ المفكّر السيد هاني فحص: «ما رأيته في أيامِ الأولى في النجف الأشرف من سلوك ساحة العلامة الشيخ الفضلي اعتبرته لاحقاً بعد تكاثف الخبرة والتجربة لوناً من

(١) روضة الوعاظين، الفتال اليسابوري، ٤٩٢.

تواضع العلماء الذين يتيسر لهم المزيد من العلم بالاجهم الدائم على اكتساب المعرفة، وأحياناً وكلما ازدادوا علماً بدا عليهم أنهم يتهمون أنفسهم بالجهل، وكلما ازدادوا شگاً في معارفهم واستقلالاً لعلمهم، كلما أنصفتهم الآخرون من أساتذتهم وزملائهم وتلامذتهم؛ لشدة تواضعه أغراي أنا تلميذه المبتدئ بالظن بأني زميله، كنتُ أقل إدراكاً لظنتُ أنني أستاذه، ذلك أنني كنتُ أعرف أموراً من نوافل المعرفة؛ لكنه يستحسن بعض ما أعرفه، فيصنفي متعلماً لأكتشف لاحقاً أنني أنا الذي ازددتُ معرفة من علمه، أما هو فقد ازداد محبة في قلبي ومهابة في عقلي.

قيل لدى وصولي إلى النجف بأن في عيني وفي لعني ما يشي برغبة في وصل القديم المجز بالحديث الواجب الإنجاز، فما عليّ إذن إلا أن أعتني بدروسي الابتدائية الحوزوية، وأتابع دروسي الثانوية في مدرسة المنتدى، التي هي نتاج مدرسة فكرية رائدة، أرادت أن تتحقق المطلوب من تأسيس المعاصرة على الأصالة، وكان سماحة الشيخ الفضلي إحدى ثمراتها الأولى. وللسابع كنت تلميذه في المدرسة الليلية، لأكتشف أنه لا يزيد في تعليمي العربية عن إعادة سلعيتي السليمة نسبياً إلى قواعدها، لتحول إلى علم باللغة يؤهلني لفهم النص على نسق علمي، بدل أن يبقى الانطباع هو حيلتي في التعامل مع النصوص، وهو لطيفٌ في الفهم والفقه، ولكنه لا يكفي. من هنا، كان يقف مرتاحاً إلى إنسانياته ومشجعاً، مشترطاً أن أعتني بالوحدة العضوية بين الشكل والمضمون.

هدوءه خفف قلقى الذي يكاد أن يكون من خصائصي، وعندما كاشفته بأنَّ هذا القلق يساورني من استمراري في المدرسة قد يقطععني عن الحوزة، ابتسم ابتسامته المعادة المهادنة مع صوت خفيف في حركة

الشفتين يطمئنك بأن الابتسامة غير مفتعلة، وقال: على بركة الله، فغادرت المدرسة، ألح الصحب الأتراب على أن لدى ما يؤهلهني لتجاوز التراتب الزمني في طلب العلم، وشذوني إلى الصف التحضيري في كلية الفقه، فجمعني الصف الضيق مساحة إلى عشرة ونinet من الطلبة، وعدد من الأساتذة، أطل علينا شيخنا الفضلي أستاذًا نهارياً في موقع الإعداد للدراسة الجامعية التي أريد لها أن تكون مرحلة إعداد حديثة لما لا ضرورة إلى تحدّيثه؛ لأنّه حدّيثه.

وغيّب عنه ثلاثة سنوات لأعود إلى الكلية التي تخّرج منها وعلم فيها من دون أن أكون تلميذه في هذه المرحلة، ولكن علاقته الوظيفية والأساسية بجمعية منتدى النشر والكلية عموماً، وضعتني في سياقه، فانعقدت بيننا صلة وثيقة، أدت إلى قبوله أن أكون مع بعض الزملاء مشرفيّن على إصدار مجلة الكلية «النجف» وتجديدها على مفصل النكسة عام ١٩٦٧م، على أن يكون مثلاً للعمادة في هيئة التحرير، وهنا انفتحت العلاقة بيننا على إشكال لم يلبث أن انفجر، فأنا والأربعة من شركائي في هيئة التحرير لنا موقف سلبي من الموقع السياسي الذي يحتله ساحة الشيخ، من دون أن يستطيعوا بسبب سلوكه المتوازن أن يخلطوا بين شخصه وإطاره السياسي، ولكنهم قرروا أن يستبعدوه بصفته السياسية عن المجلة، وحصل، فصدرت سبعة أعداد من المجلة من دون أن يُدعى إلى اجتماع تحرير أو يُستشار في شيء، واستقونا عليه بنجاح المجلة. ربما تعرض هو للضغط من أطراف حساسيات نخّمنها ولا نعرفها بالتفصيل؛ نظراً لأنّ المجلة المكتوب اسمه فيها مثلاً للعمادة، ابعت خطأً يمكن أن تفهمه بأنه معاد للإسلام السياسي أو الحركي أو الحزبي،

وأدوات تخليله ومشروعه، كان لا بد من يرى ذلك أن يصنف المجلة، فصنفت يسارية مرة، وقومية مرة أخرى، فشعر الشيخ بالخرج الشديد وإنفجر في وجهنا في اجتماع الهيئة الإدارية للجمعية، فاعتذرنا ولكننا واصلنا عملنا بالطريقة ذاتها. كان الحل في النهاية أن تتوقف المجلة عن الصدور بعد عددها التاسع.

نحن شعرنا بالانتصار على الشيخ، على الإطار السياسي المقصود، لم نشعر بالخسارة، أما الشيخ فقد شعر بالخسارة، ولم يشعر بالانتصار على أحد، وهذا كان الفرق بيننا وبينه، وبين ذلك من بقائه على علاقته الودودة بنا، على رغم نظرنا الجافة إليه.

وفي لحظة شرعت شخصياً بأن الرجل يريدني أقرب إليه مما أنا عليه، فاقتربت وأسرّ لي بحبه لي وأمله في ونصيحته لي بأن أتبه إلى أن مستقبلاً علمياً يتضمنني، فلا يجوز أن أفرط في وقتى وعقلى.

أشعرني هذا الكلام بالزهو من دون جبروت، ولكن أثره على فيبيا أراده لم يكن كبيراً، ذلك أنني شديد التوتر وقلقي يتفاقم والحوزة هادئة ومستقرة، أما الشيخ الفضلي فإنه استطاع أن يغضد توترة الدائم واعتراضه العميق بالإذعان العلمي للحوزة، ومن هنا كانت حصيلته العلمية أوفر، ولكن المشترك بيننا أي الانهiam [هكذا] والاهتمام بالحوزة والإسلام والمعرفة والمصير والتجدد، كان واسعاً وكان جامعاً، ويوماً وافيتها بنص من نصوصي المتواترة فقرأه بإمعانٍ ونصحني ألا أنشره؛ لأن الجهة موضوع النقد، وهي سياسية لا تحمله، ويمكن أن تؤذيني؛ لأنها يؤذيه، وهي بحسب تجربته المعمقة داخلها، لا تسامح في أي أمر يطال

بُنيتها وأداءها شأن أي حزب، وإن كان ذلك لم يمنع أن تتطور بعد خسائر جسيمة لتصبح أرحب وأكثر إصغاءً للنقد المخلص، وامتثلت لنصحه .. وهذا شاهدٌ من شواهد شهادتي له. وقد كنتُ أفضل أن يشهد لي أكثر؛ لأنَّه يشهد لي بالإخلاص، وسلامة الذات وحبَّ المعرفة والإخلاص، ولكنه لا يشهد لي بالصبر والأنانة .. لقد استعجلت، أما هو فقد تأني وصَبَرَ. وعاقِبَةُ الصبر: الاجتهاد، وإحساس الجميع بحاجتي: الحاجة إليه، وأنا الآن أحارُّ بالاعتدال الذي اهتدي إليه الشيَخ مبكرًا أن أعرّض بعض ما فاتني.

كدت لطول ما رأيته قليل التغيير لملابسِ صيفاً وشتاءً أن أسأله عما إذا كان بحاجةٍ إلى المال، واستبعدت أن يكون بحاجة، وإنما هو الزهد والتواضع، ولكنني لاحقاً اكتشفتُ أنه بحاجة إلى المال، ولكن العفة بلَغَتْ منه مبلغاً، جعله يرى قديم الثوب جديداً، وجديد العلم قدِيمَاً .. فيمضي يجدد علمه ويضيفي من عقله ومضمونه على ثوبه وشكله .. وأخذنا نرى ثوبه نظيفاً أنيقاً جديداً<sup>(١)</sup>.

لقد لامست هذه الكلمة حقيقة شيخنا الفضلي، إلا أن هناك مفردة أراها لم تأخذ حقها في كلمة السيد فحصن، وهي فيها يتعلق بملابسِه وعدم التغيير لتعففه، فمن خلال ما رأيته أنه حتى بعد أن كان في وضع مادي مريح جداً لم يختلف شيئاً في حياته.

كان يشير انتباхи بشدة كلما زرته، فهو بالرغم من زياراتي العديدة له، فإنني لم أجده شيئاً يتغير في مجلسه، حتى الكتبة المثلثة بزواجه لم تتغير،

(١) منعطف القرار، علي آل مهنا، ٣٥٣-٣٥٨.

والتي في بعض مقاعدها ضعيفة لا تقوى على تحمل الحالس الصغير، فلم يتغير حتى لون الصبغ العادي جداً لمجلسه، وكذلك البساط. وأما ملابسه، فإني لا أكاد أراها تتغير، على رغم المسافات الزمنية التي أحظى بشرف زيارته، وإذا تغيرت لا أستطيع أن أنتبه لذلك التغيير؛ لعدم اهتمامه بذلك.

في الواقع لا يمكننا القول بأنه كان متuffقاً بالرغم من حاجته للهال، وإنما كان زاهداً وورعاً. فتاريخه وماضيه وما أنتجه وما يتوفّر عليه من حصيلة علمية قرأها الفقهاء والأساتذة الجامعيين والمثقفين الذين شهدوا له بعلوّ كعبه فيها كتب. لم يتحرك باتجاه تسيني نفسه مقاماً يت المناسب وتلك الآثار الجليلة التي أثرى بها المكتبة الإسلامية والمحوزية، حيث تلاميذه بلغوا مقامات عالية في الحوزة، وهم يشهدون بأستاذيته عليهم، إلا أنه لم يسع إلى شيء من ذلك، ليبحث عنها يحقق آماله وطموحاته الجليلة، وإن كانت في أحد تلاميذه؛ ليعيش نكران الذات كما هي حالة أستاذه الشهيد الصدر.

في احتضانه لمن يعتقد أنهم طاقات شابة يمكن أن تشبع وتكبر، رأيت تبنيه الكبير دون أن يعنيه انتهاء اهتمام الثقافية والفكرية، فيreauهم، ويتوافق معهم ليسره أن يرى أحدهم وقد وضع قدمه على المسارات الأمولة لديه.

رأيت ذلك معى، بالرغم من تقديم ميلاده المبارك على ميلادي بأكثر من ثلاثة عقود ونصف إلا أننى لم أشعر أننى أجلس يوماً إلى أستاذ يُلقى على درسه أو تعليماته أو تجاربها، وإنما إحساسى معه دائمًا

أني في حلقة حوارٍ ومناقشة وتداول، تأتي إلى فكرته بحماسٍ شديد، فلا تجده يحفل بذلك فرحاً أو مكسبًا، وإنما عينه على بناء إنسانٍ مثقفٍ ومفكّر وطموح.

تسأله: «ما جديتك؟»، فيذهلك بإقباله عليك، يراك كفواً أن يجيبك حتى بتفاصيل إنجازه، إلى حد أن يقول لك أين وصل، أسأله بخجل، لأكون بنشوة عارمة عندما يجيئني على ذلك النحو من التفصيل؛ لأنني أرى نفسي كبيراً في عينه عندما يتحدث لي على ذلك النحو.

ومن جهة أخرى لا يتصحّح أمامك تاريخه ليشير إلى ذاته وإلى إنجازاته، فيتشي بالتفتي بها، وإنما يجيبك عند سؤالك عن جديدك، إلا أنه في اهتمامه مشغولٌ ببناء آخر يضع اللبنات الجديدة على ما بناه سلفاً. لا تجده يهدم بناءً ارتداً على فكرة أو نكوصاً عليها، لأن فلاناً آمن بها، وتواترت له الظروف لترجمتها قبله، كما هي حالات بعضهم.

في اللقاء الفكري الذي شرّفتُ بإجرائه معه، والنشر في مجلة المنهاج في العدد (٤٧)، ذكر تأسفه لأسلوب الدرس والتدرис، سواء في الجامعات أم الحوزة، وهو عدم تبني الطالب كشريك ومشارك في الدرس، وإنما الإبقاء على التقليدية التي تحدُّ من نموّ وبناء ذهنية الطالب، حيث لا تتجاوز أن تسير بالطالب وقد تخرج بتلك المادة وبتلك الكيفية، في حين يريد أن يخرج الطالب مستقبلاً المادة ليتطور فيها بطريقة مبدعة ومنتجة، وهو ما يعوّده على الإبداع والإنجاز مبكراً، في حين أن التقليدية في طريقة الدرس في الأكاديمية والحوزة تؤجل ذلك

إلى سنٍ متأخرة، قد يقضى على وهج الحماسة التي يتمتع بها أيام دراسته.

■ تتميز كتاباتكم بأنها تسعى إلى منهجية الدراسات الحوزوية بأسلوب أكاديمي يركّز على المعلومة وتبسيطها وحذف المكرر، بدءاً بالمقولات (ختصر النحو، وخلاصة المنطق، ومبادئ علم الفقه، ومبادئ علم الأصول)، وانتهاء بالسطوح العليا من خلال دورتي الفقه والأصول اللتان قدمتها للطلبة. لا تتصور أن ذلك يؤثّر سلباً على شمولية العرض وعمق الاستدلال للطالب الحوزوي؟ وهل مشروع رسم الخطط للطالبمنذ بدء دراسته يمكن أن يساعد على تحديده لأهدافه ومعايشه لواقعه؟ ولا اختصاره للزمن الذي يستكفي منه داتماً في الدراسات الحوزوية؟!

□ بالنسبة للمحاولات التي قمتُ بها أعتبرها محاولات متواضعة وتجارب بسيطة، والذي دفعني إلى وضع أمثل هذه الكتب هو افتقاد العنصر التربوي في الدراسات الحوزوية، بمعنى أنني أحبيت أن أدخل العنصر التربوي إلى جانب العنصر التعليمي.

نحن لا نريد الطالب في الجامعة أو في الحوزة أن يكون متلقياً كالطالب في الابتدائية أو في المتوسطة أو الثانوية، نريد من الطالب في الحوزة والجامعة أن يكون مشاركاً، نريد أن نربي فيه الذهنية العلمية، نريد أن يكون مشاركاً في مرحلة البكالوريوس وما بعدها، أو في مرحلة البحث الخارج في الحوزات العلمية، لا نريد أن يكون لدينا أستاذ ولدينا طالب، والطالب يتلقى فقط. نريد طالباً مشاركاً وأستاذًا مشاركاً، مع

الفارق في المستوى، هذا لا يتأتى إلا إذا أدخلنا العنصر التربوي، وهي محاولة<sup>(١)</sup>.

لا تسمع منه عبارة: «لا زلت صغيراً» أو «أنت لست أهلاً في أن تخوض في هذا»، أو «هذا ليس تخصصك، أو من شأنك»، ليُنهي حواره معك بهذه العبارة بمنطق فوقِي متعالٍ .. أبداً، وليس من سجاياه أن يفعل ذلك، ولم يفعل. بل كلّ همه أن يضيء لك الأشياء بحاسة شبابك، دون أن تعبث بسجاياه سنوات شيخوخته التي تهجمت عليه دون هوادة. من هنا، فإن زيارته والجلوس معه حلقة درس لا تبدأ بعنوان، ولا تنتهي بـ«احفظ عنّي ذلك، رعاك الله، وسائلك عنه»، لذلك تشتاق بجلساته التالية وأنت في مجلسه.

بل كان يشعرني أنني أفضل زائر له، فإذا رأيتُ كيف استقبل ضيوفاً جددًا،رأيته يصنع لهم ما صنع معي، بالرغم من أنهم قد يختلفون معه فكراً واتهاءً، وقد أوضح لي عن بعض زواره واختلافهم معه، إلا أنهم لم يستكروا منه تقصيرًا ولا مللاً ولا استخفافًا.

لنقل ذلك سجية جُبل عليها، أو لنقل ذلك التزام شديدٌ منه بمشروعه في بناء ما أمكنه في أمته التي اشتغل لأجلها منذ خمسينيات القرن الماضي الميلادية. والصحيح أن كلّيهما اجتمع في عملية البناء، ولا يستطيع أن يُفتر على ما لم يكن مجبولاً عليه لأكثر من خمسة عقود متالية.

---

(١) نص اللقاء الموجود لدى.

## □ حضوره حيث هي آماله وطموحاته

ثلاثون عاماً من عمره المبارك في قراءة المقررات الدراسية الحوزوية، وإعادة صياغتها منهجاً وأسلوباً، خطتها التبسيط والإيجاز غير المخلين بطبيعتها العلمية. وبقدر ما يعني هذا العمر المبارك من الالتزام بقضيته، بقدر ما يعني ذلك نفَسَةُ الطويل في العمل لإنجاز ذلك المشروع الكبير المحور ما يُبرز خاصية الثبات لديه، ويتعاطى مع التنوع الزماني والمكاني الذي عاشَ ألوانَ مختلفة من التغيرات والتحولات، دون أن يُحدث ذلك ارتجاجاً أو اهتزازاً في قناعاته أو التزاماته. وإن كان له من قراءة جديدة أو رؤية جديدة، إنما هي وفق أصول البناء والالتزام الفقهي والفكري لديه؛ ليكون أكثر إبداعاً ونموذجاً في تقديم رؤيته مع تقدم الزمن.

وهذا ما يبرز خصوصية أشار إليها الصديق العزيز الشيخ إبراهيم الرضي - حفظه الله - في حديث شخصي عن التزام شيخنا الفضلي بالمرجعيات الحركية طيلة تاريخه، ويتسلط الضوء من جهتي على رؤية سماحة الشيخ الرضي،رأيُّ الشيخ الفضلي يقتربُ كثيراً كلما كانت المرجعية الدينية تتحرّك أكثر وتعيش مع واقع أمتها أكثر فأكثر.

فتمثل ذلك في دعمه لمرجعية آية الله السيد محسن الحكيم، والذي تبنته ودعمته كل جبهة الشهيد الصدر، ودافعت عنه وقدّمه إلى الأمة باعتباره المرجع الأعلى للطائفة؛ ليتحرّك الحكيم مع هذا البناء، وكانت أمنية الشهيد الصدر وجهته أن تكون المرجعية التي تختلف السيد الحكيم تحمل ذات الرؤية وذات الهم، وتتحرّك باتجاهه، إلا أن رؤية

المرجعية الخلف، والمتمثلة في ساحة آية الله العظمى السيد أبي القاسم الخوئي لا تتحى ذلك المنحى، وإنما اشتغل بخصوصيته الحوزوية مرجعاً في الفتوى بالمعنى التقليدي، وأستاذًا في دروسه المنهودة ما استطاع، ولا يتوجه إلى العمل السياسي إلا في ظروف خاصة جداً، ومحدودة جداً.

إلا أن حراك المرجعية لم يتوقف عند آية الله السيد محسن الحكيم، وإنما كان هناك حراك رافق مرجعية السيد الحكيم، وتبع خطاه بعد رحيله، بل كان أكثر حراكاً مما كانت تعشه مرجعية السيد محسن الحكيم، وهي مرجعية الإمام الخميني، فيما مرجعية الشهيد الصدر كانت تتوجه لتكون بدليلاً جاداً في النجف الأشرف. إلا أن الشيخ الفضلي، ومن خلال قراءته وفهمه لواقع النجف الأشرف وطبيعتها، وحساسيات المسألة لم يكن يرى الأجواء مؤاتية لمرجعية أستاذه الشهيد الصدر، ناهيك عن المعاناة التي بلغت أوجها جراء من جعلوه خصماً أو عدواً لهم، ولجهة انتهائهم.

وبالرغم من أنه لم يعلن موقفه حينها، إلا أنه كان يرى في الشهيد الصدر المرجعية الفقهية الأصيلة الملزمة وفق الرؤية الحوزوية التقليدية في مفهوم الأعلمية ومرجعية التقليد، وكان يرى فيه المرجعية الحركية التي تمثل طموحة وقراءته وتطلعاته لحركة المرجعية القائدة في الأمة.

ذلك كان في أيام وجوده في أتون الحراك العراقي من خلال حزب الدعوة، الذي كان أحد رجالاته، فيما نأى بنفسه عن هذه المسألة بعد استشهاد الشهيد الصدر، لينحو إلى التعاطي مع مسألة المرجعية حيث

قابلية الناس وواقعهم، وقدرتهم على التجاوب معها. ولذلك كان تعاطيه مع مرجعية السيد الخوئي، الذي كان من الناحية العملية مرجحاً على مجموعة من الفقهاء المراجع المعاصرین المعروفين، فيما كان موقفه ملفتاً يوم أُعلن بعد وفاة آية الله السيد الگلباني تأييده لطرح النجف الأشرف والمتمثل في آية الله السيد السيستاني، ولطرح قم المقدسة والمتمثل في آية الله الشيخ الأراكي، وهو الموقف الذي آمن به، حيث القبول بتنوع مرجعيات التقليد، والالتفاف حول قيادة فقهية ملتزمة متصدية، والتي كان شخصها آية الله الإمام الخامنئي، والذي رأى فيه بعد أن طُرِح للتصدي للمرجعية من قبل جماعة المدرسین، وثُلّة كبيرة من الفقهاء الكبار، ليجد فيه النموذج الناجح والعملي الذي يُحْسَد شخصية مرجع التقليد والقيادة.

لم يلتفت إلى حقيقة هذه الرؤية إلا قلة، كان من بينهم أستاذنا الفضلي، لتتجلى هذه الصورة بعد رحيل الإمام الخميني، وذلك لأن خلفيته لم يكن حينها أحد مراجع التقليد، كما أنه لم تُتح له إبراز هذه القراءة إلا متأخراً، بعد أن أُعلن بأنه لم يبق في العمر ما يُخشى عليه من أجله في محاضرة له تعتبر الموقف الرسمي والعلني الذي أفضى فيه برؤيته تجاه القيادة والمرجعية، والذي أرجعها إلى لقائه بالإمام الخميني عام ١٩٦٣ م في قم المقدسة، بعد أن سأله عن اشتراط المرجعية في الولي الفقيه، فأجابه بأن رؤيته الفقهية لا توجب الولي الفقيه أن يكون مرجعاً أو أن يكون الأعلم.

وهذا كان بعد رحيل الإمام الشهيد الصدر، والذي كان ملتزماً مشروعه حتى في دعمه لمرجعية الإمام الخميني. وحيث مريديه للتزام

ذلك، من خلال رسالته إلى طلابه في إيران قائلًا لهم فيها: «ويجب أن يكون واضحًا أيضًا أن مرجعية السيد الخميني التي جسّدت آمال الإسلام في إيران اليوم لا بد من الالتفاف حولها، والإخلاص لها، وحماية مصالحها، والذوبان في وجودها العظيم بقدر ذوبانها في هدفها العظيم»<sup>(١)</sup>.

وما اتضح من عبارة الشهيد الصدر الآنفة أنه يرى في المرجعية التي يمثلها المرجع من حيث حضوره وحضورها، والتي حسم الأمر فيها، بعد تردد في شأن المرجعية التي يتعاطى معها بهذا النَّفَس المُتحمِّس، بعد أن كان قد تبنَّى مرجعية الإمام الخوئي بمعناها الحركي، إلا أن سياسة العمل المرجعي عند الإمام الخوئي وطريقة مواجهتها للأزمات والاستهدافات تختلف ورؤيه الشهيد الصدر، ما فرض على الشهيد الصدر أن يقدم رؤيته الفقهية والفكرية لعمل المرجع والمرجعية من خلال رسالته (المرجعية الرشيدة).

بعد وفاة الإمام الخميني رض، لم تكن مرجعية خَلِفِه الإمام الخامنئي قد تبلورت بالمفهوم الحوزوي الطبيعي للمرجعية، وإنما بُرز كولي فقيه، فإن العلامة الفضلي قام بدعمه من خلال رؤيته هذه، ولكن بعد أن تم طرح مرجعية الإمام الخامنئي كأحد مراجع التقليد، وقد احتضن قضايا الأمة برؤية رشيدة هي ذات تطلع الشهيد الصدر ومنهجيته المتميزة والجريئة في معالجة قضايا الأمة، والتي تجاوز بذلك حدود القُطر الإسلامي الإيراني، فإنه تبناه إلى أبعد حد، ووفق الرؤية الحوزوية

---

(١) السيد محمد باقر الصدر.. السيرة والمسيرة، ٤ / ٢٧.

الطبيعية لولادة المرجعية، ووفق رأيه الفقهى لرجوع التقليد، وإن ظل ملتزماً برؤيته في مسألة تعدد مراجع التقليد بالمفهوم التقليدي، ووجوب الالتزام بقيادة المرجعية الحركية المتصدية للواقع الإسلامي بالمفهوم الصدرى.

بدأت العمل الإسلامي وعلى وقع المد الشيعي على كل العراق، والذي أضعف حضور وفاعلية المؤسسة الدينية، وعلى قدرتها في توجيه الأحداث والواقع على الساحة العراقية، وذلك «بما يملكه من فكر أيديولوجي قائم على مبادئ ونظريات وغايات، وله تجارب ناجحة في ثورات الشعوب، والأهم من ذلك أن حركته السياسية والفكيرية متمثلة بالحزب الشيعي تملك تنظيماً عالمياً عالياً»<sup>(١)</sup>، كان هناك تحرك نحو مشروع إسلامي حركي يبحث عن صور منطقية ومعاصرة ومنسجمة والواقع المعاصر للدخول إلى ساحة العمل الإسلامي.

«وكانت البدايات التأسيسية للحركة النجفية السياسية قبل انقلاب ١٩٥٨م وقيام النظام الجمهوري ببعض سنين، يروي لنا الفضلي تلك الأيام فيذكر أن الساحة السياسية كان بها حزبان إسلاميان سنيان: حركة الإخوان المسلمين التي كانت سرية في البداية، وانبثق منها بعد قيام النظام الجمهوري (الحزب الإسلامي)، والحزب الآخر (حزب التحرير)، وكلاهما كانت مرجعيته خارج العراق.

وفي وقت متقارب قبل قيام النظام الجمهوري ببعض سنين، بدأ تحركاً في الحياة السياسية الشيعية، الأول في النجف، والآخر في بغداد.

---

(١) الفقيه المثقف، ٣١.

ففي النجف كان المرجع السيد محسن الحكيم يحمل - كما أشرنا - مشروعه السياسي لقيام دولة إسلامية في العراق، وكان عدد من العلماء الشباب يومها يتفاعلون مع ما يجري على الساحة العراقية والعالمية، ويرون وجوب التحرّك السياسي ليكون للإسلام كلمته في الساحة، فكانت الانطلاقة الأولى في النجف عبر تأسيس جماعة العلماء التي يشرف عليها السيد الحكيم في عام ١٩٥٩م، وكانت الجماعة تصدر نشرة باسم «الأضواء» يكتب افتتاحيتها السيد الشهيد الصدر، وتضم هيئة تحريرها الفضلي والشيخ محمد مهدي شمس الدين، والسيد محمد حسين فضل الله، والشيخ كاظم الحلبي، والشيخ محمد رضا الجعفري، وتكتب الجماعة منشوراً أسبوعياً يكتبه السيد الصدر يرسل لجميع أنحاء العراق، ويقرأ في الإذاعة العراقية، وهذه الحركة كانت بداية العمل الجهادي للشيخ الفضلي وأساتذته وصحبه في الساحة الثقافية والسياسية العراقية، وقد شارك فيها الفضلي مشاركة فاعلة بالقليل والمنبر والميدان.

أما في بغداد، فكان الكثير من شباب الشيعة المثقف يرى ويقرأ عن الأحزاب الإسلامية وأطروحتها، فتحرّك جماعة منهم وانضموا في البداية إلى حزب التحرير، وكان منهم: المهندس محمد هادي السبيتي، وأخوه المهندس محمد مهدي، والشيخ عارف البصري، والدكتور جابر العطا، والشيخ سهيل نجم، والسيد طالب الرفاعي، وكانوا يومها مثقفين مؤمنين طموحين يبحثون عن تغيير واقعهم ويحملون فكراً شيعياً واعياً للمرحلة ومدركاً لتحديات الواقع ومتأنثراً بما يقرأ ويسمع، ولم يكن حزب التحرير يومئذ يظهر تعصبه وطائفته.

ولكنهم، وبعد أن أظهر الحزب تعصبه ضد الشيعة، استفتوا السيد الحكيم في حكم الانضمام إليه، فطلب السيد الحكيم ~~بيان~~ من الشيخ محمد أمين زين الدين أن يقرأ كتب الشيخ تقى الدين النبهانى مؤسس الحزب، وبعد أن اطلع السيد الحكيم بما حوتة، أصدر فتواه بحرمة الانتهاء لحزب التحرير.

في إثر ذلك، تحدث كل من المهندس محمد هادي السبتي، والشيخ عارف البصري، والسيد طالب الرفاعي مع السيد مهدي الحكيم، وطرحوا عليه ضرورة وجود حزب إسلامي شيعي. وبعد التداول، فاقحوا السيد محمد باقر الصدر في ذلك، فأيد الفكرة ولكنه طلب موافقة السيد الحكيم والشيخ مرتضى آل ياسين.

وبدأ الصدر - بعدأخذ موافقة وتأييد المرجعية - بوضع وكتابة الأسس الإسلامية التي يرى أن الحزب والدولة الإسلامية يجب أن تقوم عليها. ثم دعا السيد مهدي الحكيم مجموعة من العلماء لحضور درس السيد الصدر للأسس الإسلامية، حيث بلغ عدد الذين حضروا الدرس (١٥) عالماً، تم اختيارهم بعناية، منهم السيد مهدي الحكيم، الشيخ عبد الهادي الفضلي، السيد طالب الرفاعي، الشيخ مهدي السماوي، الحاج محمد صالح الأديب، الشيخ عارف البصري ... ولا يمكن اعتبار حلقة الدرس هذه الخلية الأولى في الحزب كما توهم ذلك بعض الباحثين، وإنها هي تأصيل للأساس الفكري الذي سيقوم عليه الحزب».

يقول العلامة الفضلي: «إن حلقة الدرس استمرت أكثر من سنة،

ويبلغ عدد الأسس كاملة (٢٨)، والمنشور منها حالياً (١١) فقط، ولا يُعلم إن كان الباقي موجوداً عند أهل بيت السيد الصدر أو عند آخرين<sup>(١)</sup>.

ولما توجه كل عنصر من عناصر جبهة الشهيد الصدر للعمل التحديدي في مناهج ومقررات الدراسة الحوزوية، بالإضافة إلى النهوض بالفكر الحوزوي بمستوى تلك الطموحات والأمال، عمل كل واحد منهم للتصدي لملف له دور في بناء وعي الأمة العلمي والثقافي والسياسي والاجتماعي الذي قد أصيب بالفوضى والعشوائية، وأرهق من التقليدية الجامدة التي تصرفه عن أهدافه ليصوغه بمنهجية ذات رؤى وأهداف واضحة ومحددة ومنسجمة، وقيم وأهداف وتطلعات القراءة الصدرية وغاياتها الشريفة، رغبة في تحريك واقعهم نحو قراءتهم المثلث لهم.

وكان من أهم ما يشغل ذلك الفريق هو حاجة المؤسسة الدينية إلى مناهج علمية وفكرية وفقهية قائمة على أساس تربوي ملتزم للدراسة، وأخرى للفلسفة الإسلامية والسياسة الإسلامية والاقتصاد الإسلامي والمجتمع الإسلامي للنهوض بالأمة، ما دفع كل واحد منهم إلى أن يتصدّى لقيام بما توجه إليه قابلية واستعداده.

وكانت الحوزة أحوج الواقع التي يتحرك فيها ذلك المشروع إلى جبهتين:

---

(١) المصدر السابق، ٣١-٣٤.

الأولى: إعادة القراءة للنصوص القرآنية والنبوية وروايات أهل البيت عليهم السلام، بل حتى فقهاء الطائفة للدولة الدينية ومقتضياتها.

الثانية: منهجية مقررات الدراسة الحوزوية؛ لتكون دراسته ذات بدايات واضحة، وأفق واضح وتصور واضح ورؤى واضحة، حيث التركيز على الرؤى التي تعمل على تغيير الواقع إلى منشود واضح ومعلوم.

فتبنى العلامة الدكتور الفضلي، كما ذكرنا سلفاً، الحضور بما يحكيه حجمه وزنه في الساحة ليملأ كل شاغر يمكنه أن يملأه. ولذلك فإنك عند توجهه لساحة العمل، بزرت أمامه من خلال قراءة واقعه أربع قضايا مهمة ومصيرية، وهي:

١. دوره في مشروع الدولة الإسلامية.
٢. مقررات الدراسة الحوزوية.
٣. انتشار الساحة إلى كتاب حقيقين، وافتقار المكتبة الإسلامية إلى الكتب ذات القيمة العلمية والفكرية.
٤. نقل ثقافة الحوزة ورؤيتها إلى الشارع، ونقل خطاب الشارع إلى الحوزة.

وهذا ما ستتناوله بشيء من التفصيل في العناوين اللاحقة، إن شاء الله.

## □ دوره التأسيسي في الحركة الإسلامية في العراق

في سياق فهمه للإسلام، والذي تولد لديه من خلال حراكه على المستويين العلمي والسياسي مع الأساتذة الذين استلهم منهم فن-

الكتابة وصياغة الرؤية في قالبها اللغوي، والأستاذ الذي عاش معه واستلهم منه الإسلام الذي يعني صياغة الحياة بكل مواقعها ووقائعها وفق منظور ديني مستلهم من مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

منذ البدء، كان الشهيد الصدر يتحرك باتجاه صياغة رؤية متكاملة للإسلام في إدارة الحياة السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية، كونه القراءة الحقيقية للواقع، والعلاج الأنفع لإشكالياته، والبديل لأى عجز أو ضعف أو إفراط في أي معالجة أو رؤية اجتماعية أو فشلها.

في لقاء لي معه، يقول العلامة الفضلي: «إن الإسلام لكل الحياة، ولا يستثنى شيئاً منها، فلا يمكن أن يعالج إشكالية لأنها مسألة دينية، ويترك أخرى لأنها مسألة اجتماعية لا علاقة لها بالفتوى». وهذا الرأي اشتغل عليه الشهيد مرتضى مطهرى، وتعرض له في كتابه الاقتصاد الإسلامي في قوله: «وقد ذهب بعضهم إلى أكثر من ذلك، فقالوا: إن الحياة - بكل ما فيها - شيء الدين شيء آخر، ولا ينبغي إدخال الدين في قضايا الإسلام».

خطأ هؤلاء الأول هو تصورهم لقضايا الحياة مجردة مجردة. كلا، إن الحياة وحدة متكاملة من اجتماع كل شؤونها، بعضها إلى البعض الآخر، وصلاح أو فساد كل شأن منها يؤثر على سائر شؤونها، فلا يمكن أن تكون ثقافة مجتمع أو سياساته أو قضاوته أو أخلاقه أو اقتصاده أو تربيته فاسدة، ويكون دينه سالماً، وبالعكس»<sup>(١)</sup>.

---

(١) الاقتصاد الإسلامي، الشهيد مطهرى، ١٥

وهذا ما يجعله يتحرك في اتجاه تفعيل هذه الرؤية، من خلال القنوات المتاحة، وفي المساحة التي تقبل بذلك، ذات الفاعلية السياسية الملتزمة بقيم وأخلاقيات الحوزة من منظور صدرى؛ ليكون ذلك من خلال حزب الدعوة.

حيث تأسس حزب الدعوة على أساس تلك القيم وتلك الأخلاقيات وتلك الأهداف، وبتلك القضايا والاهتمامات، فكان صف القيادات الأول ما تخوض عنه اجتماع كربلاء، ثم بعد ذلك قيام بعض القيادات بالدعوة لبعض من يحمل أهلية الانضمام إلى هذا الحزب الإسلامي الفتى.

ولم يكن ما بين تأسيس حزب الدعوة ودخول الجيل الثاني مدة تقضي بتفاوت كبير بين الأعضاء المؤسسين والأعضاء الجدد، مضائفاً إلى خبرات الأعضاء الجدد، أو علاقاتهم بالشهيد الصدر كالشيخ الفضلي جعلهم في موقع مؤثر جداً على مستوى الصياغة والصناعة الخزبية، خاصة وأن الشيخ الفضلي كان من حُضّار دروس البناء لأسس الحزب، أي في بداياته الأولى، وليس متأخراً عن ذلك.

وكما ذكرنا سلفاً، إن شيخنا الفضلي التزم منذ البدء بأستاذه الشهيد الصدر، وتبني رؤيته، إلا أن ذلك من خلال وعيه، وفهمه لطبيعة المشروع الذي التزمه أستاذه، ما دفعه إلى أن يكون حاضراً فيه بقوة، بل علامة جلية ومؤثرة فيه.

وعلاقة أستاذنا الفضلي بأستاذه الشهيد الصدر كما يروي ساحتة

استمرّت عقدين من الزمن<sup>(١)</sup>، لتكون بداياتها بعد قدومه للنجف بثلاث سنين تقريباً، أي عام ١٣٧١ هـ، فيها فارق العمر بينها سنة واحدة، أي كان الشهيد الصدر في الثامنة عشرة وشيخنا الفضلي في السابعة عشرة.

علاقة مبكرة جدّاً، وحيث كان الشهيد الصدر العقلية الفذة والعبقرية المتألقة، فيها كانت بدايات الشيخ الفضلي حينها مع الدراسات الحوزوية العليا، فقد كان ارتباطه بالشهيد الصدر ارتباطاً مناقبياً، بين أستاذِ ملهم وتلميذ طموح، ما جعله يحرّك كوامن الفاعلية والإبداع عنده، فينطلق بقابلياته ونضجه وروح الإبداع لديه مع الشهيد الصدر، حيث مثل في حراكه كل معنى الإبداع والتألق التي لا تزال تسير أمامه راشدة وراعية وقادمة.

لا أستطيع أن أورخ أول حركة سياسية بالمعنى الحرفي في النجف الأشرف بالمعنى الثقافي، نظراً إلى أن النجف كانت حاضرةً منذ أحداث فتوى التنبك عام ١٣٠٦ هـ في خضم العراك السياسي، إلا أنه يمكننا تأريخ أول حراك تنظيمي سياسي نجفي، وذلك من خلال تنظيم عز الدين الجزائري تحت عنوان «تنظيم الشباب المسلم» عام ١٩٤٠، وهذا يعني أنه سبق تأسيس حزب الدعوة بأكثر من سبعة عشر عاماً.

وكان النشاط السياسي يتحرّك بأشكالٍ شتى؛ ليتوجّ أخيراً بتأسيس حزب الدعوة الإسلامية، والذي تزعّم تأسيس قواعده الفكرية والسياسية والتنظيمية آية الله الشهيد الصدر رض.

---

(١) منعطف القرار، علي آل مهنا، ٢٢٠.

إلا أنه، ونظرًا إلى أن الأحزاب الإسلامية المعاصرة لم تكن تملك فكرًا تنظيمياً، وذلك بعد عملية المسح التي طالب بها الشهيد الصدر للحركات السياسية الإسلامية والعلمانية المعاصرة<sup>(١)</sup>، فإنه توجه إلى تلك الخطوة ليكون تنظيمًا إسلاميًّا يتحرك وفق قواعد حزبية عملية ورؤى سياسية ثابتة واضحة.

وهذا يعني أن الشهيد الصدر وإن تحرَّك في تأسيس قواعد حزب الدعوة التنظيمية، إلا أنه كان بحاجة إلى حراك ثقافي متنوع وفاعل بأقصى درجة على مستوى القادة المؤسسين، الذين عاشوا ويعيشون كل أدبيات الحزب الفكرية والسياسية والاجتماعية، وفي مساحة أكبر نظرًا إلى أهدافه الكبرى.

ولذلك كان الشيخ الفضلي من الكتاب المبدعين في مدرسة الشهيد الصدر؛ لتكون بعض كتاباته على شكل مقالات في مجلة «الأضواء» التي كانت تصدرها جماعة العلماء، وكان هو أحد أعضائها التحريريين، وبعضها كانت كتبًا، وهي كلها في سبيل صناعة وإشاعة رؤية إسلامية سياسية تأسيسية، والتي من بينها:

١. منبعثة إلى الدولة (مقالة).
٢. نحو كتابة دستور إسلامي (مقالة).
٣. مشكلة الفقر (كتاب).
٤. في انتظار الإمام (كتاب).
٥. حضارتنا في ميدان الصراع (كتاب).

---

(١) منعطف القرار، علي آل مهنا، ٢٠٣.

٦. الدولة الإسلامية (كتاب).
٧. جدل الرؤى (مقالات في الفكر السياسي الإسلامي).

وكان هذا النوع من الكتابة مجرأة وإقداماً يعتبر في حد ذاته مجازفة بالمشروع السياسي الذي يعمل من أجله، وقد تتجاوز التداعيات حدود التخلّي عن المشروع إلى التخلّي عن الانتهاء للحوزة، كما كان ذلك من بعض المتممـين لها.

التزامـه ذاك، يحكي عمق إيمانـه بقضـيته، ووعـيه العمـيق بها؛ ليظهر ذلك في أـجل صـورة من خـلال زـيارـته للإـمام الخـمينـي، وهو حينـها في السـابـعة والعـشـرين من عمرـه المـبارـك ليقدم للإـمام تصـورـاته للعمل الإـسلامـي، فـكان مـوفـقاً بـدرجـة فـائقـة، كـونـه يـتكلـم بـحرـفـية بـخطـاب إـسلامـي مـلتـزم في السـيـاسـة وـالعـمل الخـزـي، وـفي وقت مـبـكر جـداً بـالـنـسـبة لـلـعـمل الإـسلامـي الشـيعـي، نـاهـيك عن الـهمـوم الـتي بـرـزـت في حـديـثـه مع الإمام الخـمينـي، وـهو الـهمـ المشـترـك. فهو لا يـشـغـله الـهمـ فقط، وإنـما يـعيش ذـهنـية مـفـتوـحة على الوـسـائـل المـنـطـقـية لـتـرـجـة تلك التـطـلـعـات، ولـذلك أـعـجب الإمام الخـمينـي به وبـأـطـروـحـاته، ثـمـ سـأـلـه الشـيخـ الفـضـلي [أـي سـأـلـ الإمام الخـمينـي] عن حـركـته [أـي عن حـركـة الإمام] مـشـيرـاً إلى أنها تعـتمـد نوعـاً جـديـداً من الثـورـات ليس له مـثـيل سـابـقـ، يـقوم على طـرـيقـة المرـجـعـية في مـقـابـل طـرـيقـة الخـزـيـة. فالـثـورـات السـابـقة حيثـ الشـعـبـية منها بدـأـت بـحـركـات وأـحزـاب سـرـيـة، فأـعـجب الإمام الخـمينـي بـتـحلـيلـه، وأـضـافـ أنها حـركـة جـاهـيرـية عـلـيـة، وـليـست سـرـيـة تـهـدـف إلى التـغـيـير دونـها.

استخدام السلاح<sup>(١)</sup>.

إنَّ ممارسة النشاط السياسي بتلك الحرفة وفي ذلك العمر، وفي ظلِّ الطاغوتية البعنة البعنة، وبموقعه الحركي في حزب الدعوة، وأن يكون مبعوث الشهيد الصدر إلى الإمام الخميني أكبر شخصية دينية حرّكة في العالم الإسلامي، وأن يثير إعجابه، يعطي انطباعاً مثيراً إلى نضج مبكر في قراءاته السياسية، ووعي لحركه السياسي والثقافي والاجتماعي في ظلِّ أجواء الحوزة العلمية في النجف الأشرف، ذات التقاليد غير المواكبة للمستجدات على الساحة السياسية في العراق والعالم الإسلامي.

بنقله ذاك، وأدائه الكبير جعله مطلوبًا لدى البعضين، ما فرض عليه أن يقرأ استراتيجية الحراك الجديد، وهو بتلك الذخيرة التي هي بحجم الفاعلية الإصلاحية في النجف الأشرف، ذات التاريخ العلمي العريق؛ ليكون عمل ذلك المبدع والخلق خارج الوطن الذي تختلف فيه ونمطاته لديه قابليات الصناعة الإبداعية والخلافة، ومع ذلك استطاع أن يتغلب على صعوبات الواقع الجديد، من خلال تصورات جديدة وأساليب خلاقة للعمل، تمكن من خلالها أن تكون أيديه ناصعة، ولا يمكن لقارئ لحركة المنطقة الثقافي أن يتجاوز حضوره وفاعليته فيها.

## □ منهج الدراسة الحوزوية

حضوره في قراءة المناهج الدراسية كان ضمن فاعليته في العمل

(١) الفقيه المثقف، ٣٧-٣٨.

الإسلامي الإصلاحي في العراق، وذلك لمعالجة الواقع غير الإيجابي، والمؤثر سلباً على ذهنية الحوزوي الذي يفترض فيه ألا يترك الساحة لخصومه الالادينيين من الشيوخ عيين والبعشين يعيشون فيها وبها كما يشاؤون، إما بالفكر السياسي والاقتصادي والاجتماعي، أو من خلال تشجيع التقليديين للإصرار على الدراسة بأسلوب ومناهج الكتاتيب وثقافتهم التي لا تتجاوز المكان الذي تدرس فيه، ولا تضيف وعيًا ولا بصيرة بما يجري في الساحة من مستجدات، ومن جانب آخر لا تجد فيها فرقاً واضحاً في المراحل الدراسية، وما تضفيه كل مرحلة إلى عقل الطالب وما يُرجى منها.

من جانب آخر، كان انفلات المدارس الرسمية وميلها إلى أدبيات وإيمان مخالف لإيمان وأدبيات الشعب العراقي، تأثراً بالغرب والثورة الفرنسية والهجمة الشيوعية التي استهدفت الإسلام والمسلمين، أدى إلى أن يقوم بعض مراجع الدين بالإفقاء بحرمة الدراسة في تلك المدارس، فيما اتجه المصلحون لتأسيس مدارس ملتزمة بالإسلام وبمناهج البحث الحديثة، للاستفادة من المنهجية العلمية الأكاديمية في طريقة الدرس ومنهج التربوي.

المعارضون لم يكونوا ملتفتين إلى خطورة المسألة، وإنما كان جل همهم هو الانشغال والالتزام الحرفي بطريقة البحث والدراسة الموروثة في النجف، ومادة الدرس القديمة، وعدم جواز الاهتمام أو الانشغال بغيرها، فيما احرب الشعواء والشرسة ضد من يخالف هذا الاتجاه.

هذه الحالة لم تكن صحيحة، بالرغم من أن طبيعة الدراسة في الحوزة

يراعى فيها إلى درجة ما المستويات العمرية للدارس، إلا أنه لم يكن يراعي فيها مدى حاجة كل مرحلة، نتيجة لفوضى الكتب الدراسية ومدى الحاجة إليها ومدى مناسبتها له في هذه المرحلة، والوقت الزمني الذي تحتاجه، بل حتى فوضى المراحل، حيث يترك ذلك للأستاذ، الذي شُلّم له دون أن يسأله أحدٌ عن جدوى ما يقدّمه أو عدمه، أو مدى التزامه بتدریسه بوقت محدد أم لا، أو قد تكون منهجاً فائضاً على تلك المرحلة، مما يجعل الطالب يشعر بطول المدة وثقلها عليه، وقد يُصاب بالملل.

وبالرغم من عدم كونه قدراً محظوماً على الطالب أن يعيشه، إذ يمكنه أن يتحرر منه، ليكون له حق البحث عن أستاذ آخر، إلا أن إدراك الطالب لذلك قد يكون متاخراً، وقد يكون الأستاذ الجديد هو من نفس فصيلة الأستاذ السابق، فيما تأخذ مرحلة البحث عمراً لا يمكن الاستخفاف به. أما متى ينسجم مع أجواء الأستاذ الجديد، فهي لا تقل عن مرحلة البحث.

بعض من الطلبة يعمل على اختصار المدة الزمنية من خلال تكثيف دروسه حتى في إجازاته الأسبوعية والسنوية، بل والاعتماد الذاتي على قراءاته المكثفة والمتواصلة والواعية، والانتقال إلى أكثر من أستاذٍ عليه يجد من بينهم من يشعر بهمته واستعداده، فيوصله إلى مرحلة متقدمة تناسبه، ومن يفعل ذلك هم المتميزون الذين يملكون طاقة وقابلية وتوجهاً حاسياً للدراسة الحوزوية، فيما الطلاب غير المتميزين يظلّون سنوات طويلة تحت نير تلك المناهج المتعبة، ومنهم من يتوقف ويتجه إلى اتجاه آخر، قد يكون في بعض الاتجاهات خصماً للحوزة ذاتها.

لو جئنا إلى المدارس النظامية والجامعات وطريقة دراستها، فإننا نراها منتظمة واضحة، وعندما يدخل الطالب إليها فإنه ينظر إلى سنوات محددة لينال البكالوريوس، وإلى سنوات أخرى للماجستير والدكتوراه والأستاذية.

في الحوزة قد ينظر الطالب في بداية دراسته إلى زمن محدد إلا أنه قد يتواجه بكتافة المناهج المكررة في التخصص الواحد، والأشد من ذلك تراخي الأساتذة في الالتزام بالتدريس، أو تبدلهم بين الفينة والأخرى، ليعود كل جديد من جديد في المادة، ما يرهق الطالب وينهش بحراسته، لترى النسبة العالية من طلاب السطوح المتقدمين في السن أو أنهم درسوا سنوات طويلة بحث الخارج، إلا أنهم لم يتمكنوا من بلوغ مرتبة الاجتياز في المسائل الشرعية، مما يشعر أنهم تعروا من الدراسة وتركوها لطول أمدها دون بلوغهم المرتبة العلمية التي كانوا ينشدونها.

نعم، في كل مؤسسة علمية تجد الكثيرين من الذين اتموا إليها قد تركوها، إلا أنك عندما ترى طلاباً متميزين أو آخرين يملكون القابلية للتميز، وقدرین على الوصول إلى مراتب عالية في العلم ولو بالاعتماد على وسائل أخرى غير العبرية التي قد لا يحظى بها بعضهم قد تركوا الدراسة الحوزوية قبل أن يصلوا إلى المراتب العالية في الدرس فإن هذا ينم عن وجود ثغرات لم تعالج لتحافظ على حالة التميز لدى أولئك المتميزين، ما أثقل على أولئك المتميزين التعاطي التقليدي من قبل التقليديين وخصوص العمل الإصلاحي في الحوزة العلمية مع الواقع والأحداث، ما جعلهم كثيراً ما يشرون الإرباك في الحياة العامة، بدل أن يكون دورهم الفعال في نظمها وفق الخطاب الديني، ورؤيته التي

أبرزها الإمام الخميني والشهيد الصدر، وفي أحيان كثيرة تجدهم في حالة مواجهة عنيفة وفاسية مع الشريعة المتفقة المتدينة، وليس المتهاكة.

هذه المسألة أخذت من الشيخ الفضلي كثيراً، خاصة وأن المناهج الدراسية من المقدمة إلى مرحلة القدرة على الاستنباط تستهلك عمراً طويلاً لا يقل مجموعه عن ثلاثة عشر عاماً متواصلة دراسة في المتوسط، في أكثر الحالات، وذلك لو أن الطالب انتظم في الحوزة في سن الخامسة عشرة، أو السابعة عشرة من عمره فإنه سيشارف على الخمسين ليكون قادرًا على الاستنباط، وهذا العمر طويلاً جدًا قد ينهاكه بالملل، ويعرف به إلى غير تلك الوجهة، فيما يبرز التمييزون ما بين الخامسة والعشرين والأربعين، أما النوابغ، وهم لا يتتجاوزون أصابع اليد الواحدة الذين يبلغون درجة الاجتهد دون الخامسة والعشرين.

أما لو تم دراسة المراحل، والزمن الذي تحتاجه كل مرحلة، والمناهج التي تحتاجها، وأساتذة المتخصصين لتدرس تلك المناهج، والشخص المطلوب لاستيعاب الدرس والمنهج والمرحلة، فإنه قد يصل على منشوده في سنوات، تصل إلى النصف، ما يعني بلوغه مرتبة الاجتهد وهو دون الثلاثين ليتحرك نحو فقاهة متعمقة ومتميزة في حدود الأربعين من عمره.

ولذلك كان رسم المناهج قد أخذ من الدكتور أكثر من ثلاثة عشر عاماً، بدءاً من مختصر النحو، وانتهاءً بموسوعتي الفقه والأصول، حيث كتب «دروس في فقه الإمامية» في أربعة أجزاء، و«مبادئ علم الفقه» في ثلاثة أجزاء، وفي الأصول «دروس في أصول فقه الإمامية» في جزأين.

لم يتوقف عمله ولم تصرفه كثرة الأحداث التي رافقت وواكبت مشروعه، بل كانت جزءاً من حياته وجهاده، ولم يشغل ذلك الاهتمام عن أن يكون متابعاً ومرافقاً لتلك الأحداث وصاحب رأي فيها؛ لنجده له لمساته ورؤيته فيها.

وفي هذا يقول الأستاذ خالد توفيق (جواد كسار): «لم يزعم الفضلي ولم يدع أبداً في كتبه التي أصدرها في هذا المضمار أنه بقصد مشروع تجديدي جامع ومانع، بل قراءة آثاره في هذا السياق وتأملها هما اللذان جعلانا نضعها في مصافٌ مشروع فردي شامل ينطلق من رؤيته، ويقوم على خطة، وبالتالي يتجاوز حدود المبادرات المجزئية»<sup>(١)</sup>.

ويقول أيضاً: «وبالنسبة لقضية الحوزة بشكل عام، فالفضلي يؤمن بـ «تطوير الحوزات وفق متطلبات حياة المسلمين المعاصرة»، وفيها يتعلق بتطوير الدرس الحوزوي الذي نحن بصادده، يذهب الفضلي إلى فتح الملف على مصراعيه، بحيث يشمل التجديد مقررات الدراسة الحوزوية من حيث الكلم والكيف، وبواعث هذا العمل ترتبط من ناحية بالتطور الكبير الذي يشهده العالم اليوم، وبتغير وتکثر متطلبات الحياة المعاصرة، كما يتمثل من جهة ثانية بالتطور العلمي للمواد الدراسية المقررة في الحوزات»<sup>(٢)</sup>.

إلا أن المعلوم أن أول مناهج الدراسة التي أعدها كان «التربية الدينية»، وكان وضعه بقصد إعداد منهج مدروس ومتميز، بل كان

---

(١) الفقيه المثقف، ١٤.

(٢) المصدر السابق، ٨٦.

مشروع كلية الفقه هو هذا، ولذلك ليس بالضرورة أن تكون هناك مقدمة تتحدث عن مشروع بذلك الحجم، وإنما يمكننا قراءة ذلك من خلال المؤسسة العلمية التي يعمل فيها، وماهية مشروعها لنعلم إن كانت الكتبات الأولى داخلة في مشروعه أم لا.

إلا أن الأستاذ كتار أشار على نقطة مهمة، وكانت مطلبًا رئيساً للشيخ الفضلي، وهي أن عمل المنهج الواحد قائم على خطة ومنهجية ملتزمة. فعندما تقرأ المنهج تجد منهجه يرعي الوصول بالطالب إلى مرحلة علمية بعينها، فيما اعتمدت أيضًا وضوح العبارة وابتعادها عن الطلسنة والتعقيد لتكون عبارة سهلة جدًا وقدرة على إيصال مطالبه ببساطة.

في كتابه «دروس في أصول الفقه الإمامي» استخلص الأستاذ علي الحمد على مجموعة من الملاحظات التي يراها سهاحته، وقد قالها لي أيضًا شفافًا:

١. الابتعاد عن المنهج الفلسفى، كما أشار في مقدمة كتابه «دروس في أصول الفقه الإمامي»، ومحاولة الرجوع إلى الأساليب الاجتماعية، وهو ما يتضمن تحليل النص تحليلًا لغويًا اجتماعيًا لا تحليلًا فلسفياً عقليًا<sup>(١)</sup>.

(١) وفي هذا الإطار قال لي في إحدى زياراتي له: «مشكلتنا أنت لا زلت نقرأ وندرس الفلسفة القديمة، فيها لا أحد يتعاطاها اليوم، وقد دخلت في البحث الأصولي، هي وعلم الكلام، فيما أصل المباحث في الأصول هو مبحث ألفاظ. كيف تفهم المفردة، وكيف تستعمل. ولذلك يجب أن تقرأ الفلسفة بأداء يتناسب والنسق الذي يتم تعاطيه اليوم مع مادة الفلسفة».

٢. الابتعاد عن المباحث التي ليست لها علاقة بعملية الاستنباط، مثل: مبحث التجري الذي يُذكر في مبحث القطع، فقد ذكر لي شفهياً أن هذا البحث ليس له مدخلية مباشرة في عملية الاستنباط.
٣. الاعتماد على أوثق المصادر اللغوية، خصوصاً المعاجم الحديثة، وقد سمعت ذلك منه شفهياً في سياق الحديث عن حجية قول اللغوي.
٤. بالأأخذ بنظرية أن اللغة ظاهرة اجتماعية، وقد أشار إليها في بعض كتبه اللغوية.
٥. الدمج في الأصول العملية بين أصل البراءة والاحتياط.
٦. الفقيه النذوقي أقرب إلى فهم النصوص من الفقيه الصناعي، فالفقيق الأديب أدرى بشعاب مكة؛ لأنه من أهلها<sup>(١)</sup>.

كان أستاذ الشهيد الصدر عمد في كتابة الحلقات بطريقة التدرج إلى أن تصل إلى مستوى الكفاية، إلا أن الفضلي لا يريد العودة إلى الكفاية باعتبار أن لها رسالة وقد أدتها، والمطلوب الآن أن تخرج مناهج اليوم من تعقيدات مناهج الأمس وطلسمتها، فيما يريد الشهيد الصدر أن يظل خطاب الرؤاد المؤسسين حاضراً في ذهنية الدارس.

وقد اشتغل على كل مناهج الحوزة بمراحلها المختلفة، ليأخذ ذلك من عمره المبارك أكثر من أربعين سنة، وقد كان شغله في مشروعه ذلك مادة الدرس الحوزوي والمفردة التي تصاغُ به، والطالب الذي سيدرسها.

وفي ذلك يقول: «يجب أن نسع الخطى في هذا التجديد لنسد كل الفراغات، ونلبي كل المتطلبات، فتحنون وتتجددنا في سباق مع الزمن

(١) الفقيه المثقف، ٢٣٠-٢٣١.

والسابق هو الفائز<sup>(١)</sup>.

وهذا بالنسبة له يعتمد على أربعة أسس:

١. إعداد المادة وفق منهج عصري، ينسجم في بيانه وطريقة العرض والتحليل والاستدلال مع واقع الطبيعة المعاصرة في الفهم والإدراك والانفعال والتفاعل الإيجابيين التي نعيشها اليوم.
٢. معالجة تعقيدات الجملة الحوزوية المتداولة، وعسيره على الفهم أحياناً، وذلك من خلال تبسيطها ما أمكن، أو استعراضتها بما هو أنسب منها إن تعذر تطويتها.
٣. مراعاة العمق والشمولية واستيعاب المسألة.
٤. مراعاة ما هو متونخى من المادة في شوط الطالب الدراسي.

ويحمل هذه الأسس في الآتي:

«النكون ونحن في أصالتنا في الوقت نفسه مع المعاصرة، وهذا يتطلب منا وعلى نحو الاختصار:

١. أن نستفيد من النظريات والدراسات اللغوية الحديثة، وخصوصاً فيما يرتبط منها بفهم النص.
٢. أن نستفيد للتطوير في مجال علوم البلاغة من جديد علم الأسلوب، لاسيما في فهم الجمل والتركيب.
٣. أن نتأى عن المنهج الفلسفى في دراسة علم أصول الفقه وأن نضع له منهجاً علمياً خاصاً.

---

<sup>(١)</sup> المصدر السابق، ٨٦.

٤. أن ننظر إلى الفقه في تعاطينا وتعاملنا معه على أنه نظام حياة الإنسان المسلم، نطلق فيه من محاولة فهم حياة الناس بكل شؤونها تفصيلاتها فردية واجتماعية، ومسايرتنا لمختلف تطورات حياة الإنسان في جميع أنماط سلوكه الفكرية والعملية<sup>(١)</sup>.

ولذلك فإنه بالرغم من ذلك العمر الذي قضاه في عمل المناهج، إلا أنه يرى نفسه في سباق مع الزمن للوصول للأهداف والغايات التي ترسمها تلك المناهج.

ذلك أن تخرج أساتذة نجفيين من خلال مشروع التحديث والتطوير والمنهج التي يراها أساتذتنا الفضلي، بما يتناسب واسم النجف وتاريخها - وبخاصة أنه قد جرت العادة الدراسية على تلك المناهج الثقيلة المتخصمة بالخطاب الفلسفـي المعقدـ، سيكونـ في غـاية الصعوبـة والمـعانـاة؛ وذلك لأنـ قراءـتها منـ جديـد وإـنـاجـ منـاهـجـ تـخصـصـيـةـ، تـقومـ عـلـىـ فـرـزـ المـادـةـ، وـالتـخلـصـ منـ العـناـوـينـ غـيرـ الـضـرـوريـةـ أوـ الـمحـشـورـةـ فـيـهاـ، قـهـراـ، وإـشـبـاعـهاـ بـهاـ تـحـتـاجـهـ منـ تـرـكـيزـ، وـدـرـاسـةـ جـدـواـهاـ الـدـرـاسـيـةـ، وـقـرـاءـةـ مـرـحلـتهاـ، وـمـوـقـعـهاـ الـدـرـاسـيـ، وـمـاـ تـحـتـاجـهـ منـ عمرـ زـمـنـيـ للـدـرـاسـةـ، بـحـاجـةـ إـلـىـ قـاـبـلـيـةـ وـاستـعـدـادـ ذـيـ خـصـوصـيـةـ نـجـفـيـةـ لـلـعـقـرـيـةـ وـالـإـبـدـاعـ، عـنـدـهاـ لـنـ يـكـونـ ذـلـكـ بـعـدـاـ أوـ مـسـتـهـجـنـ، إـلـاـ أـنـهـ أـيـضاـ يـسـتـحقـ كـلـ ذـلـكـ الـعـمـرـ الطـوـيلـ عـنـدـماـ تـكـوـنـ مـبـادـرـةـ فـرـديـةـ.

نعم، سيكون ذلك العمر غير عملي وغير منطقي عندما يكون من خلال مجتمع علمي تخصصي يعمل من أجل ذلك.

---

(١) الفقيه المثقف، ٢٠٤-٢٠٥.

صحيح أن ملاحظة الأستاذ جواد كسار لمست واقعاً لوحظ على بعض إنجازات الشيخ الفضلي الأولى، عندما قال: «لا نملك إلا أن نحوه حول نف منثارة صدرت من المؤلف في هذا المجال أو ذاك، نجمع بينها لبناء رؤية، نرجو أن تكون وافية»، وذلك أن شيخنا الجليل الفضلي كان في بداياته يعمل على إعداد مناهج أولية للدراسة الحوزوية تعتمد العلمية، وتعويذ الطالب لاستساغة منهج جديد في الأسلوب والقراءة، لترحشه تلك البدايات على مواصلة المشوار ليتكامل فيها بعد مشروعأً ناضجاً شغله منذ بداياته، يتعاطى معه بعنوان (المشروع)، وذلك ما أفضت إليه نتيجة مسحه أثناء دراساته الحوزوية، ومشروع إعداد المقررات الدراسية لمدارس منتدى النشر وكلية الفقه، ولو وجوده أستاذأً فيها جعله لا ينظر إلى البدايات كـ«التربية الدينية» وـ«خلاصة المنطق» وـ«مبادئ علم الفقه»، وإنما ينطلق إلى كل المقررات الحوزوية التي يدرسها الحوزوي إلى آخر مراحل دراسة مقررات «السطوح»، وي العمل على تقديمها بمهنية علمية متقدمة تحافظ على عمق البحث الحوزوي، ووضوح الفردة والمراحلة في تنوعها؛ ليكون بعد إنجازه ذاك في حالة من الرضى، كما قال مجيناً على سؤالٍ ضمن لقاء تناول سيرته، وهو منشور في موقعه: «ما هي أهم مشاريعكم التي كنتم تودون إنجازها؟ وما الذي تحقق منها؟

مشروعى الأهم كان وضع المقررات الدراسية للحووزات العلمية وتطوير موادها وفق مناهج البحث العلمي الحديث، وأحمد الله سبحانه

الذي وقني في إنجاز هذا المشروع»<sup>(١)</sup>.

وهذا المشروع هو السبب الذي فرض عليه أن يلجأ للتقاعد، ويتوقف عن ممارسة التدريس الجامعي الرسمي، كما جاء ذلك على لسانه في معرض إجابته عن سؤال بهذا الشأن: «كان السبب الأول للتقاعد هو التفرغ لإكمال مشروع المقررات الدراسية»<sup>(٢)</sup>.

وبإطلاقه أخرى على أعماله بشأن المقررات الدراسية، يمكن أن نصفها وفق المراحل الدراسية في الحوزة على الشكل التالي:

١. المقدمات، والتي يمكننا تسميتها بالابتدائية، والتي تبدأ بالصف الرابع ابتدائي لنظام الدراسة الأكاديمية المعاصرة: مبادئ علم الفقه، مبادئ علم الأصول، مختصر النحو، مختصر الصرف.
٢. والمرحلة المتوسطة: دراسات في الإعراب، تهذيب البلاغة، خلاصة المنطق، الوسيط في قواعد فهم النصوص الشرعية، التقليد، الاجتهاد.

٣. وللمرحلة الثانوية: أصول البحث، حقل اللغة العربية وعلومها وأدابها (النحو والصرف)، شرح ألفية ابن مالك (الذي هو الآن مخطوط)، أعراف النحو في الشعر العربي، أصول البحث، مذكرة المنطق، خلاصة علم الكلام، تاريخ التشريع الإسلامي، أصول الحديث، أصول علم الرجال، أصول تحقيق التراث، من مصادر الفكر الإمامي في العقيدة والتشريع. وكذلك يمكن الاستفادة من

---

(١) [http://www.alfadhli.org/article.php?act=read\\_art&id=393](http://www.alfadhli.org/article.php?act=read_art&id=393)

(٢) [http://www.alfadhli.org/article.php?act=read\\_art&id=393](http://www.alfadhli.org/article.php?act=read_art&id=393)

أهم دروس (أصول فقه الإمامية، ودروس فقه الإمامية)، تمهدًا للدراسة المعمقة.

٤. المرحلة الجامعية: وهي الدراسات التخصصية: دروس في أصول فقه الإمامية، ودروس في فقه الإمامية.

وبالإمكان إضافة مادة أو مادتين، أو حتى ثلاث مواد أخرى، يتم اختيارها بعناية تنسجم والمرحلة المعنية، وليس بالضروري أن يكون من إنجاز الدكتور الفضلي، في أي حقلٍ من الحقول، وأي مرحلة من المراحل، ليتوجه بعد ذلك للدرس الخارج، والذي هو بمثابة إعداد رسالة (دكتوراه)، يفترض أن يكون الفقيه المتوجه لالقاء تلك الدروس آخذًا في عين الاعتبار هذا المستوى، والمأمول المرجو من تلميذه؛ ليتخرج برسالة ستكون بلا شك ذات ثمرة في الدراسات الفقهية والأصولية المعمقة، ذات الإنجاز الأكثر إنهاً في الحوزة.

وما لا يمكن الغفلة عنه أن وجود أكثر من ألف رسالة بحكم وجود أكثر من ألف طالب علم سيتعذر على الفقيه دراستها، إلا أن معالجة هذه الإشكالية يمكن أن تكون من خلال وجود لجأان متخصصة لقراءة تلك الدراسات، وتقييمها، وإعطاء الإجازة على ضوئها.

ناهيك عن الدراسات التمهيدية أو التثقيفية الأخرى التي تتحرك في كل مشروعه والتزاماته الفكرية والفقهية والعقائدية، كتاب «مذهب الإمامية»، و«نحو أدب إسلامي»، و«ثورة الحسين عليه السلام في ظلال نصوصها ووثائقها»، و«حضارتنا في ميدان الصراع»، و«جدل الرؤى: مقالات في الفكر السياسي، الكيان السياسي الإسلامي من خلال

نصوصه المالية العامة».

ومن أجل إنجاح ذلك المشروع الإصلاحي في مناهج الدراسة، يفترض أن يكون هناك تعديلاً جاداً يدخل على ضوئها الطالب الحوزة منذ سن الخامسة أو السادسة من عمره، مع الأخذ بعين الاعتبار اللغات الفاعلة في أداء الطالب البحثي والتبليني، كالإنجليزية والفارسية إن كان الدارس عريباً، والعربية والإنجليزية إن كان فارسيأً، والعربية والفارسية إن كان غير عربي، ثم يُتاح له اختيار اللغة التي يطمئن أن يُبلغ بها.

وما لا ينبغي العفلة عنه هو أن دراسة اللغتين العربية والفارسية مصيرية في دراسة الطالب في الحوزة؛ وذلك لأن التراث الإسلامي قرآن وأحاديث وسننًّا وموسوعاتٍ فقهية وأصولية وفلسفية وكلامية تقوم على هاتين اللغتين.

وأرى أن ذلك ليس فقط لا يتعارض وأطروحتات الشيخ الفضلي المنهجية، وإنما ينسجم معه مادةً وروحًا، دون أن يكون التعديل بدرجة هنا أو هناك مخالفًا لأصل هذه الرؤية.

## □ الكتاب والمكتبة الإسلامية

بداياته ككاتب، بدأت من خلال عمل الشيخ محمد أمين زين الدين <sup>رحمه الله</sup> لإعداد ثلة من المتميزين للكتابة بأسلوبٍ معاصر وفعال، وهو كما وصفه علامتنا الفضلي: «أستاذ موهوب يمتلك القدرات التربوية، ما أهلَه لأن يكون أستاذًا من أساتذة الأجيال في النجف أديبيًّا

وعلمياً<sup>(١)</sup>. وقد «عقد [الشيخ زين الدين] حلقة تدريس لكتابه الإسلام، بنايه، مناهجه، غایاته [حضرها معه الشيخ مهدي السماوي، والسيد مهد الحكيم، والشيخ محمد حيدر، والسيد محمد باقر الحكيم، وأخرون]، تم اختيارهم من الشيخ زين الدين نفسه، لتعليمهم نظرياً وتطبيقياً على كتابة المقالة الأدبية، وهو أول درس من نوعه في النجف»<sup>(٢)</sup>.

ويرجع هذا لأن الساحة يومذاك لم يكن يوجد فيها أديب إسلامي ملتزم، سوى الشيخ زين الدين نفسه والأستاذ السيد محمد باقر الصدر. ويرجع هذا في عوامله ودوافعه إلى انتشار الأدب الاشتراكي الملزّم، وكانت تُمثله بوضوح وقوة مجلة الأداب التي أصدرها عام ١٩٥٣ م بيروت الأستاذ سهيل إدريس، وكان يكتب فيها أقطاب الاشتراكية من الأدباء العرب. وكانت تنتشر انتشاراً واسعاً، وكانت تصل إلى النجف الأشرف، وكان لها مفعول مجلة الرسالة في الاستقطاب والتأثير.

وفي المقابل، كان الشيخ زين الدين، وهو الرائد في الكتابة الإسلامية في مفاهيم الإسلام، ومن خلاها كعقيدة شاملة ونظام كامل للحياة، وهو المؤمن الغيور على دينه وأمته، كان يرى لزاماً عليه أن يكون جيلاً من شباب أهل العلم في النجف كُتاباً إسلاميين يحملون الإسلام، ينشرون ويدافعون عنه، ويقفون أمام الغزو الاشتراكي. فكان له ما أراد. فقد استطاع أن يكون من تلاميذه من قام بالمهمة، وأدى

---

(١) الفقيه المشفق، ٢٦.

(٢) المصدر السابق، ٢٦.

الوظيفة على خير وجه»<sup>(١)</sup>.

وقد تأسست جماعة أطلق عليها اسم: «جماعة العشرة»، ويشرف عليها السيد موسى بحر العلوم، وهدفها «تعليم أعضائها وتدريبهم على كتابة البحث وتكونين كتاب إسلاميين في النجف يكتبون وينشرون الأبحاث والمقالات العلمية في المجالات والدوريات الثقافية؛ لأن النجف يومها لا يوجد بها كتاب يقومون بذلك»<sup>(٢)</sup>.

وقد استوعب الدرس، وتحرك باتجاه ترجمته باحثاً في البدء عن موارد الحاجة ليملاها، وكانت همومه وشغلها الشاغل، فأثرى المكتبة الإسلامية بعنوانين جديدين في كثير منها، فيما بعضها الآخر كانت إضافات مضيئة، كانت داخلة في مشروعه الدراسي.

وبعد انتقاله مرحلة الأستاذية، وقد كان أستاذاً ومربياً لأجيال حل إليهم أمانة علمه، إيماناً منه «إذا ظهرت البدع فعلى العالم أن يُظهر علمه، فإن لم يفعل سُلب نور الإيمان»<sup>(٣)</sup>، و«من كتم علمًا نافعاً أُلجم بلجام من نار»<sup>(٤)</sup>، بل إيماناً منه بأن «زكاة العلم نشره»<sup>(٥)</sup>.

فآمن أن أولى بجهاده التربوي ذاك وما يمثل طموحة أن يرى من يحمل همومه فيشتغل عليها كرسالة وأمانة هي منطقته التي ظلمت كثيراً

(١) المصدر السابق، ٢٦-٢٧.

(٢) المصدر السابق، ٢٨.

(٣) وسائل الشيعة، الحرج العاملية، ١١/٥١١.

(٤) عوالي الثنائي، ابن أبي جهور، ٤/٧١.

(٥) مستدرك الوسائل، ٧/٤٦.

بالقصير تارة وبالقصور تارة أخرى، وبالاستهداف في كثير من الأحيان، ظناً من العاملين فيها أن حاجتها فقط هو معرفة الحكم الشرعي والعمل بمقتضاه ليس إلا. فكانت البدايات رعاية مسابقات في كتابة البحوث العلمية، والتي تم طرح عناوينها بعناية تامة، تقتضي الالتزام بفكرة معينة والتركيز على تناولها بمهنية علمية حديثة، تلتزم الكتابة العلمية، والمعلومة المستوعبة لمادة البحث.

وقد حظيت بالمشاركة في اثنين منها، كما قدم لي ثلاث مرات، وفعل مثل ذلك لـ<sup>لكثي</sup> غيري، وكان يقول بأن مشروع المقدمة ليس بأن يسرد المقدم ملاحظاته وانتقاداته وعيوب الكاتب، وإنما لإبراز صورة البحث وملامحه من الناحية العلمية للقارئ، وتشجيع الكاتب من خلال قراءة الموضع الذي بلغه، فيما هو في أحياناً أخرى يقوم بوضع ملاحظاته داخل متن البحث، كما حصل ذلك معي ومع بعض الكُتاب الذين رأيت مراجعاته لبحوثهم.

وقد كانت متابعته لهذا البناء ورعايته له أن قال عبارته الملفتة: «إن لدينا كُتاباً يفوقون كثيراً من كُتاب النجف».

بل كان يتقد أحياناً بعض الكُتاب المشهورين هناك، فيما يُعد على بعض كتابات منطقتنا ثناءً كبيراً، وإن كان في بعض الثناء تحفيزاً، إلا أنه أحياناً تجده ينطلق من إيمان بالكاتب وقدرته الحقيقة على الكتابة بحرفية متميزة، ليمدحه باستحقاق وجداره.



الموسم الثالث

## الإحياء الإسلامي والدراسات القرآنية عند الشيخ الفضلي

سماحة الشيخ إبراهيم آل رضي

رمضان ١٤٣٠ هـ

- افتتاحية الندوة
- الإحياء الإسلامي في كتابات الدكتور الفضلي «الجouزة والجامعة في مشروعه»
- مدخلات الجمhour
- جهود الشيخ الفضلي في الدراسات القرآنية



## افتتاحية الندوة

■ الأستاذ جابر بن عبد الله الخلف ■

تأتي هذه الندوة في دورتها الثالثة المخصصة حول شخصية مهمة في منجزها المعرفي، وهي فضيلة الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي.

في ١١ رمضان ١٤٢٨هـ تناول الشيخ محمد العباد محاضرة بعنوان: «الشيخ الفضلي الشخصية الاستيعابية»، وفي ١٨ رمضان ١٤٢٩هـ تناول الأستاذ باقر الرستم محاضرة بعنوان: «الشيخ الفضلي الإنجاز الكبير لمدرسة الشهيد الصدر»، وتأتي هذه الندوة في سلسلة اهتمام المنتدى بهذه الشخصية المنجزة.

أن يبقى الحديث مستمراً حول الشيخ الفضلي، وحول قراءة منجزه المعرفي خطوة مشروعة وجديرة الاهتمام، باعتبار أن الشيخ الفضلي قدماً يستحق القراءة والمراجعة والتواصل.

أول ما يلفت نظر القارئ في مدونة الشيخ الفضلي هو عناته بتناول المفاهيم المعاصرة برؤى عصرية وأصالحة معرفية، سواء في الثقافة الإسلامية أو في طرحة الديني. فلا تخلو محاضرة له أو كتاب من تأصيل لفهم معاصر أو إعادة إنتاج لفهم تراثي أصيل، ولكن بأسلوب

عصري، ولغة علمية رصينة.

إن تحرير الأفكار والرؤى الإسلامية من عوالق التقاليد والأعراف الدينية والاجتماعية الثقافية هو مجهود عسير يحتاج إلى طاقة علمية وجهد متواصل، وهذا بالضبط ما اشتغل عليه الدكتور الفضلي، ولذا نأى بنفسه عن القيل والقال وكثرة الأقوال، وإعادة المقال.

لا يخلو بحث أو محاضرة أو طرح له من مفهوم التجديد أو التطوير أو الإحياء أو ضرورة إعادة الاجتهد فيه، باعتبار أن عملية الاجتهد لديه حركة فكرية معرفية وليس شهادة أو رتبة أو لقباً أو إجازة.

وجهوده في ضرورة الاجتهد الفقهي والتطوير الفكري والتجدد الثقافي والأدبي جهود جليلة واضحة تستحق منا على الأقل مداومة القراءة في استمرارها ثم التواصل معها قراءة وتحليلاً ونقداً. فهذا المنجز المعرفي الثر والوعي والناضج والمنفتح على الثقافة والحياة والدنيا والآخرة، يستحق منا القراءة الجدية والمتواصلة؛ ولذا جاءت هذه الندوة الرمضانية التي تهدف إلى محاولة القراءة في مدونة الشيخ الفضلي والتواصل معها معرفياً وثقافياً.

لم يهارس الفضلي دور الداعية أو الوعاظ بقدر ممارسته دور المفكر والباحث المتسائل؛ ولذا قال مرة: «الوعظ يبنه، ولكن لا يُربّي». وهذا اشتغل على مفهوم «التربية الدينية» وليس الوعظ الديني الذي يتقنه كل من يملك حنجرة مستطيرة أو أحياً صوتية عالية النبرة.

لم يكتف بأن يكون معيناً دور الخطيب، بل ارتضى لنفسه أن

يمارس دور الفقيه المثقف، ولذا اشتغل على مفهوم «تراكم الممارسات» حسب تعبير الفكر العربي عبد الإله بلقزيز.

لم يحفل بمجرد الحظوة الاجتماعية والواجهة الدينية، بل انحاز إلى دور الأستاذ المشارك والشيخ المجتهد لا بالمعنى الأكاديمي المحسن، ولا بالمعنى الحوزوي الصرف، ولكن بالمعنى المعرفي. فنراه التزم العمق والشمولية والدقة العلمية وسهولة التعبير ومتانة اللغة والأسلوب التربوي والتواصل مع الآراء العلمية الحديثة والنظريات الفكرية المتطورة.

هناك كثير من المفكرين والمشغلين بالقضايا الفكرية المعاصرة يربطون كثيراً بين الإحياء والتجديد والتطوير، وبين القضايا الدينية والمفاهيم الإسلامية، ومنهم الشيخ الدكتور الفضلي، ولذا نحن الآن مجتمعون كي نستفيد ونتعلم من كتابات الشيخ الفضلي ومحاضراته.

ومع فضيلة الشيخ إبراهيم آل رضي في محاضرة له بعنوان: «الإحياء الإسلامي في كتابات الشيخ الدكتور عبد المادي الفضلي».

فله منا كل الشكر والتقدير، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



[\*] مقتطفات من محاضرة:

## الإحياء الإسلامي في كتابات الدكتور الفضلي ، الحوزة والجامعة في مشروعه،

■ الشيخ إبراهيم آل رضي ■

١٣ رجبـ١٤٣٠ هـ: ٣ سبتمبر ٢٠٠٩ م

في البداية، أتقدم بجزيل الشكر والامتنان لهذا المنتدى المبارك في هذه القرية الطيبة على هذه الجهد المباركة في رفع سقف الوعي والثقافة في الأمة. وكم كان السرور عظيماً عندما استقبلت رسالة من الأستاذ الفاضل يوسف الشريدة حول هذه العنونة والعنوانين المتعددة، والتي تفتح آفاقاً للمتكلم. نعم، لو اقتصر على عنوان لكان ذلك ضيقاً، ولكن السعة في التعدد. أقول وأنا أمام النخبة الطيبة والمباركة ما أنا إلا كناقل التمر إلى هجر. إذ لعل المستمع قرأ أكثر مما سيسمعه الآن، ذلك أن شخصية الدكتور الفضلي أصبحت رمزاً يشار له بالبنان.

□ الكلمة والعنوان «الإحياء الإسلامي»،

نطلُأً على أطلس العالم عبر خارطة العرب، وتحديداً عبر منفذ الجزيرة، حيث كان آنذاك العالم كله يعيش سباتاً عميقاً، إذ لم تكن من يقطة هناك، فهي لدى حضارات اليونان وفارس والهند إلى ما هنالك من هذه الأمم.

أما العرب، ولا سيما الجزيرة منها، فكانت خارطتها معدومة فيها كل التضاريس الحضارية، ويكتفي من الانعدام ما عبر عنه القرآن بصيغة العموم: «هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ رَسُولًا...»<sup>(١)</sup>، أميون بكل ما تحمل الكلمة من معنى.

وكان المعنى الواضح والماثل هو الموت، الإمامة الفكرية التي يترشح من موت الفكر، وموت الروح، وموت القيم والسلوك، وموت الحضارة.

هكذا كانت الحضارة، وإذا بالسماء نفتح نافذة لتطلل على الأرض من خلال ما سمي في السماء: «أحمد» وفي الأرض: «محمد»، والجامع بينهما هو المحمود بِهِمْدُودٌ. تطل السماء من هذه النافذة وتبعثه على حين فترة من الرسل، فكان هو ذا الانقطاع، وإذا بالحياة تدب وتبعث بانبعاث الرسول بِهِمْدُودٌ إلى جسد الأمة وبقية الأجساد في أطراف الأرض. لذا كانت هذه الحياة، والحياة فقط، من خلال المنظومة الريفية والعالية، منظومة القيم والمعارف القادمة من السماء والنازلة من الله.

---

(١) سورة الجمعة، الآية: ٢.

وكمَا أوجزَ وعبرَ عنْه الشهيدَ الصدرَ - رضوانَ اللهُ علَيْهِ - في تعرِيفِه للحكم الشرعي: هو الخطاب الصادر من الله لتنظيم كافة شؤون الحياة. هكذا الحياة تبدو عند المشرع وبقلمه وفكرة.

إذن، الإحياء الإسلامي حقيقةً كان إحياء للأرض، فمصطلاح «الموت في الأراضي الميتة» الذي ما يزال ساري المفعول وضعهُ المشرع الإسلامي ليُحيي به الأرض، ولكن اعتقاد هنا الأرض الحقيقة هي أرض الإنسان، أرض البشر؛ لأن موت البشرية يُميت الأرض، وإذا ما ظلَّ الإنسان حيًّا سوف يحيي كل ما يحيط به.

إن الإحياء الإسلامي كلمة واسعة، ولذلك اختصرها بانتقاء أداة من أدوات الإحياء؛ ولعل هذه الأداة هي بمثابة الرأس فيها، وهي الإحياء الفكري الذي هو أساس أنواع الإحياءات الأخرى، وهي أساس للحياة بكل تنوعاتها.

#### □ الشيخ الفضلي والجعوزة

إننا حينما نظر على مناهج الحوزة لا نرى - ولا أقلَّ اليوم - إلا أن يقف طالب العلم منذ البداية في المقدمات وحتى حينما يرتفق للسطوح، بل وحتى حينما يصل إلى بحث الخارج، لا نراه إلا مُتَكَبِّلاً على مكتَباتَ الشيخ في مؤلفاته؛ لأنها تتسم بالعمق الحوزوي وبالطرح الأكاديمي المنهج والمدقَّط.

لذا يرى الطالب فيها حالة انسياط مع الكتاب، وهذا ما يميز كتاباتَ الشيخ في الحوزة. من هنا، فإنني في هذا الاتجاه أكتفي بهذه

الإشارة: لقد أضحت مؤلفات الشيخ اليوم - ويحق لنا أن نفخر أنها خرجت من هنا، من هذه الواحة الخضراء، من (هجر) خرج هذا الفكر ليتصدر الحوزة في مناهجها، ليس في حوزة (الأحساء) وإنما حتى في حوزة (قم)، وقبل (قم) كانت (النجف)، وإن كان نحو المختصرات والخلاصات. إلا أن المهم هو في الخلاصة؛ لأنها تعني عصارة الشيء، فلذا الشيخ اعتمد هذه الخلاصات والتلخيصات ليقدمها في ثوبها الجديد لطالب الحوزة.

#### □ الشيخ الفضلي والجامعة

وأما الجامعة، والتي تعتبر نموذجاً آخر وجناح ثانٍ من أجنبحة الأمة الوعية والمتقدمة، فحدث ولا حرج، إذ أضحت عميداً للجامعيين في كلية الآداب، وبجدارة فائقة، وذلك لتمتعه بعقلية العمق الحوزوي الذي دمجه مع الطرح الأكاديمي.

#### □ المحاضرات نوع آخر من الإحياء الإسلامي

نعم، يبقى نوع آخر من الإحياء الإسلامي، وهو من خلال ما قدمه من مفاهيم كانت بحق جديدة ولا أقل على هذا المجتمع. فكانت البداية في مؤلفاتٍ على نحو الكرايس، ولكنها أضحت من أبجديات الوعي الإسلامي، وذلك حينما ألف (مشكلة الفقر)، وكتاب (في انتظار الإمام)، ومعهما ناقش وكتب في كثير من المفاهيم.

نعم، كان الشيخ قوياً هنا بلسانه، فكان يتمتع بلسان ذرِّع عميق، فلذا انتعشت البلاد حينما تقاعد، وهو الذي كان تقاعداً عن الوظيفة

الرسمية، إذ لم يتقاعد عن العطاء، بل عَدَّهُ الشيخ نعمة للتفرغ لخدمة المجتمع، فكانت المحاضرات امتيازاً عالياً، حيث كان المجتمع بحاجة إليها، وكانت الآذان تنصت لها إنصاتاً جيداً.

وما أذكره حينما استمعت لإحدى محاضراته لأول مرة، وكان ذلك عام ١٤٠٢هـ، أي: قبل ٢٨ سنة مضت، وكانت بعنوان «الأيديولوجية الإسلامية»، فقدم فيها، ولو على نحو التنظير، ما ممتاز به هذه الحضارة الإسلامية من أيديولوجية عالية، يسر يسروعها كل من حضر، النخب وعامة الناس.

هكذا الشيخ أضحى خطيباً؛ لأن الخطيب من يتمتع بعنصر الخطابة، ألا وهي البلاغة التي تعني: «مراجعة مقتضي الحال»، فكان يُراعي - ورعايته عالية - جميع مستويات الحضور.

#### □ الحقيقة الناصعة للإحياء الإسلامي

أختتم بما قدمه ساحة الشيخ من نموذج عالي في المفهوم الإسلامي للنظام السياسي، إذ أبى إلا أن يقدم الصورة الناصعة لحقيقة الإحياء الإسلامي، وهو إحياء لا يكون إلا من (روح الله) حينما ألف كتاباً عالياً القيمة، ألا وهو: (الحكومة الإسلامية)، حيث قدم في هذا الكتاب حقيقة النظام الإسلامي، وأن هذا النظام لا يمكن أن يأتي إلا من خلال القراءة الشاملة والدققة للمنظومة الدينية.

ذلك أن أفضل صياغة للأديان صيغة على ضفاف الغدير التي انبثقت الحياة ولا تتبق إلا من الماء، هنالك وعلى الضفاف جاءت الصياغة كاملة في قوله تعالى: ﴿أَلَيْوَمْ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيْنَكُمْ وَأَنْتُمْ عَنِّيْكُمْ﴾

يُعْمَّقِي وَرَضِيَتْ لَكُمُ الْإِسْلَامُ دِينًا<sup>(١)</sup>.

هذه الصياغة انتقلت على كف المقصومين من كف إلى كف، لذا لم يصبها خلل ولا نقص ولا تحريف؛ لأنها بيد مقصومة، والقرآن عصم نفسه: «لَا يَأْنِيهِ الْبَطْلُ مِنْ يَتَّبِعُهُ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ»<sup>(٢)</sup>، وكذلك المفترن بقرين أكيد مع القرآن وهي العترة: «إِنَّ مُحَكَّمًا فِيمُثْقَلِّيْنَ مَا إِنْ تَمْسَكْتُمْ بِهَا لَنْ تَضْلُّوْا أَبْدًا: كِتَابُ اللَّهِ وَعَرْقِيْ أَهْلُ بَيْتِيْ، لَنْ يَفْرَقَا حَتَّى يُرْدَا عَلَى الْخَوْضِ»<sup>(٣)</sup>؛ لأن العترة مقصومة: «وَإِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِتُذَهَّبَ عَنْكُمُ الْإِرْجَحَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطْهِرُكُمْ تَطْهِيرًا»<sup>(٤)</sup>.

كانت هذه الصياغة مرت عليها قرون وقرون من الغيبة - بغية الولي - ولكن يا تُرى نسأل وإياكم في أداة الإحياء الإسلامي: وهل الصياغة تغيب بغية الولي؟، إنها لا تغيب؛ لأن النبي ﷺ أبى إلا أن تكون ظاهرة؛ لأنه أظهر هذه الصياغة: «هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ يُظْهِرُهُ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا، وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُوْرَ»<sup>(٥)</sup>.

نعم، لا تغيب لأن «حلال محمد حلال أبداً إلى يوم القيمة،

(١) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٢) سورة فصلت، الآية: ٤٢.

(٣) معانى الأخبار، الشيخ الصدوقي، ص ٩٠، باب معنى الثقلين والعترة.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

(٥) سورة التوبية، الآية: ٣٣.

وحرامه حرام أبداً إلى يوم القيمة»<sup>(١)</sup>.

نعم، نحن نتمتع بمناظير عالية ودقيقة تقرأ ما بين السطور، وأفضل المناظير في قراءة هذه الصياغة للأديان عبر منظور: «ولاية الفقيه»، هذه القراءة الشاملة والدقيقة والتي تمعنا وإياكم من خلال هذه القراءة.

كان شيخنا آية الله الفضلي أحد القراء من منظور «ولاية الفقيه»، وكان يعتمدها اعتماداً أساسياً، ويشيد بهذه القراءة الخمينية. واليوم وهو يجل كثيراً الإمام الخامنئي إلى درجة يعتبره نموذجاً دقيقاً وفريداً ووحيداً في قراءة هذه الصياغة للأديان، ويقول - وأنقل ما سمعته - : «إذا ما أعطى الله الإمام الخامنئي عمراً سوف ترون ما يُذهل مما يقدم من قراءات وافية لهذه الصياغة في إحياء الإسلام».

نعم، هكذا أضحت الشيخ في هذه المنظومة وفي هذه الصياغة قارئ، وقارئ مجید، وبلا ملل وبلا كلل.

#### □ عطاء الشيخ في مرضه

حينما أصابته الجلطة الأولى، قمت بزيارته، وكنت متواصلاً معه، إلا في هاتين الستين حيث امتنع عن اللقاء، وأنا أقدر له هذا الامتناع؛ لأنّه يرفض أن يُرى بهذه الحالة، رأيته وسألته: «هل لا تزال تكتب؟»، فقال: «يا شيخ، أضحيت أمياً؛ لأنني لا أكتب إذ لا أتمكن من رفع القلم. ولا أرى، حيث لا أتمكن من القراءة، فأنا أمي».

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج ١، ٥٨، باب البدع والرأي والمقاييس.

ولكنني أقول له، عبر هذا المتر: «لست أمياً؛ لأننا وقد استمعنا في مهرجان «الفقيه المثقف» من ابنك الأستاذ فؤاد - الذي أضحك فؤاداً لك - أنك كتبت، وكانت من خيرة الكتابات في فترة الأمية التي تتحدث عنها».

ولكم أن تخيلوا هذه الحال في الأمية، فكيف إذا رجع إليك بصرك، وتحركت يدك، ما عساها أن تمسك لتبث الحياة من جديد؟!

أسأل الله لشيخنا العمر المديد والصحة والعافية، وأتمنى من إخواني أن يكونوا على مقربة قريبة من كتابات هذا الشيخ، فإن من لا يقرأ لمثل الشيخ، سيبقى أمياً وإنقرأ الكثير لغيره. فعلينا أن نزيل الأمية من خلال ما قدمه الشيخ في الإحياء الإسلامي، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

## من مداخلات الجمهور

### □ افتقاد الشيخ الفضلي محاضراً في المنطقة

فقدان الشيخ الفضلي كمحاضر وأستاذ ومربي يعتبر كارثة للمنطقة، أنا في العام الماضي لما أرسلت كتاباً للشيخ الفضلي أثني الأخ (فؤاد) عليه وكذلك الشيخ، وقال لي الأخ (فؤاد): أنا قرأتُ الكتاب على الشيخ. وهي مقوله آلتني، لذا لا بد للشيخ أن يشعر أن هنالك من أبنائه الأحسائيين من يشعر به ويقدر عطاءه، ويتفاعل معه. وقد آلتني أن مهرجان «القيقه والثقف» كان أشبه بالتأبين، وليس التكرييم. فما ألقى من ذكر المناقب وطبيعة العلاقة به هي أشبه بالتأبين لا بالتكرييم. وما أتساءل حوله هو: ما مدى حضور الدكتور في الحوزات العلمية في السعودية، أو في (قم)، أو في (النجف)؟

### ■ الأستاذ باقر بن عبد الوهاب الرستم

□ لا بد من التأكيد أن حضور الشيخ لايزال فاعلاً على الصعيدين الحوزة والجامعة، إما من خلال ما يكتب من مناهج، أو من خلال ما

يرسم من أيديولوجية للجامعة والحوزة.

وأنا في سنة من السنوات التقيت آية الله الشيخ محسن الآراكي في الحج - وهو المسؤول المباشر لجامعة آل البيت في لندن، والتي أسسها الإمام القائد الخامنئي - وأعطياني ملفاً طلب مني أن أسلمه آية الله الشيخ الفضلي، حتى يضع تصوّراً شاملًا لهذه الجامعة.

إن إيران ومع ما تمتلك من حضارة ومن عقليات جبارة إلا أنها تستعين بالشيخ الفضلي، وهو يدل على قوة حضوره.

حتى هنا في حوزة (الأحساء) الشيخ متواجد، وهنالك اتصالات معه، وإن كانت ليست بمستوى ساحة الشيخ.

وحينما نقرأ في أرشيف طلاب الشيخ، نرى هناك نماذج رفيعة على كل الصُّعد، سواء المفكرة أو السياسية أو القيادية، كما هي الحال مع السيد محمود المهاشي و هو أحد تلامذته المبرزين، والشيخ محمد مهدي الأصفي<sup>(١)</sup>، فاعتقد أن هذا الامتداد الوجودي للشيخ على نحو النماذج من الطلاب والأساتذة والشيخ والمفكرين والقادة السياسيين وغيرهم، هذا دليل على أن الشيخ لا يزال متواجداً.

## □ معالم الإحياء عند الشيخ الفضلي

■ الدكتور الفضلي - حفظه الله - كما ذكرت في كتابه (مشكلة الفقر)، وكتابه (في انتظار الإمام)، حينما تقرأه تحتاج إلى أوسع من هذا المستوى،

(١) الشيخ الأصفي ليس من تلامذة الشيخ الفضلي، وإنما من زملائه. المعد

الموجود هذا مجرد أبجديات، وهذه الأبجديات تحتاج إلى موسوعة كاملة. الواقع، مع شديد الأسف، كما تطرق الأستاذ باقر على غرار مهرجان (الفقيه المثقف)، حيث الكتابات التيتناولت الدكتور الفضلي لم تتناوله بالمستوى المطلوب، خرجت لنا ثلاثة ملفات ولا يوجد فيها دراسات تنصف الدكتور، إلا اثنين أو ثلاث تقريرياً. نعم، هنالك عناوين براقة لكن لا يوجد بها مضمون. وأسأكون ربياً قاسيًا هذه الليلة، فما استمعنا إليه إنما هو تقرير ولم يكن قراءة، فأين هو مفهوم الإحياء الإسلامي في كتابات الدكتور الفضلي، إننا نريد أن نتلمس معالم منهج الدكتور الفضلي في قضية الإحياء الإسلامي، أو إلى مقارنة للدكتور الفضلي مع غيره من الفضلاء الذين حملوا هذا الهم، هذا هو مفهوم الإحياء الإسلامي. إن الإحياء الإسلامي - كما تفضلت - مفهوم واسع، ولكن أنا لم أستمع إلى أمثلة أو مقارنة أو إلى دراسة في كتاباته، وشكراً.

■ الأستاذ عبد الله بن علي الرستم

□ أنا ذكرت نهاذج من الإحياء الإسلامي في كتابات الشيخ ما عبرت عنه في سؤالك بأنها أبجديات الوعي الإسلامي في هذين الكتابين: «مشكلة الفقر» وفي «انتظار الإمام»، وختمتها بأن أفضل قراءة لصياغة الأديان الإلهية عبر منظور (ولاية الفقيه) التي تعني الشمولية في هذه المنظومة الصياغة.

ذكرت جملة من هذه النهاذج، ويبقى الباب مفتوحاً، وليس على

نحو رفع التقرير، وإنما أنا من تأثر بالشيخ الفضلي من خلال قراءاتي، فكان منذ البداية في (قم المقدسة) سنة ١٤٠١هـ أحد المرجعيات الفكرية في القراءة لدى، والنماذج التي ذكرتها كآية الله السيد محمود الماشمي والشيخ الأصفي تعد انعكاساً لمشروع الشيخ في الإحياء الإسلامي.

## جهود الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي في الدراسات القرآنية

■ الأستاذ جابر بن عبد الله الخلف ■

ما أعنيه بهذا العنوان هو تناول الكتب والأبحاث والتحقيقات التي طرحتها الدكتور الفضلي حول علوم القرآن الكريم، مثل القراءات والتجويد والناسخ والمسوخ وغير ذلك.

وهو موضوع لا أدعى فيه تقديم أي جديد، وإنما يمكنني ادعاء تقديم المفيد، حيث سيكون موضوعي عرضاً لما كتب، وتعريفاً بمجموعة من الكتب، وليس لي فيه ابتكار أو إنجاز ما لم ينجز، وإنما رميت إلى تحقيق رغبة القراءة المتأنية فيها كتبه الشيخ الفضلي حول القرآن في هذه الأمسية القرآنية في شهر رمضان.

يعرف الدكتور داود العطار في كتابه (علوم القرآن) بقوله: «هي الأبحاث العلمية في القرآن الكريم، فلقد أقبل العلماء على دراسة كتاب الله المجيد، وكتبوا عنه أبحاثاً علمية قيمة أسموها: (علوم القرآن). وأهم هذه العلوم هي: علم التفسير، علم آيات الأحكام، علم الإعجاز، علم المكي والمدني، علم أسباب التزول، علم الناسخ

والمسوخ، علم المحكم والتشابه، علم الاعراب، وعلم البلاغة، علم الرسم القرآني، علم القراءات<sup>(١)</sup>.

### □ منذ الطفولة

من الطبيعي أن ترجع عنابة الدكتور الفضلي بالقرآن منذ نعومة أظفاره، وذلك من خلال عنابة والده الميرز محسن الفضلي (ت ١٤٠٩ هـ) به، فقد ختم القرآن الكريم في كتاب البصرة، وهذه هي النشأة الطبيعية لطالب العلم في ذلك الوسط العلمي في العراق، وخصوصاً في البصرة، حيث مسقط رأس الشيخ الفضلي عام ١٣٥٤ هـ.

ويتجدد اهتمام الشيخ الفضلي بالدراسات القرآنية فيها بعد أثناء تحصيله العلمي في البصرة، ودراسته (تحفة الأطفال في علم التجويد) للجنتوري، و(هداية المستفيد في علم التجويد) على يد الشيخ جاسم البصيري، وتوسيعه العلمي سواء كان في الحوزة العلمية، أو في كلية الفقه في النجف، ودراساته الأكاديمية في كلية الآداب بجامعة بغداد، ثم جامعة الملك عبد العزيز بجدة، وكلية دار العلوم بجامعة القاهرة.

### □ المفاهيم الإسلامية من منظور قرآني

ويمكن رصد اهتماماته أيضاً من خلال طرحه للمفاهيم الإسلامية في ضوء القرآن الكريم من خلال التأصيل لها من الآيات الكريمة، وذلك في كثير من كتاباته ومحاضراته وندواته العامة في المناسبات الاجتماعية والثقافية والاحتفالات الإسلامية في المنطقة الشرقية، سواء

---

(١) موجز علوم القرآن، داود العطار.

في الأحساء أو القطيف، مثل: طرحة لمفهوم (الأولى) و(الآخرة) في القرآن، وحديثه عن القرآن الكريم بوصفه منهجاً تربوياً في دراسة أصول العقيدة الإسلامية من خلال كتابه التربوي (التربية الدينية) مع شرح موجز لبعض السور القرآنية؛ كي يكون القرآن الكريم أول كتاب تنفتح عليه الناشئة.

في «فهرست مؤلفات العلامة الدكتور عبد الهادي الفضلي» الذي أعده الأستاذ حسين الشيخ، وهو يحتوي على المطبوع منها والمخطوط، صنفه مؤلفه إلى سبع مجموعات، وفي مقدمة هذه المجموعات (مجموعة علوم القرآن)، وجاء الفهرس كالتالي:

- (١) بداية الهدایة في علم التجوید - تحقیق، تأليف: الشیخ عبد المحسن اللوییمی الأحسائی (ت حدود ١٢٥٠ھ): تبحث هذه الرسالة في علم التجوید: أحکامه ومسائله، فی ضوء منهج فقهي استدلالي، يعتمد طریقة الاجتہاد وأصوله أساساً فی الدراسة والاستنتاج، ويرجع هذا إلی أن مؤلفها من الفقهاء المجتهدین، ومن ألل في فقه الصلاة ثلاث رسائل، وبطريقه علمیة استدلالية، حتى عاد عمیق التخصص ودقیقہ فی فقه الصلاة. ويبحث الكتاب مادة علم التجوید ضمن العناوین التالية: مخارج الحروف وصفاتها، الإدغام فی القرآن، أحکام النون الساکنة والتنوین، حروف لا تدغم فیها يقاربها (المد والقصر)، ترقیق الراء وتفخیمها، تغليظ اللامات وترقیقها، الوقف علی أواخر الكلم.

- (٢) درة القارئ (منظومة فی ظاءات القرآن الكريم) - تحقیق، نظم :

الحافظ عبد الرزاق الرسعني (ت ٦٦١هـ): وهو لون من التأليف يعرض لبيان ما يقرأ ويكتب بالظاء من الكلم القرآني الكريم، فتدخل مادته في دائرة التأليف في علوم القرآن، واعتمد مؤلفه أسلوب النظم فيه تسهيلاً لاستظهاره، وتيسيراً لاستحضاره، وهو نهج سلكه غير قليل من المؤلفين المتقدّمين، وشاع سلوكه في أخريات العصر العباسي، وعصر الدول المتابعة. وتتألف منظومته من واحد وثلاثين بيتاً، من البحر البسيط التام، ورويتها: النون المكسورة، وأشار الناظم إلى تسميتها وبحرها بقوله:

سُمِّيَّتْهَا (دَرَةُ الْقَارِيِّ)، وَنِسْبَتْهُ بَحْرُ الْبَسِطِ، فَزَهَا، وَأَخْتَبَرَتْ بَنِّ

(٣) شرح الواضحة في تجويد الفاتحة - تحقيق، تأليف: ابن أم قاسم المرادي النحوي (ت ٧٤٩هـ): يتالف الكتاب من متن وشرح. فمتنه: منظومة من البحر الطويل، وفافيتها دالية مكسورة، عنوانها: (الواضحة في تجويد الفاتحة)، من نظم الشيخ برهان الدين إبراهيم بن عمر الجعبري المقرئ النحوي، والمنظومة تتحدث عن أحكام تجويد كلمات سورة الفاتحة. أما الشرح، فهو للحسن بن قاسم المرادي النحوي المعروف بابن أم قاسم، يلقي فيه الشارح الأضواء على الجوانب التجويدية والقراءية واللغوية والنحوية لأبيات المنظومة، ومطلع المنظومة:

بِحَمْدِكَ رَبِّي أَوَّلَ النُّظُمِ أَبْتَدَيْ وَأَهْدَى صَلَاتِي لِلنَّبِيِّ مُحَمَّدٌ

(٤) القراءات القرآنية.. تاريخ وتعريف: من أوائل الكتب التي

تناولت بحث القراءات القرآنية بالتعريف والتاريخ توسيع وشمولية، توزعت فصول الكتاب على النحو التالي: نشأة القراءات وتطورها، التعريف بالقراءات، مصادر القراءات، اختلاف القراءات وأسبابه، الاختيار في القراءات، المقياس القرائي، القراءات والتجويد.

(٥) قراءة ابن كثير وأثرها في الدراسات النحوية - رسالة دكتوراه (١٩٧٥م): تتكون هذه الرسالة من تمهيد وثلاثة أبواب: الباب التمهيدي، ويشمل التعريف بابن كثير: نشأته، حياته العلمية، أسانتذه، تلاميذه، ووفاته. وبعد الباب الأول: القراءات القرآنية، وقد استله المؤلف من الرسالة لاحقاً وطبعه ككتاب مستقل، وقد عرفنا بفصله. ثم الباب الثاني: قراءة ابن كثير، ويشمل فصلين: الأول: التعريف بقراءة ابن كثير: أسانتذه، إسناده في القراءة، إمامته فيها، تلاميذه ورواياته، وإسنادهما إليه، طريقته في القراءة، التأليف في قراءة ابن كثير. والثاني: نصوص قراءة ابن كثير، حيث بلغ جموع ما ذكره المؤلف (١٦٠٠) نصاً متواتراً. وآخرها الباب الثالث: أثر قراءة ابن كثير في الدراسات النحوية: وذلك من خلال بيان أثر القراءات عامة في الدراسات النحوية، ثم خصص البحث في أثر قراءة ابن كثير في الدراسات النحوية، وقسم ذلك الأثر في الأصوات والصرف والنحو، والأساليب. ثم الخاتمة وضمت خلاصة البحث ونتائجها، وهي كما وردت في كتاب الفقيه المثقف ص ١٦٣:

١. مكة المكرمة من حواضر الدراسات النحوية في فترة ولادة النحو ونشوئه، أي من النصف الثاني من القرن الأول الهجري.
٢. ابن كثير كان نحوياً من رواد علم النحو الأوائل.

٣. استشهد العلماء بقراءة ابن كثير في الأصوات والصرف والنحو والبلاغة واللهجات والمعاجم والتطور اللغوي.
٤. قراءة ابن كثير للنحو شاهد على قواعده ومسائله منذ بدء التأليف فيه حتى الآن.
٥. جواز الجمع بين الساكنين غير مقصور على ما كان أول الحرفين منها مَدًّا كما هو رأي النحاة، وإنما يشمل ما كان الحرف الثاني منها مُدْعَمًا، وما كان الحرف الأول منها حرف مد ولين، استنادًا إلى قراءة ابن كثير.
٦. جواز قصر المدود في الترث.
٧. جواز تقديم الأسلوب البلاغي على القاعدة النحوية.
٨. حفظت لنا قراءة ابن كثير لهجة إثبات حرف العلة حالة الجزم.
٩. ابن كثير كان يوافق في كثير مما انفرد به الأصل النحوي، كما في وصله هاء الكتابة، ووصله ميم الجمع.
١٠. يوافق ابن كثير الاستعمال العربي الشائع فيما اختلف فيه القراء، واعتبر من القراءات المشكلة نحوياً.
١١. اختيارات ابن كثير جاءت موافقة للغة قريش والحجاز.
١٢. حفظت لنا قراءة ابن كثير ١١٦ لهجة منسوبة وغير منسوبة.
١٣. يؤثر ابن كثير في أغلب اختياراته للهجات العربية الشائعة.
١٤. إن كثيراً من الألفاظ المعجمية في القراءات قد أغفلها مؤلفو المعاجم العربية.

(٦) الناسخ والمسوخ - تحقيق، تأليف: كمال الدين عبد الرحمن بن محمد العتائقي الحلي: الكتاب يعرض لسور القرآن الكريم، ويشير في

كل سورة إلى عدد الآيات الناسخة أو المنسوخة فيها، ثم يثبتها مع الإشارة في كل آية منسوخة إلى الآية التي نسختها، مبتدئاً من الفاتحة، ومتهاجاً بsurة الناس.

(٧) علم التجويد: كتاب دراسي في علم التجويد، ما يزال مخطوطاً.

لم يذكر الأستاذ حسين الشيـخ كتاب: زلة القارىء، للنسـفي بـتحقيق الدكتور الفضـلي، وقد ذكره السيد هاشـم الشخصـ في أعلام هجرـ في مجال تـحقيق الكـتب، وذـكره أيضـاً الأستاذ عبدـالله صالحـ آل عـلى في بـحثـه الجـامعـي: «الـدكتـور عبدـالـهـيـ الفـضـليـ عـالمـ اللـغـةـ وـالـنـحـويـ السـعـودـيـ».

كما لم يذكر الأستاذ حسين الشـيـخ كتابـ الـلامـاتـ، وـهو درـاسـةـ نـحـويـ شـاملـةـ فـي ضـوءـ القرـاءـاتـ القرـائـيـةـ وـقد اقتـرـحـ منـهجـهاـ فـي رسـالتـهـ للـدـكـتـورـاهـ عنـ قـراءـةـ ابنـ كـثـيرـ وـأـثـرـهـ فـي الـدـرـاسـاتـ النـحـويـةـ. كـمـاـ لـمـ يـذـكـرـ كـتابـ إـعـرـابـ سـوـرـةـ الـفـاتـحةـ، وـقـدـ ذـكـرـهـ السـيـدـ هـاشـمـ الشـخـصـ.

#### □ في مجال الإشراف الأكاديمي على الرسائل العلمية

ومن جهود الدكتور الفضلي في خدمة القرآن إشرافه على الرسائل العلمية، والأطروحـاتـ الجـامـعـيـةـ، وـمنـ أمـثلـةـ ذـلـكـ:

- إشرافه على رسالة دكتوراه، للدكتورة صباح بافضل، كلية التربية للبنـاتـ في جـدةـ، بـعنـوانـ: (ـمـنـ الـظـواـهـرـ النـحـويـ لـلـحـرـوفـ المستـخدـمةـ فـيـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمــ).

- وإشرافه على رسالة ماجـستـيرـ، للأـسـتـاذـةـ ثـرياـ مـدنـ عـمـيرـ، فـيـ الـجـامـعـةـ

العالمية للعلوم الإسلامية، بعنوان: (مناهج التفسير).

### □ في مجال البحث الفقهي

في بحثه بعنوان: (الشيخ الفضلي فقيها) عرض السيد محمد الحسيني للملامح العامة لمنهج الشيخ الفضلي الفقهي، وهي في اختصار: الفهم العرفي، التزعة التاريخية، الذهنية المعاصرة، البعد العلمي، المرجعية القرآنية، الرؤى المستقلة.

ويمكن تلخيص ما يعيه السيد الحسيني فيما يعيه بالمرجعية القرآنية في الآتي: «يلاحظ على المنهج الفقهي السائد - مع الاعتراف بالمرجعية القرآنية - التعاطي مع السنة الشريفة بمستوى واحد، وبمسافة واحدة مع القرآن الكريم، في وقت يؤكد فيه عدد من الفقهاء على ضرورة قراءة نصوص السنة الشريفة وتفسيرها في ضوء القرآن؛ لأنّه المصدر الأول للتعميد، ولا ينفصل أي نص، أو موقف عن الإطار العام للنص القرآني»، ثم يضيف: «وتبدو هذه الإشكالية في المسائل الشرعية، ومن ذلك مركز المرأة القانوني في ضوء بعض النصوص الشرعية، ومسائل أخرى مهمة تتصل بالشأن الحياتي العام». ويضرب السيد الحسيني أمثلة لذلك، مثل: مسألة ولادة المرأة للوظائف العامة، ومنها الولاية السياسية والقضائية، ومسألة الغناء، ومسألة السلام مع الكيان الصهيوني.

لقد انطلق الشيخ الفضلي في مقاربة هذه المسائل بقراءة أقرب ما تكون إلى (السياق القرآني). إن اهتمام الدكتور الفضلي بمرجعية النص القرآني في أطروحته الفكرية والفقهية باعتبار أن القرآن هو المرجع

الأول في التشريع، فهو من المهتمين بالمدارس العلمية الجديدة في مجال الدراسات الحوزوية والأكاديمية.

والخلاصة: إن جهود الشيخ الدكتور الفضلي في الدراسات القرآنية جهود ثرة و مهمة، وهي جهود ذات قيمة علمية عالية، فقد ختم القرآن منذ نعومة أظفاره، واهتم بتناول علوم القرآن في مجال طرح المفاهيم ومناقشتها، وفي مجال تحقيق التراث العربي الإسلامي، والعناية بالمخطبات، و مجال التأليف الذاتي، وفي مجال الإشراف الأكاديمي، وفي مجال المنهج الفقهي درساً وتطبيقاً.

إن علوم القرآن كثيرة، وقد اشتغل الدكتور الفضلي على بعضها، وألف في أهمها، مثل: علم القراءات، وعلم آيات الأحكام في منهجه الفقهي، وعلم الناسخ والمنسوخ، وأشرف على دراسات علمية تتعلق بمناهج التفسير، ونحو القرآن وإعرابه .

#### □ الهوامش

(١) من مراجع الشيخ جلال الحنفي البغدادي في كتابه قواعد التجويد والإلقاء الصوتي (كتاب بداية المداية في علم التجويد)، كما أن من مراجعه أيضاً (رسالة في بعض أسرار التجويد)، للشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي المتوفى سنة ١٣٤١ هـ.

(٢) كتاب القراءات القرآنية في الأصل ليس كتاباً مستقلاً، وإنما هو مقتبس من أطروحة الدكتوراه التي أعدها الدكتور الفضلي في جامعة القاهرة، ويبدو أنها فصوحاً الأولى، وقد رجع إليه، ونقل منه

الشيخ جلال الحنفي البغدادي في كتابه قواعد التجويد والإلقاء الصوقي، والسيد جعفر مرتضى العاملي في كتابه حقائق هامة حول القرآن الكريم.

#### □ المصادر

١. أعلام هجر، السيد هاشم الشخص.
٢. التربية الدينية، الدكتور عبد الهادي الفضلي.
٣. الدكتور عبد الهادي الفضلي عالم اللغة والنحوي السعودي، الأستاذ عبد الإله صالح آل علي
٤. الفقيه المثقف، فؤاد الفضلي.
٥. فهرست مؤلفات العلامة الدكتور عبد الهادي الفضلي، الأستاذ حسين الشيخ.
٦. قالوا في جدنا، غسان الفضلي، نائل السلطان.
٧. موجز علوم القرآن، الدكتور داود العطار.

الموسم الرابع

## التجديد والتعددية: فضل الله والفضلاني نموذجًا

الدكتور أحمد اللويسي

رمضان ١٤٣١ هـ

- افتتاحية الندوة
- التجديد والتعددية فضل الله والشيخ الفضلاني  
نموذجًا
- المداخلات



## افتتاحية الندوة

■ الأستاذ جابر بن عبد الله الخلف ■

تأتي الندوة في دورتها الرابعة وهي تدور حول شخصيتين مهمتين في منجزهما المعرفي والفقهي، وهما السيد محمد حسين فضل الله رحمه الله، الذي انتقل إلى عفوره في ٤ يوليو ٢٠١٠م، والدكتور عبد الهادي الفضلي - حفظه الله.

في ١١ رمضان ١٤٢٨هـ قدم الشيخ محمد العباد محاضرة بعنوان: «الشيخ الفضلي الشخصية الاستيعابية»، وفي ١٨ رمضان ١٤٢٩هـ قدم الأستاذ باقر الرستم محاضرة بعنوان: «الشيخ الفضلي الإنجاز الكبير لمدرسة الشهيد الصدر»، وفي ١٣ رمضان ١٤٣٠هـ قدم الشيخ إبراهيم آل رضي محاضرة بعنوان: «الإحياء الإسلامي في كتابات الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي». وهذه الليلة يقدم لنا الدكتور أحمد اللويسي محاضرة بعنوان: «التجديد والتعددية .. فضل الله والفضلي أنموذجًا».

إن الحديث حول المنجز المعرفي الذي قدمه الدكتور عبد الهادي الفضلي ممارسةً معرفيةً جديرة بالاستمرار؛ لأن الدكتور الفضلي قدم ما يستحق القراءة والتأمل والمراجعة والتواصل، وهو بذلك يذكرنا بالسيد فضل الله الذي قدم مشروعًا فقهياً وفكرياً واجتماعياً وأدبياً مائلاً

جديراً بالقراءة والتأمل والتواصل.

كلا الشخصيتين طرحا قراءة معاصرة للفقه والفكر، واجتهدا في تحرير الأفكار والرؤى الإسلامية من عوالق التقاليد والأعراف الدينية والاجتماعية والثقافية بجهد متواصل.

بين (فضل الله) و(الفضلي) مشابهة لفظية من حيث الاسم، ومشابهة منهجية وعلمية من حيث الطرح. وكلاهما كان يؤمن بأن (التجديد هو الحل)، وبيان (التتجدد سمة من سمات الشريعة الإسلامية)، وكلاهما أيضاً شخصية علمية بارزة ومستقلة، وذات رؤى توأمية أصيلة ومعاصرة.

التعددية - حسب موسوعة ويكيبيديا الإلكترونية من منظور علم الاجتماع -: «عبارة عن إطار لتفاعل تَظَهُرُ فيه المجموعات التي تحترم التعايش المثمر، والتفاعل بدون صراع وبدون انقسام». وتعد التعددية من أهم ملامح المجتمعات الحديثة والمجموعات الاجتماعية، وربما تعد مفتاحاً لتقدم العلم والمجتمع والتنمية الاقتصادية. إن المشاركة الواسعة والشعور القوي بالالتزام عند أعضاء المجتمع تؤدي إلى نتائج أفضل.

من أجل هذا نجتمع الليلة؛ وكلنا آذان واعية، سنمكث مستمعين منصتين مصغين للدكتور أحمد اللويمي؛ فليتفضل مشكوراً ليثر علينا حضوره البهي.

## **التجديد والتعديدية: فضل الله والفضلاني أنموذجاً**

■ الدكتور أحمد الويسي ■

الحياة في مظهرها العام لا ترتبط بحركة الزمن في دوران الليل والنهار، بل إنَّ ما يشكل مظهر الحياة ويحدد طبيعتها وجوهرها هو القدر الذي يمتلكه الإنسان من عمق وإدراك مفاهيم الحياة. فالحداثة والقدم لا يكون بعدها الحقيقي ما تنقله أحداث التاريخ بقدر ما يرسمه الإنسان من طبيعة الفهم والقيم والإدراك لتفاصيلها. ويبز التجديد مرتبطاً بالزمن بالقدر الذي يدركه الإنسان من الحاجة لإعمال أدوات جديدة وقراءات مستحدثة لوجوده في الحياة وعلاقته مع كافة مناحيها. ويظهر جلياً أن التجديد إفراز لإدراك الحاجة في حركة الزمن للتحول والتبدل والتغيير للتواافق مع متطلبات المرحلة. فالزمن المجرد دون الإدراك لإفرازاته لإعمال الأدوات الفاعلة المتمثلة في الحاجة لا يفرز تجديداً ولا يخلق حاجة للتبدل والتحول.

ولعل من أهم الجوانب التي تعكسها نظرية داروين في التطور والارتقاء ذات الصلة بمفهوم التجديد ما تشير إليه النظرية حول مفهوم الانتقاء الطبيعي (Natural Selection)، والتي تؤكد الحاجة للتحول والتآكل مع المتغيرات الطبيعية، وذلك لاكتساب قابليات

وملكات جديدة قادرة على الاستمرار في البيئة الجديدة للاستفادة القصوى من قدراتها وطاقاتها.

وأما ما يتعلق بمفهوم التجديد وحدوده وأقاليمه وأدواته، فذلك أمر شاسع لا تستوعبه أسطر هذه الدراسة، وإنما الحد الذي تطمح إليه هو قراءة في بعض ملامح التجديد للقراءة الدينية لمفهوم الإنسان في النص الديني من خلال ما تمظهر في كتابات عالمين جليلين لها تجربة ثرية وطويلة الابع في هذا المضمار، وهما العلامة الفقيد الراحل السيد محمد حسين فضل الله - رضوان الله عليه، والعالم الكبير الدكتور عبد الهادي الفضلي. حيث انشغل الأول في تقديم قراءة علمية نفسية للإنسان المسلم الراهن وما تخلجه من إشكالات وعوائق تمنعه من بلوغ ما أراده النص من صناعة وتشكل له.

وانشغل الدكتور الفضلي ردحاً طويلاً في إعادة كتابة المناهج العلمية التي تساهم في صناعة قراءة النص الديني، وذلك لما شكله وعيه التجديدي من حاجة ماسة للتغلب على ما تخلقه الأدوات التعليمية المتمثلة في المناهج للمدارس الدينية من عوائق جسمية في إدراكٍ أعمق وبُعدٍ أوسع لمراد النص الديني من مفاهيم.

إن أي محاولة تجديدية لتقديم أدوات قراءة مستحدثة، أو ما يستنطق من هذه القراءات لا بد أن يتنهى إلى تنوع في الرؤى وتعدد في المدارس، وهكذا تبقى الحياة متعددة تفرز ما ينجبه التجديد المتعدد ليخلق تلك الصور الجميلة من التنوع ليتجلى في أبهى صورة في ذلك التعدد الفكري الواسع المنحدر من قراءة النص الديني.

وما تقدمه هذه الدراسة إنما هي لحنة عن مفهوم التجديد وأشكاله، ومن ثم بعض الجوانب عن مفهوم التعددية، ويليها قراءة للمنهج التجديدي لكل من العلامة فضل الله - رضوان الله عليه، والعلامة الفضلاني.

### □ مصطلح التجديد

التجديد في اللغة: «الِّحْدَةُ: نَقِيضُ الْبَلِい؛ يقال: شَيْءٌ جَدِيدٌ، جَدَّ الثُّوْبُ وَالشَّيْءُ يَجِدُّ، بالكسر، صار جديداً، وهو نقىض الخلق. وتَجَدَّد الشَّيْءُ: صار جديداً. وأَجَدَهُ وَجَدَهُ وَاسْتَجَدَهُ أَيْ صَيْرَهُ جَدِيدًا».

وما يوصل مفهوم التجديد ما جاء عن الرسول ﷺ في حديثه: «إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ إِلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مِّنْ يَمْجِدُهَا دِينَهَا»<sup>(١)</sup>.

وأحد مفاهيم التجديد الواردة في كتب العصور الأولى يعني: الإحياء، كما أشار إلى ذلك عبد الرحمن الحاج إبراهيم في بحثه (مفهوم التجديد في الفكر الإسلامي): «الإحياء: يظهر أن تفسير التجديد هنا بمعنى إحياء ما اندرس من السنة أو (إحياء الدين) عندما تكون تحديات العصر الكبرى التي وجد المفسر فيها من النوع الذي يهدد الكيان الإسلامي في مستوى عقائده ومجتمعاته وأخلاقياته وقيمه على نحو كلي. ولعل هذا التفسير هو أول ما وردنا عن التعريف بمفهوم هذا المصطلح في كل شروح السنة الشريفة، وهو قول الزهربي رض (التاجي

(١) تهذيب الكمال، أبي الحجاج يوسف المزري، ج ١٢ / ٤١٣

الجليل الذي يفهم من وصفه لل الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز بمجدد القرن الأول<sup>(١)</sup>.

ونجد هذا أيضًا عند ابن الأثير، إذ يقول: «فالأجدر أن يكون ذلك إلى حدوث جماعة من الأكابر المشهورين على رأس مئة سنة يجددون للناس دينهم ويحفظون مذاهبهم التي قلدوا فيها بمهدتهم وأئمتهم»<sup>(٢)</sup>.

وأما مفهوم مصطلح التجديد في الواقع ما تمارسه القراءات المعاصرة، فيعرفه حب الله في بحثه (مشروعية تجديد الفكر الديني) إلى أن التجديد هو: «محاولة جادة لإضفاء عناصر لم تكن موجودة من قبل على كيانٍ كان وما يزال له وجوده. بهذه الطريقة يكون هذا الكيان قد جُدد، سواء حصل التجديد في حذف بعض عناصر الكيان السابق أم في إضافة عناصر أخرى جديدة، أم في إعادة ترتيب العناصر نفسها. سواء كان ذلك في الشكل أم المضمون أم في المنهج الذي يحكم محل العناصر أو الوصول إليها. لكن لا يحصل التجديد بإحداث كيان جديد محل الكيان القائم القديم، فتجديد الفقه الإسلامي - مثلاً - شيء والإتيان بفقهه جديد شيء آخر».

ويتبين من خلال ما جاء في مفهوم التجديد في بعده الكلاسيكي في كتب المصدر الأولى وما يزاوله المجددون المعاصرون أن التجديد لا يعني استئصال الأصل واستبداله بجديد، بل هو محاولة لاستبدال

(١) انظر: ابن حجر العسقلاني، تولى التأسيس لعلي محمد بن إدريس، تحقيق: عبد الله القاضي، بيروت - دار لكتاب العلمية، ط ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦، ص ٤٨.

(٢) جامع الأصول، تحقيق: الأنداز ووط، ج ١١/٣٢١.

أدوات وتحديث أخرى تعين على الكشف عن أبعاد غير مطروفة في النص، والعمل على الرفع بالفهم له مستوى يلتقي وتلبية الاحتياجات المعاصرة له. فالتجديد - بشكل أبسط - هو تحديث لفهم النص وتقريب تطبيقاته الموافقة لاحتياجات العصر.

#### □ أبعاد التجديد وحدوده

إن من ضرورات التجديد سعة الدرأة والاطلاع على الأدوات المتاحة لقراءة النص. فالدعوة للتجديد لا يمكن أن تتحذز مسارها إلا من خلال تفحُّص قيمة وفاعلية وتأثير المتأخر من التراث. فالتجديد في بعده الترميمي لأدوات القراءة أو الاستبدال يتحرك بحجم ما تستطيع هذه الأدوات من استيعاب متطلبات التحول ومقدار الضغط الذي يمارسه الواقع في استنطاق النص. والتجديد في استبدال أو تأسيس أدوات القراءة يعتمد أيضاً على حجم ما يمتلكه الحركة التجددية من رؤية وأفق للواقع؛ لأن الرؤية التجددية تستبطن في ذاتها حراكاً إصلاحياً لا نشطاً أكاديمياً مجرداً. والإصلاح إنما يستلزم طرفين مهمين؛ هما: (النظرة) و(الرؤية)، كما يؤكّد على ذلك العارف الكبير مولانا جلال الدين الرومي.

فالنظرة تحَدُّد أفق الاطلاع وحجم ما يمتلكه المجدد من شمولية في الواقع ومتطلباته. والرؤية يراد بها قدرة وصلابة ما تحمله الحركة التجددية من كفاءات تنويرية في إماتة اللثام عن جوانب النص الكفيلة بتلبية الاحتياجات الملحة التي استلزمت التجديد بادئ ذي بدء.

إن نجاح منهجية التجديد تستمد ما تملكه من هذين الجانبيين، وهما: الاطلاع على التراث الديني من حيث قدرته وكفاءاته في تلبية احتياجات التطور والنمو الحضاري، ومن جهة أخرى ما تملكه الحركة التجددية من وضوح ورسوخ في منهجها التجددية. حيث الأول يجدد من توغل التجديد في الدين نفسه ويحصره في فهم نصه، والأخر يمصن من الضياع والتيه في حركه تجديدية فاقدة للوجهة والأبعاد. كما يشخصه حب الله في بيان حدود وأدوات المنهج التجددية: «أما الاستبدال الراديكالي التام للمنظومة القديمة بمنظومة جديدة، وهذا هو التجديد بالحد الأعلى، فهو تجديد في الواقع، وليس تجديداً في المستبدل. لهذا كان من حق دعاة التجديد في الدين أن يطالبوا بتجديد لا يكون على حساب الدين وإنما له، وذلك بتجديد لا يحدث قطعة مع الدين والتراث، وإنما تواصل واتصال بتجديد لا يعني - كما يقول العلامة فضل الله وآخرون - إسقاط القديم كله واستبداله بفكر جديد لا علاقة له به ليكون ذلك خروجاً من الإسلام ومصادر الشريعة: إلى غيره بتجديد لا يسوق إلى الاستلاب وإنما إلى الوجود والتحقيق».

#### □ مشروعية التجديد

إن مبررات التجديد هي التي تؤسس لمشروعيته، وقوة الحجة ووضوح الحاجة تعين على تأسيس مشروعية دون أن تواجه صدود القوى السلفية المتمسكة بالأدوات التقليدية. ولعل أهم العوامل المساعدة في بناء مشروعية التجديد هو وضوح أبعاد المشروع وتفاصيله وأدواته. فلا مشروعية في حركة تجديدية غامضة تتختبط في أهدافها

وتعاني الفقر من أدواتها. فالضرورة قد تكون دافعاً للتجربة، إلا أن المشروعية لا تولد تلقائياً بهذا الشعور ومقدار الحاجة. ومن جانب آخر طول الوقوف عند هاجس المشروعية دون الإقدام عليه يفوت الفرصة على التجديد من تقديم نماذج قادرة على بناء أسس المشروعية «بقدر ما أطالب بالجواب عن سؤال المشروعية الذي طرحته على نقاد التنوير يلح الواقع بسؤال الضرورة».

ولعل من أهم معوقات التجديد هو الفضاء الذي فيه يتولد ويتحرك، فالحرية في افتتاح التجديد في مبانيه العلمية ورموزه الفاعلة على كافة التيارات المشتعلة بالشأن الديني أساس مهم في إثبات مشروعية المشروع التجديدي. وتعد حرية التعبير في فضاء يمارس التعقيم والتلبيس من أهم المشاهد الحافلة في تاريخنا الإسلامي بشكل عام والشيعي بشكل خاص، كما نقل الشيخ حسن الصفار في مقاله الضافي الكثير من المشاهد المعبرة على ما عاناه المجددون من المحققين، كابن إدريس الحلي خلال رحلة تأسيس وتطور الاجتهداد الإمامي.

#### □ مشروعية التجديد وهاجس الهوية

من أهم الأدوات التي توظف في معركة مشروعية التجديد هو ما تشهده الساحة العلمية الثقافية الراهنة من تراشقات يدور مدارها حول «الهوية». إن عقلية المؤامرة تطغى في خطاب المعارضة للحركات التجددية ورموزها من خلال التأكيد على خطورة هذه المشاريع على أصالة الهوية الإسلامية للأمة، واعتبار هذه المشاريع الأبواب التي من خلالها تنفذ المشاريع الاستعمارية. وبالرغم من الردح الطويل الذي

قطعه الخطاب التجديدي من التقدم والتطور على المستوى التنظيري والأكاديمي، كما يشير إلى ذلك الميلاد في بحثه (لماذا تأخرت مهمة تجديد الخطاب الإسلامي؟)، إلا أن إ حالـة التجديد من التنظير إلى التطبيق ما يزال يواجه العوائق والصـدود، خصوصاً ما تشهـدـه الساحة الإسلامية الراهـنةـ منـ الحـضـورـ الطـاغـيـ للـخـطـ السـلـفـيـ الأـصـولـيـ الإـحـيـائـيـ الـذـيـ يـؤـسـسـ وـجـودـهـ عـلـىـ أـسـاسـ مـكـافـحةـ كـافـةـ الـمـشـارـيعـ التـجـديـدـيـةـ باـعـتـبارـهاـ خـطـراـ عـلـىـ الـهـوـيـةـ الـإـسـلـامـيـةـ فـيـ بـعـدـهاـ الـإـحـيـائـيـ السـلـفـيـ؛ـ إـذـ اـعـتـبـرـ هـذـاـ الـمـسـلـكـ السـلـفـيـ كـافـةـ الـمـشـارـيعـ التـجـديـدـيـةـ عـلـىـ مـسـتـوىـ وـاحـدـ وـدـجـمـهاـ مـعـ الـمـخـطـطـاتـ الـاسـتـعـمـارـيـةـ لـلـعـنـفـ فـيـ مـكـافـحةـ الـرـمـوزـ التـجـديـدـيـةـ الـتـيـ لـاـ تـنـفـكـ عـنـ مـشـرـوعـ جـهـادـ الـمـسـتـعـمـرـ الـأـجـنبـيـ.

يبقى هاجس الهوية من أهم المعوقات التي تواجه مشاريع إ حالـةـ المـشـرـوعـ التـجـديـدـيـ التـنـظـيرـيـ لـشـرـوعـ حـيـاةـ.ـ إنـ هـاجـسـ الـخـوفـ منـ الـآخـرـ القـويـ الـمـتـمـثـلـ فـيـ الـحـضـارـةـ الـغـرـبـيـةـ أـهـمـ الـمـبـرـاتـ الـتـيـ تـشـحـذـ الـدـفـاعـ الـمـسـتـمـيـتـ لـدـعـةـ صـيـانـةـ الـهـوـيـةـ فـيـ مـوـاجـهـةـ الـبـرـامـجـ التـجـديـدـيـةـ الـتـطـيـقـيـةـ الـتـيـ تـجـهـدـ فـيـ تـقـدـيمـ النـصـوـصـ الـمـتـوـافـقـةـ وـاـحـتـيـاجـاتـ الـإـنـسـانـ الـمـسـلـمـ الـذـيـ أـضـحـىـ وـاقـعـهـ اـمـتدـادـاـ مـعـبـراـ وـصـارـخـاـ لـلـتـلـبـسـ بـمـعـطـيـاتـ الـحـضـارـةـ الـغـرـبـيـةـ.ـ إـنـ وـهـمـ حـقـ الـهـوـيـةـ الـإـسـلـامـيـةـ الـذـيـ يـغـذـيـ شـرـوعـ مـكـافـحةـ التـجـديـدـ سـيـقـىـ فـاعـلـاـ نـشـطاـ حـتـىـ تـسـتـطـعـ الـمـشـارـيعـ التـجـديـدـيـةـ تـقـدـيمـ نـجـاحـ يـمـثـلـ اـخـتـرـائـاـ لـلـوـاقـعـ الـرـاهـنـ الـذـيـ أـبـسـطـ مـاـ يـعـبرـ عـنـهـ اـزـدواـجيـةـ هـوـيـةـ الـمـسـلـمـ بـيـنـ الـاـنـتـهـاءـ لـلـإـسـلـامـ وـالـمـهـارـسـةـ لـمـعـطـيـاتـ الـحـضـارـةـ الـرـاهـنـةـ.

## □ التجديد وموقعه في بناء الإنسان المسلم الحضاري

أهم الإشكالات التي تلقي بظلالها على أي مشروع تجديدي هو أولوية التجديد لفهم النص أم تجديد عقلية الإنسان المتلقي لمتاجات التجديد؟ وبعبارة أخرى: هل إصلاح الإنسان كقاعدة أساسية في تلقي معطيات التجديد أساس يسبق أي مشروع تجديدي، أم أن الاشتغال بتحديث أدوات الفهم للنصوص هو مقدم وأساس في المشروع التجديدي، فهو التساؤل الما جس الذي ما فتئ يطرح على أي مشروع تجديدي منذ المؤسسين الأوائل كالسيد جمال الدين الأفغاني و محمد عبده؟

إن معطيات أي حركة تجديدية تترجم في بناء الإنسان الذي يعبر عن البعد الحقيقى الذى يربىده الإسلام. كما أن ترجمة الفهم الدينى فى مشروع إنسانى حضارى يعد الغاية القصوى لكافة المشاريع التجددية. ولا يعتبر أي إدراك مجرد للنص أو كشف أعمق لأبعاده ذا قيمة إذا لم يستطع أن يؤسس أو يوطد لنھضة إنسانية تعيد تشكيل العقلية الراکدة، وتوحد الهمم المبددة وتركت الغایات المبعثرة. وقد تأسس هذا الما جس على سؤال شغل عقوداً من ردود الفعل المختلفة، وهو: «هل تختلف المسلمون منذ أن أساؤوا فهم الدين؟ أم أن فهمهم للدين ساء منذ أن تخلفو؟»

إن الشق الثاني من السؤال كما يبدو أكثر قرباً لأهداف هذا البحث، وأكثر ملاءمة لطبيعة الواقع الإسلامي من الشق الأول، على رغم أن الباحثين - على مدى العقود الماضية - انشغلوا بالإجابة عن الشق الأول

أكثر من الثاني. إن التلازم بين التخلف وفهم الدين يدعوا إلى التساؤل حول أهمية هذه الصلة. إن أهمية هذه الصلة تتجلى عند قراءة التاريخ الإسلامي في عصره الذهبي عندما برزت الأمة الإسلامية كحضارة جديدة أنتجت بمزجها لما قبلها من الحضارات بفكرها وإنتاجها المعرفي حضارة جديدة. ما هو العامل الفاعل الذي جعل المسلم البدوي البسيط ينفتح وبكل جرأة وشجاعة وإقدام على ثقافات غاية في التعقيد والتنوع فيهضمنها ويعد إنتاجها ممزوجة بفكرة الإسلام الجديد».

إن استهداف الإنسان كأولوية قصوى في أي مشروع تجدidi يفرض شكلاً من الفعل والعمل الذي يستلزم توفير قاعدة المخ الأذى من العقلية القادرة على التعاطي مع معطيات المشروع. وقد ذهب الكثير من المجددين الأوائل في التركيز على الحسن الديني الذي يثير روح العزة والكرامة عند المسلمين خلق حركة جاهيرية متعاطفة مع المشروع التجديدي. وبالرغم من ذلك، تبقى هذه الأدوات في حشد القوى المتعاطفة قاصرة عن المساندة حال دخول المشروع أبعاده التصحيحية المتعلقة بالمؤسسات والمألفات عند الطبقة العريضة من الجماهير. ذلك ما أشار إليه بشكل واضح الدكتور عبد الكريم سروش في معرض تحليله للحركة الإصلاحية للسيد جمال الدين الأفغاني، إذ يقول في ذلك: «لقد أصبح أكثر قناعة وأكثر إصراراً - لدى المصلحين الدينيين - أن الإدراك الصحيح للدين وتبلیغه السليم للجماهير هو المسار الذي يعزز من حركتهم. لقد خط هذا النهج الفكري كل من محمد عبده، وشريعتي، وإقبال الذي واجه - شيئاً فشيئاً - الصعاب والعقبات. إن الحركة السياسية وما قد يترتب عليها من نصر سياسي أكثر وضوحاً

للعيان وورعاً على النفوس. إلا أن الحركة الفكرية لا تتمتع بذات الواقع ولا ذلك الواضح. إن أصعب الصعاب في المجتمعات الدينية هو البيان المستند للتحقيق العلمي والدراربة الدينية. ويواجه المفكرون الكثير من القيود المعيشية لحركتهم؛ لأن الإيمان القائم على التحقيق واليقين في هذه المجتمعات غاية في الصعوبة، على عكس ما يناله التدين التقليدي من اليسر والسهولة؛ لأن التحقيق بين المقلدين عقبة كثيرة.

وهكذا، فإن المسار للحركة التجددية تميل في مقاربتها للواقع من خلال ما تؤسسه من طبقة واعية مؤمنة لمعطياتها وما تتحققه من نصر في هذا الجانب يمهد بمشروعيتها ويؤسس لتجذرها.

#### □ التعددية، أصنافها ودورها في إذكاء التجديد

إن المشروع التجددية لا بدّ أن يفضي للتنوع في القراءة والفهم للدين. وقد ينتهي إلى أن يصل إلى تجربة دينية جديدة على مستوى الفرد أو الجماعة.

إن أهم المتغيرات التي تصنّعها الحركات التجددية هو توسيع دائرة الرأي ومدارس القراءة التي تخلق - بشكل طبيعي - فضاءً واسع الحرية في التنوع الفكري. إن أحاديد الفكر ضيق في الأفق، وتَنَوُّعَه رحابةً تجعل من البشرية قادرة على إنتاج تلك اللوحة الفنية الفكرية الرائعة الجمال. والتنوع أو تعدد القراءة الدينية، وهي ما تعرف - أيضاً - بالبلورالية الدينية (Polarism) ينتج من جانبيْن مهميْن، كما يشير إلى ذلك الدكتور عبد الكريم سروش: «تعتمد أطروحة التعددية الدينية في الأصل على دعامتين: إحداهما التنوع في الأفهام بالنسبة للمتون الدينية.

والآخر: التنوع في تفسيرنا للتحارب الدينية».

والتعددية الدينية قد تكون في دائرة الدين الواحد، وهذا هو الأقرب للبحث وقد يتكون في دائرة الأديان المتعددة. ويعتبر تنوع الفهم والإدراك للنص أحد أهم مصادر هذا التنوع. ومع تنوع أدوات القراءة واختلاف مناهجها، لا بد أن تكون النتائج متباينة متعدة. ويوضح سروش هذا الأساس الذي منه تتفرع الأفهams والإدراك للنص الديني مبرزاً ذلك من خلال «أن النص صامت ونحن نسعى باستمرار لفهم النصوص الدينية وتفسيرها سواء في الفقه أو الحديث أو القرآن الكريم من خلال الاستعانة بمسبوقاتنا الفكرية وتقعاتنا من النص والأسئلة التي تدور في أذهاننا في مرحلة سابقة وبما أنه لا يوجد تفسير من دون الاعتماد على التوقعات والأسئلة والفرضيات المسبقة. وبما أن الفضاء المعرفي خارج الدين متغير وسيال، كما أن العلوم البشرية والفلسفة ومعطيات الحضارة الإنسانية، تزداد وتتراكم وتتغير باستمرار، فلهذا كله كانت التفاسير المتربعة على هذه الأسئلة والتوقعات والفرضيات المسبقة متعدة ومتغيرة».

وتعتبر مادتاً هذه الدراسة سماحة الشيخ الفضلي وسماحة السيد فضل الله رئيسي من أهم النهاذج المعبرة عن هذين الجانبيين (التتجديد والتعددية). وما يمثلان رحلة طويلة من التجديد وما خلق هذا حولهما من مدارس متعددة من التعدد بين الرفض والقبول. الدراسة تحاول أن تسلط الضوء على أهم الجوانب التجددية التي اشتغل بها وتشير إلى ما أدى إليه تجربتها من أشكال التنوع الإيجابي.

## □ الشيخ الفضلي ومشروع تجديد مناهج الحوزة

تعد الحوزات العلمية من المعاهد العلمية الدينية عند الإمامية في تربية وإعداد العلماء الذين يضطلعون بمهمة الاجتهد في المذهب الإمامي. وتحترم - بالإضافة إلى دورها التربوي - وبالذات الأم منها (النجف الأشرف وقم المقدسة) تجربة طويلة وثرية في تدريس العلوم العلمية الدينية ذات الصلة بالدرجة الأساس في تنمية وإعداد العلماء المجتهدين في حقل الفقه الجعفري. وإذا ما نظر إلى الزمن الذي قطعه الحوزة العلمية قياساً بالتطور الذي اتّرَى المناهج العلمية يتجلّي واضحًا للعيان حجم الجمود والرتابة التي تعاني منها هذه المناهج، وبالذات تلك المتصلة بتنمية المعارف والمهارات العلمية شديدة الصلة بفن الاجتهداد كعلم الأصول وعلوم اللغة.

## □ أهم المبررات الداعية لتجديد مناهج الحوزة العلمية

(١) **المنهج الحوزوي وأفق قراءة النص:** إن الأفق الذي على أساسه ترسو أركان المنهج التدرسي للحوزة العلمية يتأثر بشكل لا ينفك بها يحمله المجدد للمنهج الحوزوي من روئي وأفكار وسعة في الطموح للطبيعة التي يجب أن تكون عليها مخرجات المنهج. كما أن الخطوط العريضة للمنهج العلمي التدرسي الذي تعده المراكز العلمية المتخصصة تخضع في الوقت الحاضر إلى المعايير العلمية التالية:

- المحتوى العلمي للمقرر، ومدى توافقه مع آخر المستجدات والمفاهيم العلمية للعصر.
- المهارات العلمية التي يفترض أن يتقنها الدارس بعد إنتهاء للمقرر

الدراسي.

- التمارين والأساليب التدريسية التي يفترض أن يتلقنها الدارس لتنمية مهاراته.
- الأساليب التدريسية (محاضرات، مناقشات، جهود ذاتية، بحث وتحليل، دراسات ميدانية) التي يستلزمها المنهج لتدريب وتعليم الطالب لبلوغ أقصى المهارات والكفاءة العلمية في الحقل المدروس.

### **أهداف المنهج وقدرته على استيعاب المقاصد**

بالإضافة إلى الشروط السالفة في بناء أركان المنهج التدريسي، تعد أهداف المنهج وقدرته على استيعاب المقاصد التي يريد تحقيقها أمراً حيوياً، سواء على مستوى المرحلة العلمية أو الأهداف الغائية القصوى. إن التجديد الذي يطال المنهج الحوزوي يشترط فيه جانبيين مهمين على ضوء الأهداف والمقاصد وهما:

- أ. تركيب المنهج المجدد من خلال تحديد الحجم المؤثر من المحتوى القديم التراثي من المنهج الحوزوي في العمق والكم بجانب المستجد من الدراسات والبحوث العلمية ذات الصلة.
- ب. توسيع الرؤية العامة للمنظرين والمربين في الدراسات الحوزوية للخروج من طموح الماضي إلى آفاق الحاضر.

إن العوامل والمؤثرات الزمنية والتاريخية التي دفعت المؤسسين للحوزة العلمية للحركة بمفهوم الاجتهد من أفقه الواسع الذي يشمل كافة الحقول والمفاهيم التي عالجها النص السماوي إلى أفق محدود في

مجال الفقه يجب أن ينظر إليها على أنها كانت لأسباب قاهرة ولقناعات أفرزت هذا الواقع. والواقع الراهن بكل معطياته الزمكانية قادر على مغادرة هذا الضيق في المفهوم الاجتهادي إلى مفهومه الرحب. وإن بناء المنهج الحوزوي الحديث بحاجة لاعتبار هذا الهدف الذي يعيد الاجتهداد الحقيقي إلى نصابه لأن الأداة الحضارية الفاعلة والمؤثرة في تمكين المسلمين للنهوض من كبوتهم الحضارية؛ لأن الجمود على الماضي انتحار، وشطب الماضي موت محتم، والمركب من هذا وذاك هو التجديد بعينه.

(٢) المهارات الفنية والرؤية الثقافية مركب يصنعه المنهج الدراسي:  
إن التعليم الحوزوي يستهدف بناء كوادر علمية تتمتع بقدرة فنية عالية وعميقة في تحليل النص واستبطاط المفاهيم والغايات التي يستبطنها. إلا أن المهارات الفنية في قراءة النص قد تصل حد الجمود والرتابة والاجتزار إذا غابت الرؤى الفكرية الثقافية التي تعمل على إعطاء المجهود الاستنباطي بعده الواقعي، وحقيقة الزمكانية. إن المنهج الحوزوي المجدد يأخذ بنظر الاعتبار في بنائه الأكاديمي البعد الثقافي للمعلومات التعليمية والفنون التدريبية، وإن الانهيار حد الغفلة عن بنيان الرؤية الثقافية المدجحة بالمهارة الفنية في المنهج الحوزوي يعد خطأً قاتلاً.

□ تجربة الشيخ الفضلي في تجديد بعض المناهج التعليمية للحوزة تصدى العلامة الشيخ الفضلي لمشروع تجديد المنهج الحوزوي العلمي انطلاقاً من الأسس والمعطيات التي قمت الإشارة إليها حول

المعايير والأبعاد التي يتطلع إليها المجدد في إعادة بناء واصلاح المنهج الحوزوي كجزء من مشروع شامل لتجديف هذه المؤسسة العلمية الدينية المهمة للقيام بمهامها الحضارية على أحسن وجه. ويمكن تسلیط الضوء على تجربة الشيخ الفضلي في هذا الحقل التجديدي عبر المفاهيم التالية:

١) الملامح العامة للتجربة التجديدية للشيخ الفضلي:

أفردت مجلة الكلمة في عددها ٥٥، ٢٠٠٧ هـ / ١٤٢٨ م ملفاً كاملاً حول الشيخ الفضلي. ويمكن الإشارة بشكل عابر إلى مجلة من الملامح التجديدية المهمة التي تناولها مقال الشيخ محمد عمير في العدد نفسه بعنوان: «قراءة في محاولات التجديد في المناهج الحوزوية: تجربتي الصدر والفضلي أنموذجاً». حيث أشار الكاتب إلى شمولية مشروع الفضلي في تجديد المنهج الحوزوي ليشمل كافة المراحل التعليمية بالإضافة إلى إدخال العلوم المستجدة في منهج الدراسات الحوزوية، كعلم الاجتماع والنفس والبحث العلمي. وتميز التجديد المنهجي للشيخ الفضلي للمقرر الدراسي الحوزوي بطبيعة التدرج في المحتوى العلمي من المقدمات وحتى المراحل المتقدمة، حيث يشير سياحته إلى استراتيجية في بناء المنهج الدراسي قائلاً: «أن يحتوي المنهج على عنصري: الجانب العلمي والجانب التربوي. والتربويون يذكرون أن المناهج يجب أن يتوزع فيها هذان الجانبان: العلمي والتربوي»، بما يتلاءم والمرحلة العمرية، «وذلك على النحو التالي:

- في مقررات المرحلة الابتدائية يركز المؤلف فيها على العنصر التربوي أكثر بنسبة ٧٥٪ لصالح الناحية التربوية بينما يترك ٢٥٪ لصالح الجانب العلمي.
- المرحلة المتوسطة يتوزع هذان الجانبان بينهما بحيث يكون لكل منها ٥٠٪ من المقرر.
- وفي الثانوية يكون الجانب العلمي ٧٥٪ والجانب التربوي ٢٥٪.
- بينما المقررات الجامعية يتركز المنهج التعليمي فيها بحيث يكون الجانب العلمي فيه ١٠٠٪<sup>(١)</sup>.

«فالمطلوب من كل الدراسات في المرحلة المتوسطة والثانوية قبل الجامعة وكذلك الأمر في الحوزة في مرحلتي المقدمات والسطوح قبل البحث الخارج - أن تكون الغاية من المقرر الدراسي فيها تكوين الذهنية العلمية بما يتناسب والمرحلة العمرية للطالب، وما يكون الذهنية العلمية المناسبة لسن الطالب ليس العلم والمادة العلمية فيه، وإنما التربية والمارسة. فالمدرس يستطيع أن يعلم الطالب فقهها وأصولاً وعلم رجال وعلم حديث، ولكن هذه العلوم - منفردة - لا تكون - داخل الحوزة - مثلاً - المجتهد أو الفقيه دون أن يمارس هذه العلوم أثناء الدراسة من خلال كتابة البحث - مثلاً، أو من خلال الأسئلة التطبيقية في كل مادة منها». وللإطلاع على الأسباب والعوامل التي دفعت الفضلي لخوض هذه التجربة التجددية يرجع لحواره المنشور في العدد نفسه من مجلة الكلمة.

(١) حوار مع العلامة الفضلي حول تنظيم الدراسة الدينية، مجلة الكلمة، العدد ٥٥، السنة ١٤٢٨ هـ ٢٠٠٧ م.

كما تميزت هذه التجربة بجانب مهم وحيوي، وهو التأكيد المستفيض على أهمية التنمية الذاتية للدارس من خلال تحصيله العلمي في جانبيين مهمين تم التأكيد عليهما عند البيان عما يجب أن يكون عليه تجديد المقرر الدراسي، وما البناء الثقافي للدارس، وتنمية مهاراته الذاتية العلمية من خلال دفعه للتوسيع في التحصيل والبحث خارج دائرة المقرر الدراسي. إن أهم عناصر هذه التجربة التجددية هو الإصرار على دمج الدقة الأكاديمية وما يشترطه المنهج الأكاديمي العلمي من بنيان منهجي بالأصالة الحوزوية فيما يشترطه هذا الشكل من التحصيل العلمي من سعة في الحرية في الاطلاع على المصادر العلمية المتنوعة، ومحاوله لتشجيع الدارس في السعي للتنوع في التحصيل دون الوقوف على ما تحتويه دفتري المقرر الدراسي.

## ٢) العناصر الإصلاحية للتجربة التجددية للشيخ الفضلي:

- اعتمدت هذه التجربة التجددية الرائدة في منهجها الإصلاحي العناصر الإصلاحية التالية:
- أ. التجديد القادر على إبراز روح الأصالة في المنهج الدراسي، دون فقدان قدرته على التعاطي مع معطيات العصر.
  - ب. المزاوجة بين محتوى المقرر الدراسي والأهداف الإصلاحية العامة في تجديد البنية الفكرية والثقافية للدارسين.
  - ج. الدمج السلس والمرن بين الأدوات التعليمية الحديثة في المؤسسات الأكاديمية وبعض الجوانب التعليمية الحرة التي تعتمدتها الدراسة في الحوزة العلمية.

### ٣) الآثار العلمية لتجربة الفضلي على المهارات العلمية والفنية للدارسين:

لم يتمكن من العثور على دراسات علمية موثقة أو بحوث ترصد الآثار العلمية والانعكاسات الأكاديمية لتجربة الفضلي التجددية على الدارسين من الذين خاضوا التجربة التعليمية بالاستفادة من هذه المناهج العلمية مما يؤكد على أهمية تبع هذه التجربة من خلال رصد آثارها العلمية وانعكاساتها الأكاديمية على مخرجاتها. ولكن من العلامات المؤكدة لنجاح هذه التجربة هو ما تلاقيه مؤلفات الشيخ الفضلي من الإقبال الواسع من قبل المؤسسات العلمية الأهلية ودور النشر والمراكز التعليمية الدينية. إن هذا الإقبال يؤكد على إجماع التربويين والمربيين على قيمتها التعليمية وتحقيقها لأهداف المؤسسات العلمية التي تبني البرامج المجددة.

#### □ السيد فضل الله والمشروع التجددوي للشخصية الإسلامية

منذ الحملة الفرنسية على مصر ١٧٩٨م، التي أدت إلى إطلاق الشارة الأولى للنهضة العربية المعاصرة، والمشاريع التجددية تتواتي في رسم ملامح المجتمع العربي الإسلامي الجديد الذي ينهض من ركام تحالفه، ويغادر عثرته من خلال تشخيص وتحليل أسباب التخلف، انطلاقاً للنهوض ومبادرة للاستفهام من هذا الداء العضال الذي أرکع الأمة بعد شموخها. إلا أن المشاريع التجددية لم تفضِ لنتائج ثورية، بل إن مشروع النهضة وجد نفسه أمام مسيرة أطول وصعب أعقد مما قطع به الماضي، حيث رکام تحالف الماضي وأثار الحاضر التي خلفها

الاستعمار الجديد في عالمنا. فين مشاريع التغريب التي ارتأى المفكرون الجدد فيها الخلاص من ريبة التخلف وبصيص الأمل في أحضان المتاج الغربي (فكرة وتقنية)، ومشاريع التأصيل التي وجدت الخلاص في مشروع إحيائي، يعيد الأمة بسلفها الصالح وثقافتها الإسلامية الأصيلة النقية، تقاسمت القيادة على دفة النهضة الحديثة. ومع ذلك ما زال الضياع أكثر شهوداً من الخلاص، لاسيما في ظل هذا الشوز الذي يخدش صورة الإسلام وروح المسلم، ومعه التعصب المرتسم في هذه الأصولية السلفية الجهادية القاسية الخشنة التي تُشَرِّعُ القتل وتؤسس للدمار والتخلف.

ويعتبر السيد فضل الله من الخطوط المتقدمة خلال العقود الأربع الأخيرة من هذا العصر، حيث حل مسؤولية الموقف الفقيه لنقل الفكر من بيت الفتوى إلى ساحة الإصلاح والتجديد، مساهمًا في هذه المسيرة من النهضة، ومشاركًا في تلمُّس مكامن الخطأ، وتحديد دروب الخروج لشفاء الأمة من تخلفها. وقد انتهج السيد فضل الله مشروعًا مبتكرًا وزاوية قد تجعل الاقتراب من تشخيص مشكلة التخلف للمسلم اليوم إضافة نوعية للمشروع الفكري التجديدي الذي يخوضه المفكر المسلم اليوم. وقد اخترط السيد فضل الله في قراءة الشخصية الإسلامية منهجًا أبستمولوجيًا يستند إلى أدوات التحليل النفسي في تشخيص الانفعالات النفسية التي تفرز مظاهر التخلف. وقد تم توظيف المنهج الأبستمولوجي لتشخيص البنية التحتية التي يتأسس عليها التخلف في كثير من المناهج التجددية للمفكرين العرب. حيث استند المفكر البحريني محمد جابر الأنصاري على قراءة العقل العربي في مشروعه

التجديدي، وذهب المفكر المغربي محمد عابد الجابري لتأصيل التجديد من خلال قراءة التراث الديني الإسلامي وأبعاده المؤثرة في البنية الفكرية الإسلامية.

ويمكن توصيف ملامح المشروع النفسي للسيد فضل الله من خلال المفاهيم التالية:

١. النهج النفسي التحليلي لقراءة مكامن الخلل في الشخصية الإسلامية.

٢. الاستشفاء من التخلف عبر إعادة التأهيل النفسي.

١) النهج النفسي التحليلي لقراءة مكامن الخلل في الشخصية الإسلامية:

عبر رحلة طويلة من التأليف والمشاركات الفاعلة في المشاريع الثقافية، ترك السيد فضل الله تجربة ثانية وزاخرة بمشروعه التجدددي المستند إلى القراءة التحليلية لنفسية الشخصية الإسلامية الراهنة. جاءت إما متفرقة على هيئة مقالات وحوارات مجتمعة في كتب مهمة، منها: موسوعته التفسيرية من وحي القرآن. مع الحكمة في خط الإسلام. قضىانا على ضوء الإسلام. خطوات على طريق الإسلام. المقدس والمقدس. للإنسان والحياة. الإسلام ومنطق القوة. أو من خلال حاضراته المهمة في هذا الجانب، ومنها: بين حرية الفكر وهيمنة التعصب. حرية التفكير تبني ثقافة فاعلة في مواجهة التحديات. الشخصية الإسلامية. وقد استندت قراءة السيد فضل الله إلى تحديد أهم سلوكيات الشخصية الإسلامية المعبرة عن حالة الإحباط والمفرزة

لثقافة التخلف والتراجع.

### ثلاثة أنماط من السلوك المتضخم في الشخصية الإسلامية:

ففي بحثه المهم (الشخصية الإسلامية)، الذي شارك به في المؤتمر الثاني عشر لرابطة الشباب المسلم في لندن في ٢/٤/١٩٧٨، سلط الضوء على ثلاثة أنماط من السلوك المتضخم في الشخصية الإسلامية:  
(أ) الروح الباكية (ب) الروح الانفعالية (ت) الروح الخائفة المنبهرة بالواقع المنحرف.

أ- الروح الباكية: يقدم السيد فضل الله قراءة نفسية متأنية معللة بالأسباب التي تؤدي إلى استشراء هذه المظاهر السلبية في الشخصية الإسلامية. وفي معرض وصفه للروح الباكية يقول: «إننا نلاحظ ونشعر بأن الروح الباكية هي التي تسيطر على مشاعرنا وتهيمن على أسلوبنا وكلماتنا. فنحن نبكي حين نتطلع إلى المستقبل بعينين مغروقتين بالدموع. ونبكي أمام قوة عوامل الانحراف المتداقة في الطريق، ونبكي من خلال السلبيات التي تواجه العاملين في جهادهم، ونبكي في حاولتنا للمقارنة بين الماضي والحاضر».

وهكذا رأينا في أدبنا، أدب الشعر والثر. وقد نلاحظ في بعض مجتمعاتنا الدينية أن الصورة المأساوية هي التي تتجسد في وعيهم ووجدانهم عندما تثار قضايا التضحيات التي يقدمها الأنبياء والأئمة والأولياء في سبيل رسالتهم».

ويحدد - في تحليله النفسي - أن الآلة التي تواجه بها الحياة وتتصارع مع تحدياتها هي العاطفة الجياشة المنفعلة التي توظف أداة الحزن والكآبة

في مواجهة الواقع. فيها الحزن يغلب العقل والإرادة والحكمة والتوكل ويلف الإنسان بستار من الضبابية التي تمنعه من قراءة الواقع ومراجعة التجربة للتعرف على أدوات النجاح والفشل فيها، حيث يشير بوضوح إلى أن الخلل في طبيعتي هذا السلوك العاطفي السلبي، وأن «ما نريده هو التأكيد على أن البكاء ليس شأن العاملين الذين يفهمون الحياة ويواجهونها من موقع الواقع، فيندفعون إلى قضاياهم بهدوء وجدية وتخطيط، فإذا انتهت أعباهم بالنتائج الطيبة المتوقعة على أساس الخطوة المضبوطة، واجهوا النجاح بروح واقعية تتلمس أسباب النجاح، فيستفيدون منها في تحرك نحو المستقبل، وإذا انتهت أعباهم بالفشل، لم يزد هم الفشل ولم تصرعهم صدمة الواقع، بل وقفوا يتقبلونها بهدوء باعتباره شيئاً طبيعياً اقتضته سنة الحياة عندما يفقد العمل بعض عناصره أو تبرز للساحة بعض الأوضاع غير المتوقعة، ثم يبدؤون في دراسة الأسباب الطبيعية للفشل ليتفادوها في المستقبل».

بـ- الروح الانفعالية: يصف السيد فضل الله الانفعالية الطاغية في الشخصية الإسلامية، ويشير إلى أن المسلم «ملك رصيناً كبيراً من الإيمان والمعرفة بعقيدة الإسلام وشرعيته، ولكنه يخضع للأجواء الانفعالية الضاغطة التي تغرقه في الحماسة المجنونة في أغلب الحالات».

ويضيف بأن على المسلم «أن يرفض أن يكون الانفعال كل رصيده في مواجهة الواقع. إذ عليه لا ينطلق في الحياة كأساس وحيد للتحرك دون روح عقلانية تدرس الواقع في ظروفه الموضوعية المحيطة به».

تـ- الروح الخائفة المنبهة بالواقع المنحرف: وهي الروح التي يريد

بها: «الشعور بالتضاؤل أمام الحضارة الأوروبية أو القوى الغاشمة التي تقف ضد الإسلام، وقد تحول هذا الانبهار إلى شعور بالخوف». ويؤسس السيد فضل الله هذا التحليل على ظاهرة الجهل التي تفرز هذا الخوف، حيث الجهل بالعناصر والأسباب التي أفرزت هذه القوة وخلقت هذه السطوة. فالجهل يفرز الانبهار، وعلى أساس هذا وذاك يتأسس الخوف من هذه القوة الطاغية الغاشمة.

## ٢) الاستثناء من التخلف عبر إعادة التأهيل النفسي:

ما هي البنية التي تأسست عليها الشخصية الإسلامية التي تراوِل الحزن والبكاء أو الخوف والانبهار أو الانفعال، وما هي العناصر النفسية التي تغذّي هذا الشكل من السلوك؟، يشخص فضل الله المسببات المرضية النفسية من خلال بيان ما يفترض أن تكون عليه الشخصية الإسلامية:

- أولاً: الإيمان بالله وصلته بتكونين الشخصية الإسلامية.
- ثانياً: دور الحكمة في تحديد مكونات الوعي بالواقع والذات.

### أولاً: الإيمان بالله وصلته بتكونين الشخصية الإسلامية:

تعد التربية الإيمانية أحد أهم المكونات الإسلامية التي تساهُم في صناعة الشخصية الإسلامية الوعادة. إن ما حدهه السيد فضل الله من المعوقات السلوكية التي تمنع الشخصية الإسلامية للتعبير عن وجودها الفاعل في الحياة هو طبيعة الثقافة الفكرية والسلوك التربوي الذي ألفته الشخصية الإسلامية الراهنة والتي يمكن تلخيص أهم ملامحها السلبية

في التالي:

أ. المنهج التعليمي الديني القائم على أساس التلقين المقدس الذي يمحظ العقل من التحليل والتقدير.

ب. استفحال ظاهرة التعليم الفقهي الذي يسجح الحركة الإيمانية للشخصية الإسلامية بإطار شرعي فقهي جاف يمنع أو يعرقل تحضير الشخصية للولوج لعالم التجربة الدينية من خلال أدوات العرفان والسلوك.

ج. التربية الدينية المفقودة لبنية إيمانية قادرة على مواجهة الواقع بكل تداعياته وأبعاده وتفاصيله.

ويؤسس السيد فضل الله على أساس ما تمت الإشارة إليه فيما يفترض أن تكون عليه طبيعة الشخصية الإسلامية المتفاعلة مع محيطها، بحيث «لا يعود الإيمان مجرد خلجان في المشاعر وخطرات في الأفكار، بل ينطلق ليكون موقفاً متحركاً في اتجاهين: اتجاه بين النفس على الأسس الروحية الأخلاقية الصحيحة، لتكون مثالاً للشخصية الإسلامية الصابرة على تحديات نوازعها الذاتية الغريزية في أوضاعها المنحرفة، واتجاه يطلق الشخصية في مواجهة الشخصيات غير الإسلامية في أجواء الصراع الفكري الذي يثير الشبهات وينخلق الانحرافات».

ويرسم فضل الله بعد آخر من أبعاد صناعة الشخصية الإسلامية من خلال توسيع مفهوم البر والإحسان ودورهما في تعزيز هذه الشخصية، ذلك «أن في الفكر حيراً وشرّاً، تماماً كما هو العمل خيراً وشرّاً. بل ربما كان الأساس في البر العملي هو البر الفكري والعقيدي؛

لأنه هو الذي يعطي العمل دافعه ونوازعه وهو الذي يحدد مضمونه وطبيعته، وهذا انطلاق القرآن ليحدد للإنسان شخصيته من خلال تجديد ملامحه الفكرية والعلمية، فلم يكتف بالعمل وحده في مجال التقسيم بعيداً عن الإيمان، كما لم يكتف بالإيمان بعيداً عن العمل. فبالإيمان والعمل تتكامل الشخصية وتنطلق».

وتتلخص هذه التجربة التجددية في معالجة المعوقات النفسية للشخصية الإسلامية في أحد جوانبها، وهو العودة إلى مكونات الإيمان اللازم للشخصية الإسلامية. والأدوات التي تؤسس ذلك وحجر الزاوية هو البناء السليم للشخصية الإسلامية الذي لا يتأتى بمعزل عن دفعها لمعترك الحياة، فهي البوتفقة التي يصهر فيها الإيمان ويتشكل.

### ثانياً: دور الحكمة في تحديد مكونات الوعي بالواقع والذات:

إن الحكمة والوعي هما المعتمد الأساس في بناء الشخصية الإسلامية لإخراجها مما تعاني من التخلف والتراجع. الحكمة هي انعكاس لتبلور ركام التجربة لتوليد إرادة مجسدة تقود وتحرك الشخصية الواقفة. ولذلك يتحرك السيد فضل الله في تجديد هذا المفهوم في بعد يتعدى الوصف العام والتصوير الفلسفى له. إن حجر الزاوية في مشروعه التجددى هو رسم ملامح الحكمة في بعدها التطبيقى بعد استيفاء معاناتها وتفاصيلها العلمية. ويستلهم مشروعه هذا من خلال قراءته المتأنية لخطاب الوحي ولسان المصطفى وتجربة الرسالة في بعدها التطبيقي والقراءة المتخصصه لبيئة الأزمة والتخلّف التي تفرز الراهن من أحوال الأمة. ولذلك نراه يخرج التفاصيل في وصف جامع بين

المعنى الثقافي الفلسفى للحكمة والمعنى الحركي التطبيقي لها. ففي معرض بحثه الذى يؤسس من خلاله طرفي معادلة الحكمة النظرية والحركية بعنوان (دور الحكمة في القرآن الكريم)، يلقي الضوء على عدة أساسيات مهمة، منها:

- أ. معنى الحكمة في اللغة والخطاب القرآني.
- ب. المقاربة بين دعوة الوحي للحكمة وتطبيقاتها المرجوة.
- ج. دواعي المشروع القرآني في الحث المستفيض على الحكمة.

يبدأ بحثه في اللغة، فيشير إلى أنه «في تاج العروس: العلم بحقائق الأشياء والعمل بمقتضاهما، وهذا انقسمت إلى علمية وعملية، ويقال: هي هيئة القوة العقلية العلمية، وهذه هي الحكمة الإلهية». وفي مقارنته بين الحكمة النظرية وتأثيرها على السلوك، يقول: «وقد يظهر من بعض الآيات أن الحكمة هي تعبير عن حالة الوعي الذاتية الكامنة داخل الإنسان التي تتيح له الرؤية الواضحة للأشياء، فتدفعه إلى التصرف السليم والرأي السديد وهذا ما تمثله في قصة لقمان الذي لم يكن من الأنبياء في أغلب الظن، بل كان إنساناً سديداً الرأي، ثاقباً بالنظر، صالح العمل فيما ينبله لنا القصص الديني، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَأَلَّا  
لَقَنَ الْمُكْمَةَ أَنْ أَشْكُرَ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرْ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ  
فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّي حَمِيدٌ﴾<sup>(١)</sup>). وقد يلوح لنا أن ذلك هو معنى الحكمة، بل المراد بها هو نفس المعنى الذي استوحيناه من الآيات السابقة، وهو

(١) سورة لقمان، الآية: ١٢.

المضمون الفكري الذي يتحرك في العقل، فيحقق النظرة الصائبة إلى الأمور، ويتحرك في الواقع، فيتحقق الموقف العلمي الصحيح. ومن الطبيعي أن مثل هذا المضمون يحقق للشخص الأفق الواسع والجو المادى الذى يوحى له بالمواجهة الواقعية للأشياء».

وقد لا يكون ما أشار إليه في أهمية التلاحم بين الحكمة النظرية ويعدها الحركي من طرح جديد، ولكن تكمن القيمة فيها يؤكده السيد فضل الله من خلال استحضار مفهوم الحكمة في مصطلح العقل في الكثير من قراءاته وهو يقدم النهاذج تلو النهاذج من الأزمات التي لم تكن إلا نتيجة استفحال الغيبوبة التامة عن العقل أو سلطة العقل الأجوف المعزول عن مصادر الإثبات التي تغذيه بتفاصيل الثبات ورؤيتها تشق ظلم الجهل والنقص. إن المعيار الذي يستند إليه هو أن العقل الحكيم لا يأتي إلا من خلال الإثبات الوااعي الذي تمت الإشارة إليه في الفقرة السابقة. فالعقلنة لحركة الإنسان حرفة متبادلة بين الإثبات والحرراك في الحياة، فكلٌ يغذي الآخر، كما أشار إلى ذلك في بحثه (عقلنة الحياة)، إذ يقول هناك: «إن علينا أن نعقلن وعيينا للدين وتصورنا له من خلال الفهم العقلياني الثقافي المتوازن الذي يجعلنا نفهم الدين بجذوره العقلية والفكرية. نحن لا نعتبر الإثبات فوق العقل كما يعتبره بعض أنصار الديانات، بل إن العقل هو الذي يتتج الإثبات. ولا عمق لإثبات لا يرتكز على العقل».

ويقرأ فضل الله أسباب الأزمة التي تعيشها الأمة التي تفرزها النهاذج السلوكية التي تمت الإشارة إليها سابقاً، فهي جذور هذا العنف والأصولية العميماء وهذا التعصب والفووضى في التراشق بين فئات الأمة

في النيل من دينها. وللاستثناء من هذا، لا بد من إعادة بناء الإيمان في بعده العقلي وتعزيز الحكمة الحركية التي تتغذى من الإيمان وتغذيه. وقد نظر وأسس في محاولة تجديدية مضنية فيها لا يحصر من المقالات والأنشطة، وقد كان هو <sup>يُنادي</sup> ضحية التعصب والتزمت الأعمى الذي كافح وناهض من أجل علاجه بالحكمة والوعظة الحسنة دون أن يتنازل عن مشروع دعوة الأمة للاستثناء بالحكمة النظرية والحركية. ولمزيد من القراءة حول هذا الجانب يرجع القراءة: (بين هيمنة التعصب وحرية الفكر)، وكذلك: (الموضوعية في خط الشخصية الإسلامية).

#### □ مشروع الفضلاني وفضل الله التجديدي أفق للتعدد والتنوع

إن الأزمة الحضارية التي تعيشها الأمة في حاضرها ليست وليدة هيمنة وسيطرة الأجنبي على الأمة فحسب، بل لعل ما تفرزه عقلية وسلوك الشخصية الإسلامية من أزمات ومظاهر تخلف تمثل الجزء الأكبر من مكونات هذه الأزمة. والحركة التجديدية التي خاضها كل من العلامة الفضلاني والعلامة السيد فضل الله <sup>يُنادي</sup> تنظر في توفير العلاج من خلال خلق عناصر المكافحة للمعوقات الفاعلة في طرف معادلة التجديد الشخصية الإسلامية التي تحمل أعباء التجديد الحضاري للأمة. إن أحد طرفي هذه المعادلة يكمن في المصلح التربوي الذي يؤسس لمعايير وقيم التجربة الإيمانية الأشمل من معايير التفكير الجامد، بل المنفتح على الدين في آفاقه الأخلاقية والفلسفية والعرفانية. والطرف الآخر منها هو الفضاء الذي يؤهل للشخصية الإسلامية الراهنة القلقة، وذلك للإقبال على هذا التربوي المجدد الباني لها. لقد تمثلت تجربة

الشيخ الفضلي في تجديد المنهج العلمي الذي يضطّلُع في تأهيل وبناء التربوي في المؤسسات العلمية الدينية. ذلك أن العبور من الجامد الراكد في التعليم الديني إلى التعليم الديني التوسيري إنما يكون من خلال تأسيس رؤى ومعايير تربوية تحقق جانبين مهمين في مخرجات المدرسة المجددة، وهما: العلمية المتخصصة العميقه التجذرة في التراث والنص، والنظرة المسلحة بالدراءة والإدارة للواقع الحضاري الراهن. وقد تأسست تجربة الفضلي على هذين المنظورين في إعادة النظر في المناهج التعليمية للمؤسسة العلمية الدينية. وقد تحمل السيد فضل الله أعباء وبناء الشخصية الإسلامية المؤهلة للتعاطي مع خطاب التربوي المجدد. فالحركة التجددية بين الفضلي وفضل الله قد تأخذ شكل الدائرة الحميدة من تربوي يؤمن الشخصية المطلوبة، والأخريرة تغذي الشخصية وتربيتها على ما تطلعت إليه تجربة فضل الله التجددية وتساهم الأطراف الأخيرة بردف المؤسسة من جهة والمجتمع في حركة انسانية من الحراك والتفاعل والتتجدد. إن بناء الشخصية الإسلامية المستندة إلى الإيمان المعقلن وسيادة روح الحكمة والتجربة الحكيمية من حراك الأمة الحضاري لا شك سيفضي إلى اتساع الآفاق وتسلح الرؤى ومعايير تمكنها من تقديم قراءات ومفاهيم متنوعة عن نظرتها لدور الدين في الحياة وسيساهم أيضاً في تغذية تجربتها الدينية.

إن التنوع الديني في الفهم والممارسة طبيعي في مجتمع الحكماء والإيمان المعقلن وظاهرة صحية تفضي إلى سقوط احتكار الفهم وممارسة التجربة للدين. إن التنوع المشود في هذه الصور لا يعني الفوضى الدينية، بل الجانب المشرق من هذا التعدد هو ارتقاء القدرة

والقابلية للشخصية الإسلامية في التعاطي مع قضاياها ومفاهيمها الدينية على أساس الحكمة التي تمحضها من الواقع فريسة التزمت وطعماً سهلاً للمرتزقين بالدين والمعتاشين عليه. «إن التجارب الدينية متنوعة ومتعددة بعدد أفراد البشر، وكل إنسان يملك فيها بعدها خاصّاً عن الله تعالى. وبعبارة عرفانية: إن الله تعالى يتجلّى لكل إنسان بنحو من الأنحاء، وكل هذه التجليات محترمة ومقدّسة، والدين الإلهي يقرّر صحة كل هذه التجليات بأجمعها».

## □ المراجع

١. ابن منظور، لسان العرب.
٢. الحاج إبراهيم: عبد الرحمن، مفهوم التجديد في الفكر الإسلامي .([www.islamweb.net](http://www.islamweb.net))
٣. حب الله: حيدر، مشروعية تجديد الفكر الديني، مدارك، إسلام أون لاين.
٤. سروش: عبد الكريم، سيد جمال وإحياء إسلام في مدارا ومديرية، ط٢، مؤسسة فرهنكي صراط، ١٣٨٥ هـ. ش.
٥. ———، الصراطات المستقيمة، ترجمة: أحد القبانجي، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ٢٠٠٩ م.
٦. الشیخ: حسين منصور، حوار مع العلامة الدكتور عبد الهادي الفضلی، مجلة الكلمة، العدد ٥٥، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.

٧. الصفار: حسن موسى، الاجتهد والتجدد في الفقه الإسلامي، مجلة الاجتهد والتجدد، العدد ١، هـ ١٤٢٦، مـ ٢٠٠٦.
٨. عمير: محمد، قراءة في محاولات التجديد في المناهج الحوزوية: تجربتي الصدر والفضلي أنموذجاً، مجلة الكلمة، العدد ٥٥، هـ ١٤٢٨، مـ ٢٠٠٧.
٩. فضل الله: السيد محمد حسين، الشخصية الإسلامية، موقع بيانات ([www.bayynat.org.lb](http://www.bayynat.org.lb))
١٠. فضل الله، السيد محمد حسين: من وحي القرآن، موقع بيانات ([www.bayynat.org.lb](http://www.bayynat.org.lb))
١١. ———، دور الحكمة في القرآن الكريم، موقع بيانات الإلكتروني.
١٢. ———، عقلنة الحياة، موقع بيانات الإلكتروني.
١٣. اللويسي: أحمد محمد، التحولات الفكرية والاجتماعية في الأحساء، جوانا للنشر، هـ ١٤٢٩، مـ ٢٠٠٩.
١٤. محفوظ، محمد: العلامة الفضلي وأفق الإصلاح، مجلة الكلمة، العدد ٥٥، هـ ١٤٢٨، مـ ٢٠٠٧.
١٥. الميلاد: زكي، لماذا تأخرت مهمة تجديد الخطاب الإسلامي، موقع العلم والدين.

## المدخلات

---

### □ مداخلة الأستاذ حسن بن مبارك الرببيح

بدايةً، لا بدّ من الإشادة بالمح토ى العلمي للمحاضرة القائم على التحليل والنظرية العميقـة في تقصي الشواهد وربطها بالعناوين العامة للمحاضرة، ولا بدّ أيضاً من تقدير ذلك الجهد الكبير الذي بذله الكاتب في تسلیط الضوء على تجربة شخصيتین لها باع طویل في مسألة التجدد. وإذا كان حاضرنا ممن يواصل طریقه الأکاديمي بشکل عملی، فهو في غنى عن أن نطیل في مدحه، فهو إذن يتظر منا حواراً ونقداً. وأسأضع تعقیباتي على المحاضرة في ثلاثة نقاط:

#### الأولى: التركيز على مفردة دون أخرى:

جاء التركيز على مفردة التجدد أكثر من مفردة التعددية، فلم تأخذ مفردة التعددية حقها من التعريف، وإن جاء ذلك ضمناً، إلا أن تحديد المصطلح ضروري ليكون الضابط الذي يحدد انطلاقـة البحث. وهنا أطرح تساؤلاً: لماذا قرن الكاتب التجدد بمفردة التعددية، هل ثمة علاقة مشتركة بينهما؟

## الثانية: ملاحظات على تعريف التجديد

حاول المحاضر أن يوضح تعريف التجديد حسبما عرفه حيدر حب الله، فقال: «هو محاولة لاستبدال أدوات وتحديث أخرى تعين على الكشف عن أبعاد غير مطروقة في النص، والعمل على الرفع بالفهم له مستوى يلتقي وتلبية الاحتياجات المعاصرة له. فالتجديد بشكل أبسط هو تحدث لفهم النص وتقريب لتطبيقاته الموافقة لاحتياجات العصر».

وهو تعريف لم يشر إلى تغيير أدوات للكشف، وإنما أشار إلى كيان معين وعناصره. بمعنى أن التجديد يتوقف على تبديل عناصر هذا الشيء، إما بالحذف أو بإضافة عناصر جديدة لم تكن موجودة، أو بإعادة ترتيبها، ولم يكن الفهم مشاراً إليه في التعريف.

والإشكال المطروح حول تعريف حب الله هو في بدايته حينما قال: «إضفاء عناصر لم تكن موجودة من قبل على كيان كان وما يزال له وجوده»، ونحن نعرف أن العنصر مكون أساس للكيان، فكيف يسمى التغيير في أحد عناصر الشيء تجديداً، وهو في نظرى تغيير لأجزاء الشيء وليس إعادة الشيء إلى حالته الأولى كما نقل المحاضر في المعنى اللغوى للتجديد.

من جهة أخرى، يرى الشيخ محمد مهدي شمس الدين بأن الإسلام لا يحتاج إلى تجديد، فالإسلام هو الإسلام كما أبلغنا إياه الرسول ﷺ ومن بلغوه من بعده، والمراد بالتجديد عند شمس الدين هو: التجديد الذي له صيغة التهذيب أو التنظيف أو إخراج الدخيل، فهو صيغة قابلة للتتوسيع والتكييف وليس التغيير. (انظر: التجديد في

الفكر الإسلامي، الشيخ محمد مهدي شمس الدين، ص ٨، ٩).

ومن التعريفات التي تناسب المعنى اللغوي وتتهاشى مع أن الدين كامل لا يحتاج إلى زيادة أو نقصانة وإنما يحتاج إلى من يعيدنا إلى نبعه الصافي تعريف العلقمي (ت ٩٦٩هـ) الذي آتى به هنا من باب التدارك على تعريف حيدر حب الله للتجدد، يقول العلقمي، هو: «إحياء ما اندرس من العمل من الكتاب والسنة والأمر بمقتضاهما». (انظر: التجديد في الفكر الإسلامي، عدنان محمد أمامة، ص ١٦).

### الثالثة: التوفيق بين الجمود والتجدد:

أشار المحاضر إلى أن «الجمود على الماضي انتحار، وشطب الماضي موت محتم، والمركب من هذا وذاك التجديد بعينه». كيف يتم التوفيق بين الجمود على الماضي وشطبه بأخذ بعض الصفات منها واعتبار ذلك تجديداً، والتجدد ليس جموداً وليس شطباً للأصل؟

### تساؤلات من وحي المحاضرة:

وأخيراً، لقد تحرك في ذهني هذه الليلة من خلال عناوين المحاضرة جملة من الأسئلة سأكتفي بالتركيز على فكرة معينة لتأخذ حقها من الإشباع والتفصيل:

(١) يلاحظ فيمن يسلك طريق التجديد على مر العصور بأنهم أفراد، ألم يحن الوقت لأن ينطلق التجديد من خلال مؤسسات علمية يقوم على إدارتها علماء وفقهاء كل مختص في مجده؟، ترى ما هي المعوقات لأن يكون التجديد مؤسسة، وكيف يمكن تجاوز هذه

المعوقات؟، وهل الاستئثار بالمرجعية لفقيه ما هنا وهناك هو أحد المعوقات؟، وشكراً للمحاضر مجدداً.

□ مداخلة الأستاذ عبد الله رستم: التجديد عند كل من الدكتور الفضلي والسيد فضل الله

يتجلّ التجديد عند الدكتور الفضلي في عوامل كثيرة، ومنها:

(١) اللغة: عامل اللغة من العوامل المهمة في صياغة المفهوم الذي بدوره يوضح الأطروحات بطريقة سهلة، والدكتور الفضلي في كثير من مصنفاته يركّز على هذا الجانب، نظراً للتخصص في هذا الجانب.

(٢) التأصيل اللغوي: كثير من المؤلفين لا يركزون على التأصيل اللغوي حينما يطرحون بعض الدراسات، والدكتور تَيَّزَ في تأصيل الكثير من المسائل ليساعده على الانطلاق نحو الأمام، ولتضخيم الصورة للمقارئ أكثر.

(٣) الاحتكاك بالساحة الشعبية: وهذه المسألة ضرورية؛ لأنها تساعد المتحدث والكاتب أن يطرح ما يريد بدون صعوبة، وتعطيه نوعاً من الشمولية في الجانب الذي يريد تسلیط الضوء عليه.

(٤) الموسوعية والشمولية: ليس من البسيط أن يكون الإنسان موسوعياً؛ لأن الموسوعية تتطلب من الإنسان أن يطرح رأيه في بعض المعارف التي يطلع عليها، وإلا لا يطلق عليه موسوعي، والدكتور من الذين استمروا أوقاتهم في قراءة القديم والجديد وطرح الرأي في نهاية المطاف، وقد يكون الإنسان شموليّاً في أطروحته، إلا أنه يفتقد المزاج

بين القديم والحديث واستخلاص الفائدة التي تناسب العصر الذي يعيشه، والدكتور من الذين مزجوا وأثروا، سواءً في الدراسات اللغوية أو الفقهية.

(٥) استئجار المنصب: نادراً من يستمر منصبه في الصالح العام، فإنشاء قسم لغة العربية، وإنشاء مركز للمخطوطات وغيرها، يعتبر عملاً في غاية الإجلال، يضاف إلى ذلك أنه كتب فيها أنشأه ليكون رافداً في هذا الجانب.

(٦) المواصلة: لا شك أن كل إنسان تقف أمامه عقبات تعيقُ مشروعه، ولكن الإصرار عليه والتهاون الحاجة بعين ثاقبة مسألة ليست باليسيرة، فالدكتور واصل مشروعه الإصلاحي (إصلاح المناهج) عن طريق التأليف والتدريس، ولذا فإن تجربته في الجانب النظري والعملي تعتبر مسألةً رائدةً في هذا الجانب.

(٧) مع الصحافة: كثير من يتأى بنفسه عن الكتابة الصحفية بحجج قد تكون في محلها، إلا أن أكثر تلك الحجج لا محل لها من الإعراب، والدكتور مارس كتابة المقالات في الصحف المحلية والخارجية، وذلك ضمن مشروعه الآخر (إصلاح الفكر).

(٨) المسؤولية: يتناول الدكتور مواضيع كتبه من واقع المسؤولية، ولذا تبرز الشمولية وإيقاع الكلمة في تلك الكتابات، على خلافه من يكتبون من أجل أغراض أخرى.

أما التجدد عند السيد فضل الله، فإنه يتجلّ في التالي:

(١) اللغة: المطلّع على تراث السيد فضل الله الثقافى والدينى يجب أن يلتفت إلى اللغة المستعملة، فإنها لغة أدبية راقية، يأنس بها الإنسان، خصوصاً وأن السيد كتب الشعر في بداية سنيّ حياته، وهذا يعتبر رافداً مهمّاً في هذا الجانب، وحتى حديثه مع الآخر، تراه يمتاز بلغة راقية محببة إلى النفوس.

(٢) محور الأطروحات: تتمرّز أطروحة السيد فضل الله في تأصيل ومعالجة الإسلام الحركي وما يتبعه من دعوة وتبلّغ وحوار. وهذا ما أعطاه أريحية في أطروحاته وأسلوبها تجديدياً باعثاً في النفس والاعتزاز بالانتهاء، وكذا ساعد الآخر في قراءة كتبه. وبإطلاله سريعة على كلماته وكتبه وحتى شعره، نرى ذلك جلياً في تلك المصنفات.

(٣) الجرأة: يتميّز السيد بجرأة في تصحيح المفاهيم الإسلامية، ولعل كتابيه: (قضاياً على ضوء الإسلام) و(خطوات على طريق الإسلام) يعتبران نموذجاً في معالجة تلك القضايا بجرأة المتحدث، وإنصاف الباحث، يصبحها في ذلك لغة المعاصرة.

هذا ما أحيبّ المشاركة به، ذلك أن الحديث يطول في هذا الجانب. علّما أنه حتى الآن لم يتطرق إلى دراسة الدكتور الفضلي دراسة منهجية، سوى أطروحة (حسين بن منصور الشیخ) الذي تطرق إلى مسألة واحدة ولم يشبعها وهي مسألة (التجدد في المناهج الدينية)، فبشكل على ذلك. وتقبلوا تحياتي.

□ مداخلة الأستاذ حسين بن علي البوصالح

هذه نظرة عجل حول محاضرة الدكتور اللويسي تحت عنوان: «التجديد والتعددية»، وهي ذات شقين:

الأول: المزايا - إن صحة التعبير، وتمثل في الآتي:

١) اختيار هذا الموضوع كان اختياراً يساير الحراك الثقافي المعاصر، وقد كان موفقاً إلى حد ما.

٢) اختيار هذين العلمين الفاضلين، وما العلامة الفضلي - مد الله في عمره الشريف، وألبسه ثوب الصحة - والمرجع الديني فضل الله - تغمده الله بواسع رحمته - اللذين يمثلان حراكاً ثقافياً في الوسط الخاص والعام، وهو اختيارٌ موفقٌ.

٣) توزيع المحاضرة على بعض المستفيدين قبل موعدها نقطة تسترعي الانتباه، ويذكر المحاضر عليها.

٤) الأسلوب الشيق في الطرح زاد من قيمة المحاضرة.

الثاني: ملحوظات عامة أود إخاكم بها، وهي:

١) اختيار هذا الموضوع، وإن كان موفقاً كما أشرت إليه، إلا أنه سابق لأوانه؛ بمعنى: إننا بحاجة إلى معرفة هذين العلمين أكثر فأكثر، ثم الوقوف على مثل هذه الدراسة التي أفرزتها المحاضرة؛ لأنها تشكل نهاية ما انتهينا إليه.

٢) كثرة الأخطاء الإملائية والتحوية أمر يجب تلافيه، وخلو المحاضرة منه، وألا ينشر إلا بعد التصحح والتنقية.

٣) التعريف ببعض المصطلحات الحديثة، مثل: الراديکالي،

أبستمولوجي.

٤) الاستفادة من وسائل العرض الحديثة التي تسهل إيصال المعلومة للمتلقي.

٥) ذكر بعض الأعلام من المهتمين بالجانب المعرفي، إذ ينبغي أن ينطلق عالم الدين من حيث انتهى إليه الآخرون إكمالاً للمسيرة، لا أن يبدأ خطأً ينفرد به؛ لأن ذلك يحتاج إلى وقت قد لا يسمح به عمر الإنسان الاعتيادي.

وبعد، أتوجه من الأعمق إلى الدكتور اللويسي بالثناء العاطر، والشكر الجزييل على حاضرته الرائعة واهادفة، كما أقدر له خلقه الكريم، وتواضعه الجم. وأسأل الله له التوفيق والمزيد من التألق.

#### □ مداخلة الأستاذ جابر بن عبدالله الخلف

في البداية، نشكر الدكتور أحمد اللويسي على تلبية الدعوة، كما نجدد الشكر له على خطوته الإيجابية بإرسال نسخة المحاضرة لقراءتها قراءة نقدية من قبل المشاركين دون تحرج أو تأثير، وهذه خطوة إيجابية هي خير تعبير عن الثقة والاحترام.

وتعقيبي على المحاضرة هو، في إيجاز، كالتالي:

١) عرف المحاضر التجديد لغة واصطلاحاً، ولم يعرف بالتعددية، وهذا خلل منهجي في بناء المحاضرة من الناحية الفنية. وكان تعريفه للتتجديد موجزاً إيجازاً مخللاً، ولم يوفِ المفهومين حقهما من حيث التعريف بهما لغة واصطلاحاً، ولا من خلال نظرية السيد

فضل الله عليه السلام والشيخ الفضلي - حفظه الله لها.

٢) احتشاد المحاضرة والمحاضر بسبب تناول عنوانين كبيرين هما مفهوماً (التجديد والتعددية) وعرض جهود عَلَّمَيْنَ كبارين فيهما، هما (السيد فضل الله والشيخ الفضلي)، فكان على المحاضر أن يطرح مفهوم التجديد وجهود السيد فضل الله والشيخ الفضلي حوله، ثم تناول مفهوم التعددية ونظرية السيد فضل الله والشيخ الفضلي لهذا المفهوم وجهودهما العلمية والفكرية، ولكن هذا لم يحصل لضيق الوقت، وترامي أطراف المحاضرة. أو ربما كما قال أحد الصوفيين: «إذا اتسعت الرؤية، ضاقت العبارة».

٣) تناول المحاضر عنوانين عدة، منها أثر الفهم المذهبي في تفسير النصوص، وربما تكون هذه مشكلة فكرية في تفسير النص الديني خصوصاً.

٤) كما يحسب للمحاضر مشاركته في نقد بعض الركام الفكري من خلال نقولاته وتنقلاته في المحاضرة، ولا شك بأنه ساهم في زيادة التجربة الفكرية والتراث المعرفي حول مفهومي التجديد والتعددية.

٥) أكد المحاضر أكثر مرة، وأكده في دعوته على أهمية النقاش وال الحوار فيما يطرح، وليس الاستماع فقط، وهذا يلتقي مع مشاركته الإيجابية في إرسال (نص المحاضرة) للقراءة النقدية، قبل إلقائها.

٦) أوضح الدكتور اللويسي موقفه النقدي لمفهوم (السلفية) بالمعنى المنهجي، وليس بالمعنى المذهبى، وهذا يعني بأن (السلفية) طريقة في تناول الأفكار والأديان والنصوص، وليس علامه مذهبية على

أحد. وهو بهذا المعنى ينقد المنهج، وليس المفردات.

شكراً للمحاضر الدكتور أحمد اللويسي على جهوده، وقد أشاد مشكوراً بالمستوى النقدي الذي لاحظه من قبل المشاركين والمداخلين من قرأوا المحاضرة، أو من لم يقرأها.

□ مداخلة الأستاذ باقر بن عبد الوهاب الرستم  
مشاركتي هذه تختلف عن سابقاتها، كونها ليست توليداً لرؤيا أو لمفهوم، وإنما هي قراءة في رؤية، أو قل هي قراءة في قراءة.  
مقدمة في وظيفة المداخلة:

طبيعة المداخلة التي هي صيغة «مفاعلة» للمطاوعة والمشاركة، أي تعدد أطرافها. وهي كصيغة مباحثة أو مناقشة. ما يعني طرح الرأي وتبادل الرأي بشأنه.

ولغوياً: «دخلت الأشياء مداخلة ودخلاؤاً: دخل بعضها في بعض، ودخل المكان: دخل فيه، ودخل فلاناً: دخل معه، ودخل فلاناً في أموره: شاركه فيها. و(تداخلت الأشياء): دخلت، وتداخلت الأمور: التبست وتشابهت. ويقال: تدخل فلاناً منه شيءٌ خامره»<sup>(١)</sup>.

ما يعني أنها تدخل على الرأي لتغير فيه أو تمزج به. فيما عرفها اصطلاحاً بأنها: قول الرأي فيها يقال؛ وذلك لأن طبيعتها الدخول على الرأي والتأثير فيه، أو إضاعته أو معالجتها برأي آخر.

---

(١) المعجم الوسيط، مادة: دخل.

وهكذا طلب الأستاذ جابر الخلف مداخلتنا لتكون مداخلة على  
محاضرة الدكتور أحمد بن محمد اللويسي، أي: قراءة نقدية لرؤى وأفكار  
الدكتور في محاضرته، ما يفرض أن أقدم تصوراً لمسألة النقد قبل الشروع  
في المداخلة..

### مقدمة في النقد:

هل إن وظيفة النقد أن يكون مقدمة للوصول إلى الحقيقة، أم هو  
غاية في ذاته؟

إذا ما قلنا أنه غاية في ذاته، فهذا يعني أنه سيكون مشروعًا  
للانتقاد وتتبع العثرات، بغض النظر عن الفكرة والمشروع والعطاء.

إن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿فَبَتَّرَ عِبَادٍ ⑦ الَّذِينَ يَسْتَعْمِلُونَ الْقَوْلَ  
فَيَسْتَعْمِلُونَ أَخْسَنَهُ ۖ أَزْتَهِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأَزْتَهِكَ هُمْ أَزْوَأُوا الْأَنْبِيَاءَ﴾<sup>(١)</sup>.

فإذن مشروع النقد هو تنفيذه مما يعتقد بأنه غير صالح؛ لإصلاحه  
وانتقاء أحسنه، لتبنيه والتزامه. وهذا ببساطة ما يمكن أن يعدّ نقداً.

### طول المداخلة: قيمة أم مبالغة:

يؤسفني أن جاءت مداخلتي بهذا الطول، إلا أن ما تختضنه  
المحاضرة من أفكار ورؤى تدفع بالمرء إلى أن يقرأها بتمعن، ويتحدث  
عنها كثيراً، خاصة وأنها تناولت أكثر الملفات سخونة والتهايا داخل  
البيت الشيعي بأقل كثيراً مما تستحق.

(١) سورة الزمر، الآيات: ١٧ - ١٨.

ولو ستحت فرصة لتقديمها قراءة، فساخت لها نقاطاً، حتى لا أُنقل على القارئ ولا على سعادة الدكتور. ولكن عندما أقدمها كملف، فإني سأقدمها كاملة.. لتعرف ملاحظتي فيها، ومعها منشأ تلك الملاحظة وطبيعتها.

وإن كانت العادة أن تكون المداخلة موجزة للحفاظ على حق الكاتب والمحاضر في الرأي وتوليده، إلا أن تصور الطرف المداخل حاجته كثيراً للتفصيل قد يأخذها إلى هذا الطول، وستظل هذه المداخلة معزولة عن الرأي الأصلي، ولا ضير إن قرأها سعادته، لعله يجد ما يفيد فيها، وبالتالي فـ«النتيجة هي لن تكون ذلك الامتداد الممل للمحاضرة».

عقب الشكر.. إلى الداعي والمجيب:

المقدمة الأخرى هنا هي تقديم الشكر الجزيل إلى سعادة الدكتور العزيز أحمد اللويسي، والذي هو أحد الكتاب المرموقين والعاملين في الحقل الثقافي الأحسائي، ليقهر شخصه الذي لا يبدو أنه ذا صلة بمهاراته الفكرية في الوسط الثقافي في مساهمته لإثراء قراءة العطاءات المتميزة للعلامة الفضلي، والذي هو مشروع منتدى السهلة الأدبي الدوري السنوي.

وأيضاً أوجه الشكر الخالص والجزيل إلى الأخ العزيز الأستاذ جابر الخلف الذي دعاني لمداخلة في هذه المحاضرة ذات القيمة العلمية والفكرية المتميزة.

وفي الواقع، إن الأستاذ جابر قام بعملية جمع غير مقصودة منه، ساهمت في أن ألتقي بالصديق العزيز الدكتور اللويسي في محفل علمي

وعلى مستوى عالٍ من العرض والمداخلة.

أجدد التحية للجمعـ، وأخص بها الصديقين العزيـين، الدكتور  
أحمد اللويـي والأستاذ جابر.

محاضرة تعاود الذكرى:

هذه الندوة أو المحاضرة تعـد في الذكرى إلى ما قبل ستين أو ثلاث  
تقريـاً عندما وجه الأستاذ جابر الدعـوة لـمحاضرة عن الدكتور الفضـلي  
ـ حفظه الله وعـافاهـ، والـذي بلغـتني أخـيراً أخـبارـه بأنهـ في تحسـن مطرـدـ واللهـ  
الـحمدـ.. وكانت بـعنـوانـ: «الـشـيخـ الفـضـليـ الإـنجـازـ الـكـبـيرـ لـمـدرـسـةـ الشـهـيدـ  
الـصـدرـ» لـتـنتـهيـ إـلـىـ كـتـابـ بـعـنـوانـ: «الـعـلـامـ الدـكـتـورـ الفـضـليـ فـيـ حـاضـرـةـ  
الـبـنـاءـ الصـدـريـ الـخـضـارـيـ، مـنـ الـأـبـجـديـاتـ إـلـىـ الـأـدـبـيـاتـ» لـأـعـيدـ الـقـرـاءـةـ  
هـنـاـ وـبـلـوـنـ آـخـرـ فـيـ مـسـيـرـةـ رـجـلـ تـجـلـيـ مـنـ خـلـالـهـ الـقـيـمةـ وـالـمـبـدـأـ وـالـعـطـاءـ.

القراءة عن قرب:

تسـليـطـ الضـوءـ عـلـىـ الشـخـصـيـاتـ المـؤـثـرـةـ عـنـ قـرـبـ، وـفـيـ زـمـنـ الـعـطـاءـ  
وـالـحـضـورـ يـعـطـيـ لـتـلـكـ الـعـلـمـيـةـ مـصـدـاقـيـةـ وـدـقـةـ وـعـمـقـاـ وـتـعبـيرـاـ مـنـسـجـيـاـ  
وـطـبـيـعـةـ تـلـكـ الشـخـصـيـةـ فـيـ تـأـثـيرـهـاـ وـمـدـيـاتـ حـضـورـهـاـ.

سعـادـةـ الدـكـتـورـ تـنـاوـلـ عـنـواـينـ مـهـمـيـنـ لـسـهـماـ فـيـ حـضـورـ وـفـاعـلـيـةـ  
شـخـصـيـاتـ مـنـ أـكـثـرـ الشـخـصـيـاتـ حـرـاـكـاـ وـفـاعـلـيـةـ فـيـ مـوـقـعـ حـضـورـهـاـ  
عـلـىـ مـسـتـوىـ الـقـطـرـ وـالـفـكـرـةـ، وـهـاـ آـيـةـ اللهـ الدـكـتـورـ عبدـ الـهـاديـ الفـضـليـ  
وـآـيـةـ اللهـ العـلـامـ السـيـدـ مـحـمـدـ حـسـينـ فـضـلـ اللهـ ﷺـ.

فـأـعـطـيـ لـلـعـلـامـ الـفـضـلـيـ عـنـوانـ: «الـتـجـدـيدـ» مـتـنـاوـلـاـ فـيـ تـجـارـبـهـ

ومهارته في صناعة المنهج الدراسي وتجديده مع عرضي للامتحن عامه لتلك التجربة معززة بأهم العناصر والأثار.

وأعطى العلامة فضل الله عنوان التجديد بنيحو آخر لم يحدد ملامحه، إضافة إلى «التعددية» التي لا نعرف إن كان يريدها تجديداً أم نسججاً؟، لينصرف عن ذلك إلى تناول مفهوم الحراك على مستوى «المنهج النفسي التحليلي لقراءة مكامن الخلل في الشخصية الإسلامية، والاستفساء من التخلف عبر إعادة التأهيل النفسي».

وبالرغم من أن حضور الشخصيتين في الميدان كان منطلقاً من انتماهما إلى حزب الدعوة، إلا أن السيد فضل الله انتقل ميدانه إلى لبنان، والشيخ الفضلي إلى السعودية، حيث ترك العراق وهو موقع الحركة الأم، وموقع أهداف ذلك الحراك ومشروع التغيير.

وكان لحضورهما وحركتهما في حراك الشهيد الصدر ذا قيمة عالية على مستوى الحوزة والحركة الإسلامية، كما هو تعبير الشهيد الصدر نفسه عنها، لحضورهما في صناعة الحركة الإسلامية وصياغة خطابها ومبادئها وقيمها بخطابٍ حوزويٍّ واعٍ.

فقال في السيد فضل الله: «كل من ترك النجف خسر النجف، إلا السيد فضل الله فإنه عندما ترك النجف خسرته النجف».

وقال في الشيخ الفضلي: «أمثالكم من يرفع الرأس عاليًا، ويشكل رقمًا من الأرقام الحية على عظمة الحوزة التي تتبع رغم كل تبعثرها أن ينمو الطالب في داخلها بجهده الخاص إلى أن يصل إلى هذا المستوى المرموق فضلاً وأدبًا وثقافةً. وعلى أية حال سواء ابتعدت عن الحوزة

مكاناً أو قربت، فأنت من آمال النجف ومفاخرها».

رأي الشهود:

إلا أن كلام الشهيد هذا في حقهما لا يمنع من دراسة حضورهما وأدائهما، خاصة وأننا نعيش ذلك الحضور، ومتاثرين بنحو ما بهما، ولا غنى عن إبداء الملاحظات والانطباعات الشخصية والفكيرية وطرحها لذلك الحضور، فذلك انعكاس دقيق له ولدياته.

ومن جانب آخر، فأمامنا نصوص وواقع تتحدث عنه وتحرك فيه وبه، ولا يمكننا غض النظر عن ذلك بسبب تلك الشهادة.

مقدمة الدراسة:

الدراسة من حيث مقدمتها تميزت بعملية ربط سلسة، في قراءة التجديد، وهواجس غير مبررة، ليتطرق فيها بعد إلى رفضه للتجديد الذي يعني البديل والغاء الأصيل، إلا أنني لم أفهم ربط التجديد بالتعددية في حراك شخصيتين مختلفتين في النهج والرؤى وحتى الخطاب، وإن انتما في بداية حراكمها إلى حزب ديني سياسي واحد. نعم، لو كان ذلك في أداء شخصية واحدة، لقلنا ذلك مشروعها، أما أن يكون في شخصيتين، فهذا ما هو بحاجة إلى مقدمة أخرى ت الفلسف ذلك الربط، ونوعه بالشكل الصحيح.

الدكتور اللويسي ومرجعية الدكتور سروش:

مع أن التعددية قد تكون وليدة التجديد أو نتيجة مباشرة عنه، إلا أن الوجه الذي قُدِّم كمعرف بها ومدافع عنها هنا ليس السيد فضل الله،

ولا قدم فهمه ورؤيته لها ولفروضاتها وتداعياتها ولا موقعه فيها، وإنما ترك ذلك للدكتور عبد الكريم سروش، والذي يراها برأيه مختلف تماماً عما يراها السيد فضل الله، ليخرجنا به عن أجواء البحث بدخول سروش على الخط.

نأصفي ما قاله السيد فضل الله في التعددية هو: «إنَّ على المؤمنين في العالم أن يكتشفوا الطريقة المثلثة التي يستطيعون من خلالها التخطيط للحركة الدينية المفتوحة على قضايا الحرية والعدالة للإنسان، والمحركة في دائرة الحوار الفكري على مستوى النظرية والواقع، بحيث لا يفقد المثال معناه في الواقع، ولا يتعد الواقع عن مضمون القيمة وروحيته، مع احترام التعددية الدينية في نطاق المحاولات الجادة للوصول إلى الكلمة السواء في موقع اللقاء، أو إلى الفكرة الواحدة في ساحة الوحدة لتكون المحبة في خط الرحمة، ولتحريك الإنسانية في امتداد العدالة ولتكون حركة الحرية في حدودها الإنسانية التي لا تحول الحياة إلى فوضى ولا تسقط الإنسان في وحول الخطبية»<sup>(1)</sup>.

حيث يتحدث عن التعددية الدينية كواقع يجب الاعتراف به، واحترامه في نطاق المحاولات الجادة للوصول إلى الكلمة السواء في موقع اللقاء، لأنها تشكل صرارات مستقيمة، تنتهي في خاتمة المطاف إلى الحق، وإنما يرى تلك التعددية في الاجتهداد المتعدد الذي يمكن أن يتبع للأمة مساحة كبيرة مشتركة، يمكن يلتقي فيها المختلفون.. وهذا بخلاف ما يقوله سروش.

---

(1) الوعي المطلوب: <http://www.safsaf.org/rozne/4p.htm>

فسروش يقدمها من خلال نصه الذي يقول فيه: «لا يمكن أن يطلب من الناس أن يصبحوا كبعضهم البعض، وأن يتساوا في الفضائل ويتصرفوا بها بشكل واحد ليكون لهم - وبالتالي - صراطٌ مستقيم واحد، فالتعددية هنا تعدديةٌ أصليةٌ وواقعيةٌ ومبنية على تبادل جوهرى أيضًا»<sup>(١)</sup>.

وبمقدمة تعريفية للتعددية يمكنني اختصار طوها بأنها: «إيصال هذا المعنى نفسه بالاعتماد على الاسم الإلهي (المادي)، يمكننا أن نسأل: هل الأقلية الشيعية الاثنا عشرية - ومن بين هذه الطوائف المتدينة (غير المتدينين نضعهم هنا جانبًا) جميعها والتي يبلغ تعداد المؤمنين بها المليارات - هي وحدها التي حازت على الهداية، فيما البقية ضالون أو كافرون، كما هو اعتقاد الشيعة؟، وهل أن الأقلية اليهودية التي تبلغ اثنا عشر مليونًا في العالم هي وحدها المهدية، فيما البقية مطرودون ومردودون، حسب الاعتقاد اليهودي؟

إننا نسأل: في هذه الحالة، أين هي هداية الرحمن تعالى؟، وأين تتحقق؟، ومن هم الذين شملتهم النعمة العامة هدايتها؟، وإلى من وصل وهدى وأرشد اللطف الإلهي الذي يعدّ الأساس الكلامي لإثبات النبوة؟، وأين تحلى اسم الهادي الحق؟

كيف يمكننا التصديق بأن عدّة من العصابة والغاصبين نجحوا - وبمجّرد أن أسلم النبي الأكرم روحه للموت - في الإطاحة بدينه،

(١) موقع نصوص معاصرة، نظرية (الطرق المستقيمة) في نهاية الأصل التاسع لنظريته.

وحرموا عامة المسلمين من فيض المداية، ومن ثم بددوا في الهواء كل جهوده؟

لنفرض أن بعض الأشخاص المعدودين قد حاربوا الحق وطلبووا الجاه، لكن ماذا حصل مع ملايين الملايين من المسلمين - إلى آخر التاريخ - حتى لا تقبل طاعاتهم وتذهب جهودهم بلا ثواب، لا بل ويتذمرون سوء العاقبة؟، أليس هذا اعترافاً بهزيمة المشروع الإلهي وفشل النبي؟، هل أنّ مجيء عيسى روح الله ورسول الله وكلمة الله - كما في التعبير القرآني - كان فقط لأجل تحويل جميع عظيم من الناس إلى مشركين واختيار ديانة التثليث والابتعاد بذلك عن المداية الحقة؟! ومن ثم ليخضع كتابه وكلامه ورسالته للتحريف فوراً؟! أهل كان هادياً أو مضللاً؟! هل كان رسول الشيطان أو رسول الله الرحمن الرحيم؟!

وفق هذا المنطق، ستكون هناك مساحة كبيرة وهائلة من العالم تحت سيطرة إبليس وسلطنته، فيها جزءٌ حقير منه في كفالة غير ثابتة لله تعالى. وعلىه، فإن أكثر الناس اليوم إما متبعون لدين محرف، أو فقدون لطلق المداية والإرشاد، وفي نهاية المطاف سوف يحرمون من نصيب الرحمة الإلهية.

إن هذه الملاحظات البديهية تدفع الإنسان لتوسيعة مجال السعادة والمداية؛ كي يرى كيد الشيطان ضعيفاً كما هو التعليم القرآني، وليعترف للأخرين بحظٍ من السعادة والنجاة والحقانية، وهذه هي روح التعددية. فإذا نظرنا إلى التعددية من هذه الزاوية فلن يكون هناك سوى الإذعان بالرحمة الإلهية الواسعة، والاعتراف بنجاح الرسل، وضعف

كيد الشيطان، ويسط يد الرحمة الإلهية على رؤوس العالمين والبشر أجمعين»<sup>(١)</sup>.

نعم، لو كان ذلك كمقدمة تعريفية لمفهوم التعددية، ورأي سروش أحدها، فلا وجه لذلك الرفض، على أن ينسجم ذلك مع مفهوم السيد فضل الله لها.. أي لا غنى عن قراءته لها، وهذا ما لم يقم الدكتور به.

من هنا، فأنا لا أؤمن بمن ينظر للمثاليات، وهو لا يملك أن يقدم واقعاً تعيش فيه تلك القراءة، أو يستطيع أن يقدم صورة منطقية للواقع الذي تمثل فيه، فيما هو لا يقوى على أن يأتي بها، وأرى بأنه كلما كان فاسياً في نقهـه، كلما كان عاجزاً بذات الدرجة أو أشد في أن يأتي بها.

ولذلك لا أفهم كيف يولد هذه النظرية التي ترى أن كل الاتجاهات «إلى ذاك الجمال تشير»، وفي نفس الوقت ينسى أن السيد الخامنئي يمكن أن يمثل صراطاً من تلك الصراعات التي نظر لها، فيوجه له رسالة ينسف فيها أساس وقوام نظريته!!.

ذلك ما يثير الفضول.. إذ كيف يمكن صراطاً مستقيماً، وفي ذات الوقت سيصير إلى الجحيم؟!!

وذلك عندما قدم مناحته في تأسيس نظريته التي يقول فيها: «وبهذا المقدار ليس من الممكن تقبّل مفاهيم من قبيل: إننا على حق وهداية، وإننا أهل الجنة وأصحابها، فيما سوء حظ الآخرين جعلهم على باطل وصيّرهم أهل ضلاله وزيف، حيث لم يفهموا الدين بشكلٍ سليم ومن

---

(١) ملخص لجزء من قراءته في بناء نظريته، مجلة نصوص معاصر.

ثم انحرفو، ولم يكن عملهم مقبولاً، وعاقبتهם بالتالي ليست سوى جهنم».

وقد تحدثتُ إلى سعادة الدكتور بعد المحاضرة في هذا، فبرر ذلك بال موقف السياسي، إلا أن ذلك غير وجيه؛ لأن الحراك السياسي والاجتماعي هما أبرز الميادين التي تتحرك فيها التعددية بمعناها الواقعي، ولهم الدور الأبرز في بروز ذلك التعدد وبروز المذاهب الدينية، فيما سرّوش أدخل خطاباً دينياً في رسالته للسيد الخامنئي كتعبير عن موقفه وغضبه.

توليد النظرية ليس عصيّاً بحد ذاته على أي أحد، ولا هو حكر على جماعة خاصة، وإنما هو متاح لكل قادرٍ تبصر الحاجة وتفهم العلاج، إلا أن الإشكالية هو تجاوز الكثرين من ليبرالي الثقافة مرَجعة اللا مرجع، ومساواة النص السماوي بالنص البشري، وأحياناً جعله حاكماً وحكماً على السماوي !!. وهذا ما جعل قراء النصوص السماوية من المعاصرين يمرّجعون بعضهم البعض، ليتمكنوا من إطلاق العنان لأنفسهم، وتجاوز السقوف والمديات التي يضعها النص الشرعي لقراءته وفهمه.

وهذا ما جعلنا نُتّخَمُ بالنظريات الكثيرة والمتناقضة، ولا من نتائج تذكر في أغلب حالاتها، فيما لبعضها نتائج كارثية ومدوية في السلبية.

#### دراسة الدكتور والثغرة المنهجية:

دراسة سعادة الدكتور - كما ظهرت - هي استعراض لقراءة السيد فضل الله للظواهر التي أسماها مرة بالروح الباكية، ومرة بالروح الخائفة، ومرة بالروح المنبهة.

وما يعنيني أن أبحث في دراسة سعادة الدكتور عن مفهوم التجديد لدى السيد فضل الله وألياته وموارده أو أقلّا بعض نماذجه كما هي فكرة القسم المتعلق به، وعن خطواته هو في هذا الشأن، وعن الشمار التي تولدت عن ذلك التجديداً.

إلا أنه لم يقدم صوراً وعنوانين وملفات اعنى بها السيد فضل الله للتجديد، بالرغم من أنه لن يفقد ذلك، لغزارة إنتاج سماحته وتنوعه. بينما العنوانين التي استعان بها سعادة الدكتور تدخل ضمن الخطاب الجماهيري التعبوي، وتظهره أنه عاش واقعاً وتعاطى معه دون أن يُنفي مواقفه وقراراته فيها وتجاهلها، بالرغم من تحذيره منها بنسخٍ من الأنباء.

ولتجاهل (سعادة الدكتور) هذه الحالة في دراسته، فقد أظهر سماحة السيد فضل الله وكأنه لا يعدو أن يكون كاتباً، ومحلاً لظواهر واقعه، وناقداً ومقتراحاً وليس صانعاً ومجددًا فيه، فيما إطلاق مفردة التجديد في حضوره يفرض أن يكون بتلك العنوانين التي فرضه حضوره، والمدييات التي بلغته، والsequouf التي تلف عندها وفقاً لصناعته وتجديده، لتتعرف عليها، بدلاً من أن تكون مجرد عبارات تفتقر للحالات والإحالات والنهاذج.

لقد قام سعادة الدكتور بعرض خالي من أي مظاهر أو مشهد أو إحالات، واكتفى بعرض قراءة السيد فضل الله لتلك الظواهر الاجتماعية، التي أعطاها تلك العنوانين «الباكية والخائفة والمنبهة».

فمثلاً: قال عن الروح الانفعالية: «إننا نملك رصيداً كبيراً من

الإيمان والمعرفة بعقيدة الإسلام وشرعيته، ولكننا نخضع للأجواء الانفعالية الضاغطة التي تغرقنا في الحماسة المجنونة في أغلب الحالات».

«إننا نرفض أن يكون الانفعال كل رصيدنا في مواجهة الواقع، فينطلق في حياتنا كأساسٍ وحيد للتحرك من دون أي انطلاق عقلانية تدرس الواقع في ظروفه الموضوعية المحيطة به».

وهذا العرض هو قراءة للواقع، وليس تجدیداً فيه أو صناعة للتعددية فيه، في حين أن عنوان المحاضرة يتناول التعددية والتجدید .. وكل ما تعلق بالعرض يدخل نفس الدائرة.

عبارة: «إننا نرفض» ليست علاجاً، وإنما احتجاج، وهو عادة ما يدخل في السجال الكلامي، وتسجيل الموقف الذي لا يمكن إطلاق «التجدید» عليه.

وهكذا كان أيضاً لقراءاته للروح الباكرة التي في الواقع لم أفهمها.. ولم يسعني على فهمها شرح سعادة الدكتور داخل المحاضرة للمسألة.

### التقليدية تحتوي التجدد، وتصوغ التعددية:

في هذه المسألة رأيت السيد فضل الله في عدد من التصريحات يشتكي ألمًا ما تعرض له، بالرغم من أن ردة فعله تجاه استهدافه لم تكن مشروع احتضان لهم، أو إخاد للهيب النار المستعرة التي يؤجج أوارها ضده، لعدم عنايته كثيراً بالمادة التي يطرحها للجدل، ولحساسية تلك المادة عند خصومه، ليعود بعد انفراط العقد بينه وبينهم إلى إظهار شيءٍ من التقليدية ترويضًا أو تهدئة أو تخفيضاً لحدة التوتر، بدون أن يدلل أن

ذلك وفقاً لمفهومه للتجديد أو التعددية بناءً على التصور الذي قدمه فيهم وعنهم، ليعيش ذات الانفعالية التي تحدث عنها في قضايا مصيرية نظرًّا لها، ووقف في ذات الموضع الذي كان يتقدّم به بسبب مراوحتهم فيه. وقد قرأت كتاباً لأحد مربديه، وهو لساحة السيد الفاضل الأستاذ/ جعفر الشافوري، الذي تكلم فيه طويلاً عن التجديد، إلا أنه كان يرجع ما تفرد به السيد فضل الله - كفقيه معاصرٍ - إلى أحد الفقهاء القدامى أو المعاصرين، أو إلى مبني أحدهم، على أن ذلك ليس بدعاً منه، ليظهره مسبوقاً بفتوى أو مبنى، ليدفعني ذلك إلى التساؤل: كيف يكون تجديداً، وهو ليس من ابتكاراته؟

فالإمام الخميني لم يكن مجدداً في طرحه لنظرية ولاية الفقيه، وإنما التجديد في نظرته لها، والتعامل معها بشكل عملي و مباشر.

وأما مسألة التعددية، فإنها تحتاج إلى تقديم أفضل وأدق كما هو التجديد، وأن يأخذ بعين الاعتبار مفهومه ومادته، وحضور السيد فضل الله فيه.. وهل يقصد بالتجددية قبول أي لونٍ يُنسب إليها، حتى التعددية المصطنعة؟ أو المبالغة في الصدام؟، كالذي حصل بينه وبين خصوصه؟! أم أن سعادة الدكتور يريد معالجة هذه الإشكالية من خلال السيد فضل الله، على أية حال.

**المحاضرة: هكذا أريد لها أم هي وليدة تداعيات؟:**

أما ما يتعلّق بساحة الشيخ الفضلي، فإنه تناول التجديد في أدائه على المنهج الدراسي فأطّال في المقدمة كثيراً، والتي يمكن أن أحسبها أنها قراءاته لمفهوم تجديد المنهج الدراسي، وإن كان وفقاً لرؤيه الشيخ

الفضلي، إلا أن غياب نصوصه في تلك الورنيقات يعني أنه بخس حق الشيخ الفضلي في الخانة المعقودة لأجله، فيما هو أطال في موضوع السيد فضل الله، ما جعل نصيب الشيخ الفضلي في ورنيقات الدراسة البالغة (١٨) صفحة بحجم الـ (A4) ثلاثة صفحات فقط، في حين أن المناسبة كانت باسمه.

ما يشي أن المحاضرة لم تكن وليدة الدعوة ولا وليدة هذه المناسبة. إلا إذا كانت تداعيات رحيل السيد فضل الله عليه السلام على سعادة الدكتور فرضت عليه أن يقحم السيد فضل الله في المناسبة، إذ لا أرى أنه قدم السيد فضل الله مجدداً، ولا مُؤذجاً للتعديدة، وإنما قارئاً فحسب. وأعجب لعدم التفات سعادته إلى ذلك، خاصة وأن ملف السيد فضل الله مليء بالقضايا الساخنة، وهو بحاجة إلى محاضرة أو أكثر خاصة به، ليواجه به السؤال والإشكال، وليس بتمرير العبارات العاطفية التي هي صورة من صور الروح الباكية والروح المنبرة.

أرى نفسي أمام عنوانين من التجديد والقراءة الواضحة والصورة المفهومة للتجديد في المنهج الدراسي بالنسبة للشيخ الفضلي، ولكن ما التجديد الذي يقصده للسيد فضل الله؟، فهذا ما لم نفهمه.

وهذا ما جعلني أتلفت يميناً وشمالاً لمقاربة عناني التعديدة والتجديد «فضل الله والفضلي نموذجاً» ببعضها، كما أتني أمهلت نفسي لأستمع إليه حاضراً ليوضح ذلك، إلا أنه لم يوفق عندما تقدم الأخ النابه «ياسر الخلف» بإثارة هذه المسألة. ناهيك عن بعض العنوانين الأخرى التي تفضل بطرحها في المحاضرة، فإن بعضها كان مثار

السؤال، إلا أنني أغضبت عنها، بعد أن توصلت إلى نتيجة مهمة، وهي: إن سعادة الدكتور يعيش أجواء رحيل السيد فضل الله، وبعض العناوين التي أراد توصيلها، ولم يلتفت كثيراً إلى أن المناسبة تخص الشيخ الفضلي. وهذا ما لفت نظري قصاصات الشواهد التي كانت للسيد فضل الله، والتي كما قلنا عنها لم تتجاوز قراءات للسيد فضل الله، فيما قام هو بنقل نص أو نصين عن الشيخ الفضلي في بعض الموارد حين إلقائه المحاضرة لتصحيح مسار عرضه في المحاضرة.

طبعاً تجاهلتُ كثيراً الأخطاء المطبعية أو اللغوية، باعتبار ما رأيته في مركب المحاضرة على التالي:

١. في المقدمة والتي على ما يبدو هي صناعة سعادة الدكتور، وهي عادة ما يشغل الكاتب بصياغة مفهومها والانشغال عن قالبها اللفظي، لأهميتها البالغة في توجيه ذهن القارئ أو المستمع لقراءة قضية المحاضرة، خاصة وأنه قال بأن ذلك في مدة قصيرة وفضل أن يلتزم بالوقت.

٢. بعد أن تجاوز المقدمة قلت الأخطاء كثيراً، إلا أنه أخفق في الالتزام بمقررات ومقتضى المقدمة، وعلى ما يبدو هذا أيضاً فرض الوقت نفسه عليه لتلافيه.

ولذلك نأمل أن نقرأ هذه الدراسة بعد أن تصدر في كتاب قد أخذت في عين الاعتبار ملاحظات الأخوة المداخلين، نظراً لأهميتها، مع حق سعادة الدكتور في قبول ما يشاء منها ورفض ما يشاء. إلا أن تجاهلها جيئاً يعني القطعية مع هذه الشريعة التي استمعت إليه، وما

تمثله من نماذج، وعلى ما يبدو أنها تمثل النموذج الأكثر حضوراً في الساحة..

تمنياتي للدكتور بال توفيق دائمًا، وللأستاذ جابر بال توفيق في مثل هذه المبادرات الطيبة، وللحضور أيضًا باكتساب الخبرات في توليد الرؤى وقراءتها بالمستوى العلمي المتقدم.. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

## قراءات متعددة في فكر العلامة الفضلي وجهوده العلمية

- افتتاحية الندوة
- الآراء النحوية عند الفضلي: «دراسات في الإعراب» نموذجاً
- ملخص وتعليق على الدراسة الفقهية السياسية للشيخ الفضلي
- قراءة وعرض لكتاب «القراءات القرآنية: تاريخ وتعريف»
- أدب التقديم.. الدكتور الفضلي نموذجاً
- جهود الشيخ الدكتور الفضلي في دراسة العربية وتدريسها
- اللاسجالية في كتابات الدكتور الفضلي ومحاضر أنه
- جذور التجربة المنهجية عند العلامة الفضلي



## افتتاحية الندوة

■ الأستاذ حسن بن مبارك الريبيح ■

١٤٣٢ هـ وتحتفل

تأتي هذه الندوة الخامسة لهذا العام مختلفة عن الندوات الأربع المنصرمة، من حيث الطريقة والعدد. فعلى مدى أربع سنوات كان المنتدى يدعو شخصاً واحداً لتسليم الضوء على جهود الدكتور الشيخ الفضلي ونشاطاته المتعددة، ففي ١١ /رمضان/ ١٤٢٨ هـ كان اللقاء الأول مع الشيخ محمد العباد في محاضرة بعنوان: «الشيخ الفضلي الشخصية الاستيعابية»، وفي ١٨ /رمضان/ ١٤٢٩ هـ كان لقاونا الثاني مع الأخ باقر الرستم في محاضرة بعنوان: «الشيخ الفضلي الإنجاز الكبير لمدرسة الشهيد الصدر»، وفي ١٣ /رمضان/ ١٤٣٠ هـ كان اللقاء الثالث مع الشيخ إبراهيم الرضي في محاضرة بعنوان: «الإحياء الإسلامي في كتابات الشيخ الدكتور الفضلي»، وفي ٩ /رمضان/ ١٤٣١ هـ كان اللقاء الرابع مع الدكتور أحمد اللويسي في محاضرة بعنوان: «التتجديد والتعددية: فضل الله والفضلي نموذجاً». أما في هذا اللقاء الخامس والذي نجتمع فيه في هذه الليلة ١١ رمضان ١٤٣٢ هـ فهو لقاء من نوع آخر، حيث ستوزع الندوة على أكثر من قلم وباحث، يقومون برحلة في

أكثر من مدينة من مدن الشيخ الفضلي المهجورة منها والعاصمة، فالكتاب أشبه بالمدينة يشوقك لاكتشاف معالمه ويدعوك إلى الاشتراك معه في عملية البناء أو الهدم أو الإزالة والترميم.

وقد يسأل سائل: «لماذا هذا الاهتمام المتواصل بالشيخ الفضلي؟».

وللإجابة عن هذا التساؤل، نقول: إن الاهتمام لم يكن منطلقاً من أن الشيخ ولد في ١٠ / رمضان / ١٣٥٤ هـ وحسب، وإنما انطلق مما خلفه الشيخ من المدن الفاضلة التي يربو على (٧٥) كتاباً. فهو احتفاء بهذه الولادات والإنجازات العلمية والأدبية. وهو دعوة إلى ضرورة قراءة هذه المؤلفات والتفاعل معها حواراً ومساءلةً ونقداً، وانطلق الاهتمام أيضاً لأن الشيخ يعد من القلائل الذين سعوا في العلاج الديني والاجتماعي والفكري بشكل عملي ومنظم. وطريقته في التأليف تشهد على ذلك، خاصة في انشغاله بتطوير مناهج الحوزة، فهو احتفاء بالعمل الدؤوب، وإشاعة النقد العملي، وينطلق الاهتمام أيضاً لأن الشيخ ابن الأحساء البار لكل بقعة يحل فيها، فلا تخلو بقعة من هذه البقاع من مشروع كتابي منفرد، أو عطاء علمي عملي له. والأساس حريةً بأن تقدم جزءاً من الوفاء لهذا النبع الذي تفجر منها، ليصل إلى أماكن أخرى، ويبقى في مجاري الزَّمن إلى ما شاء الله.

نجتمع هذه الليلة وبعد أربع ندوات لتأكيد على التواصل والتفاعل مع الأفكار بالطريقة التي تجعلها حيةً تتنفس وتنمو وتتزاوج، وقد تتعارك في نزال أيضً لا قتال فيه، إلى أن تكون متنوّعة في ثمراتها ونتائجها.

# الآراء النحوية عند الفضلي: «دراسات في الإعراب، نموذجًا

■ الأستاذ حسن بن علي الرستم ■

إنه لمرتقى صعب، وعقبة كثيرة، والدابة شموس، والسبيل وعرة، والقائد بعد لم يزل يستشرف الطريق، ولما يبلغ أن يكون دليلاً خريباً. لكن الغاية تحمل على المسير، والمقصود يجذب جذب الجميل عن الناظر. ذلك هو العلامة الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي.

وأنا - هنا - لم أنوي أن أخوض عباب هذا البحر كله، وأنني لي ذلك، لكن سأطعمن منه، أو سأغترف منه غرفة، وفيها ارتواه الغلة، وذهاب العلة، والعلامة كما قال المتibi:

كالبدر من حيث التفت رأيته يهدى إلى عينيك نوراً ثاقبا  
كالشمس في كبد السماء وضوؤها يغشى البلاد مشارقاً وغارباً  
كالبحر يقذف للقريب جواهرًا جوداً، ويبعث للبعيد سحائبًا

والمعروف عند أكثر العامة أن العلامة الفضلي فقيه، ويختفى على كثير منهم - وهذا غير غريب - أنه فقيه نحوي، قد شق في النحو الغبار،

وحاز فيه قصب السبق، وبلغ فيه غاية بعيدة. ولا غرو، فقد كان فرع شجرة العلم المورقة المثمرة، وكان قد جمع في كنانته سهّماً بل سهاماً لكل رمية، فهو ابن الحوزة العلمية النجفية التي كان من أعمدتها العلامة الكبير محمد رضا المظفر، وهو فردٌ من جوع، وهو العالم المعروف بجلالة قدره، وسموّ منزلته العلمية، حتى ليعرف بأنه المجدد.

ولم تدعه نفسه الكبيرة أن يكتفي بها في الحوزة العلمية من علم، بل حملته همته على جناح لا يهبس، فاغترف من أنهار الجامعات حتى بلغ ما بلغ فيها وحاز شهادة العالمية، وهو ابن بجدتها. فجمع إلى عمق العلوم الحوزوية وأصالتها، دقة العلوم الجامعية ومنهجيتها. فكان بحق عالم الحوزة والجامعة. فلا غرو أن يكون بعد ذلك مجددًا مبتكرًا. فهو كما قال التنببي أيضًا:

وإذا كانت النقوس كباراً تعبت في مرادها الأجسامُ

وفي مقالتي هذه سأ تعرض لبعض آرائه النحوية، وأعوّل في ذلك على كتابه: دراسات في الإعراب، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ دار تهامة.

#### □ أولاً: تعريف الإعراب

تناول العلامة الفضلي في كتابه: دراسات في الإعراب: تعريف الإعراب بالدراسة والتحليل، ونقل تعاريف العلماء من الماضين والمعاصرين، من لدن سيبويه حتى الدكتور مهدي المخزومي والأستاذ عباس حسن، وخلص من دراسته إلى ثلاثة تعاريفات للإعراب، وهي:

- الإعراب هو: الرفع والنصب والجر والجزم.

- الإعراب هو: تغير أو اختلاف أواخر الكلم العربية.
- الإعراب هو: الأثر الظاهر أو المقدّر في آخر الكلمة العربية.

ثم قال: «وقد نخلص أيضاً إلى أن التعريفين الآخرين يُعطيان معنى التعريف الأول، فيصبح تعريف الإعراب هو: الرفع والنصب والجر والجزم»<sup>(١)</sup>. ثم أخذ في بيان علة ذلك وسببه.

وكان هم العلامة في هذا التعريف هو أن يخلصه من الأصطلاحات المنطقية والفلسفية، كالعامل والاقتضاء. وكذلك أراد أن يخلصه مما يرد على سائر التعريفات من أنها لا تشمل الإعراب بجميع أقسامه.

وفي دراساته للفعل، انتهى إلى أن «الأمر» ليس من أقسام الفعل، وأن الماضي والمضارع بجميع أقسامها مبنيان<sup>(٢)</sup>، فيقتصر التعريف عنده على هذا على: الرفع والنصب والجر<sup>(٣)</sup>.

#### □ ثانياً: رأيه في الشواهد النحوية

لو رحت تقلب المؤلفات النحوية من لدن كتاب سيبويه حتى مؤلفات العلماء المعاصرين، فإنك تجد أن الشاهد الشعري يحتل مكانة

(١) لمزيد من التفصيل، انظر الكتاب ص ٢٥-٢٦.

(٢) وهذا، لعله، يرجع إلى تأثر أن الدكتور الفضلي بالدراسات الأصولية؛ لوجود آراء في المباحث الأصولية غير الرأي النحوي. وكما قال بعض العلماء: «أفادت العربية من الأصوليين أكثر مما أفادته من اللغويين»، خاصة في مباحث الوضع والاشتراك والترادف، والأفعال والجملة الخبرية والإنشائية.

(٣) انظر: دراسات في الفعل، دار القلم - بيروت، ٢٠٤١هـ.

كبيرة في النحو، وأنَّ النص القرآني أقل في الاستشهاد به من الشعر. وبسبب ذلك ينبغي أن يُدرس في غير هذه المقالة المختصرة، والعلامة الفضلي له في هذا المورد رأي، إذ قال - عفاه الله: «ينبغي علينا في الدرس النحوي أن نسلك المنهج التالي:

اعتماد القراءات التي جاءت وفق اللغة الاجتماعية المشتركة، أو اللهجات الشائعة شيوعاً واسعاً، سواء كانت متواترة أو شاذة، أساساً في التعميد النحوي<sup>(١)</sup>.

اعتماد القراءات التي جاءت وفق همة غير شائعة، سواء كانت متواترة أو شاذة، دليل شواد القواعد. ثم قال: «وأقول هذا لأنَّ القرآن الكريم هو الوثيقة العربية الوحيدة التي تعكس لنا واقع اللغة العربية الاجتماعي في ثنايا القراءات القرآنية متواترة وشاذة.

ومن هنا كان ينبغي - منهجاً - الاعتماد على القرآن أكثر بكثير من الاعتماد على الشعر أو الشر من كلام العرب»<sup>(٢)</sup>.

(١) وقدرأيت هذا الرأي عند الدكتور أحد مختار عمر، وهو من العلماء المصريين، يرى نفس الرأي، ويحتاج بعض القضايا النحوية أو القضايا اللغوية التي شاع عند الناس خطوها، ويحتاج على أنها صحيحة بالقراءات، مثل: المتوفى أو المتوفى، إذ يُعتبر بـ«من المتوفى؟» ويحتاج به من القراءات القرآنية أنها صحيحة. وكذلك: الدخان، إذ يقول اللغويون أنه من الخطأ أن تقول الدخان بالتشديد، هو يستشهد بالقراءات القرآنية على أنها صحيحة، وغيرها من الشواهد الكثيرة التي استشهد بها الدكتور أحد مختار عمر.

(٢) دراسات في الإعراب، ص ٧٧-٧٨ بتصرف يسير.

### □ ثالثاً: نظرية العامل

هذه نظرية قديمة جداً، ونعني بها نظرية عامل الإعراب، وهي أهم نظرية في النحو<sup>(١)</sup> وهي بنحو مختصر تعني: أن الترابط القائم بين الكلم في الجملة ترابط عمل يبني على أساس أن بعض الكلم عامل، وبعضه معمول، والعامل بدوره يؤثر الإعراب في المعمول<sup>(٢)</sup>.

ورأى العلامة الفضلي في هذه النظرية يتلخص في أنه ينبغي تنقية فكرة العامل من الزوائد الصناعية سواء كانت في التقدير أو الإعراب<sup>(٣)</sup>، وأنه ينبغي أن تبقى فكرة العامل نظرية من نظريات النحو، وأن يعتمد في تحديد إعراب الكلمة في بيان وظيفتها النحوية في الكلام على الدلائل أو القرائن النحوية، وأن إلغاء فكرة العامل إلغاء تماماً يبعد ما بيننا وبين تراثنا العربي الذي شغلته فكرة العامل قروناً طويلاً.

---

(١) المصدر السابق، ص ٢٧.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٠.

(٣) مما يعني أن النحوي إذا رأى اسمًا منصوبًا لا بدًّ وأن يقدر فعلًا أو أي ناصب له؛ لأن نظرية العامل مرتكزة عنده، فلا يكون هنا عمل بلا عامل، وهذا تأثير بالفلسفة، فالدكتور يرى: أن اللغة كائن اجتماعي، فلا تتعامل معها بالمنطقية الفلسفية الحادة، كما هي موجودة في سائر الأشياء.



## **ملخص وتعليق على الدراسة الفقهية السياسية للشيخ الفضلي عن: «الصلح مع إسرائيل»**

---

■ **الأستاذ يوسف خليفة الشريدة**

□ أولاً: استعراض للشخص الدراسة الفقهية التي قدمها الشيخ  
استعرض الشيخ الأفكار التالية:

١. أهمية معرفة نوعية ملكية أرض فلسطين وفقاً لأحكام التشريع الإسلامي، حتى نتوصل إلى واقع الحكم منها.
٢. أهمية مراجعة الجانب التاريخي، وأن أرض فلسطين كانت تحت حكم الروم قبل الفتح الإسلامي، وتم الاستيلاء عليها «عنوة» بحسب في عهد عمر بن الخطاب.
٣. عادة ما تبحث هذه الحالة فقهياً في موضوعين: (ملكية الأرض + ضريبة الخراج).
٤. يختلف الموقف الفقهي من (ملكية الأرض + ضريبة الخراج) باختلاف طبيعتها، وهي التي تعرف بعد الإجابة عن السؤالين التاليين:  
ال التاليين:

- هل فتحت الأرض صلحًا؟

- هل فتحت عنوة؟

فالمفتوحة صلحًا، يُقر الإسلام أصحابها على ملكيتها، ويحق لهم التصرف فيها تصرف المالك في ملكه، فلهم بيعها وإجارتها وهبتها وما إلى ذلك من تصرفات مشروعة.

أما المفتوحة عنوةً، فملخص رأي المذهب السنّي: أن للإمام الخيار في أن يُقسمها بين الغانمين أو أن يوقفها على المسلمين عمّة.

وإذا لم يُقسمها الإمام بين الغانمين، تعين الحكم الثاني، وهو وقفيتها للMuslimين. وهناك مدخل جزر في مسألة تقسيم الأرض وملكيتها بين الغانمين أو وقفها.

وقد استعرض الشيخ الفضلي أشهر الآراء لأبي حنيفة ومالك وأبي حنبل والشافعي والثوري، وقد اقتصر على مصادرتين، هما: «الموسوعة الفقهية» الكويتية، وكتاب «المغني» لابن قدامة المقدسي؛ لأن فيها عرضاً وافياً للمسألة.

وملخص رأي المذهب الشيعي الإمامي، وهو من غير خلاف بين فقهاء المذهب، لا يجوز تقسيمها بين الغانمين، ويجب أن توقف لصالح المسلمين. وذلك استناداً لما روي عن أهل البيت عليهم السلام من روايات، حيث استشهد الشيخ بثلاث روايات للطوسي ورواية للكليني، وسبق تلك الروايات قول الشيخ المنظري رحمه الله في كتابه «دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية».

أما على مستوى التطبيق بالنسبة للأرض فلسطين، وهي قضية

تاريجية تم حسم الأمر فيها في حينه، فالعمل يكون فيها بناءً على ما طبقة الإمام في حقها ويسار عليه.

وبالتالي، يكون السؤال المطروح: هل قسمها عمر بن الخطاب أم أنه أبقاها وفقاً للمسلمين؟

وبعد استعراض الشيخ لبعض الروايات التي وثقت الموقف الرسمي الذي تلا فتح أرض فلسطين، يعلم منها أن عمر بن الخطاب أوقفها للمسلمين، ولذا يمكن القول بأن كلمة فقهاء المسلمين متفقة على أن أرض فلسطين وقف للمسلمين عامة، من كان موجوداً منهم عند الفتح الإسلامي لها، ومن سيوجده حتى تقوم الساعة.

ثم يتساءل الشيخ: ما الموقف الشرعي للمسلمين منها بعد أن اغتصبها اليهود؟

استعرض الشيخ أساس الوجود الصهيوني وأنه مشروع استعماري استحساناً منه للنتائج التي توصل لها الأستاذ رفيق شاكر التشهي في دراسته الموثقة، والتي وصفها الشيخ بأيتها موضوعية: «الاستعمار وفلسطين: إسرائيل مشروع استعماري»، حيث يؤكّد فيها المؤلف بأنه لم يأت الصهاينة اليهود إلا متأخرین بدورهم كعملاء وأجراء للدول الاستعمارية صاحبة هذا المشروع، وهي بحسب رأيه: (فرنسا وألمانيا وإيطاليا وبريطانيا وأمريكا)، وأنها بذلك تهدف للسيطرة على العالم العربي والإسلامي من خلال اتباع سياسة التفرقة في المنطقة باستغلال القوميات والطوائف والعصبيات لكسرة وحدة العالم العربي تمهدًا للسيطرة عليه وعلى العالم الإسلامي بعد ذلك.

ثم يُجيب الشيخ على السؤال بالقول: «يجب على المسلمين العمل على استرجاع أرض فلسطين بكمالها، كما لا يجوز التعامل مع هذه الدولة التي تمثل القاعدة الاستعمارية للدول الغربية».

ويُشيد الشيخ بال موقف الإيراني بالقول: «وموقف إيران من رفض السلام نابع من هذه الشرعية، فذلك أن (إسرائيل) معتدية لأرض إسلامية هي للMuslimين عامة ويا جماع فقهاء المسلمين كافة».

وبعدها استعرض الشيخ شبهة استدلال بعضهم بأية السلام: «وَرَأَنْ جَنَحُوا لِلصَّلَامِ فَاجْتَنَّهُمْ مَا وَرَأَكُلَّ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ»<sup>(١)</sup>، لتبرير قبولهم بمشروع السلام مع (إسرائيل). وقد رد على الشبهة بأمرتين:

الأول: أن الموضوع مختلف عن مصاديق الآية الكريمة؛ ذلك أن قضية فلسطين أرض إسلامية استلت، فالحكم الشرعي يفرض استردادها وإعادتها إلى أصحابها الشرعيين، وهم المسلمون. فيما تتحدث الآية عن الكفار المحاربين الذين هم في ديارهم وأوطانهم وليسوا في دار المسلمين اغتصبوا منهم، وسياقها واضح كفرينة على ذلك.

الثاني: أن الحكم في آية السلم مرحلٍ، انتهى بتنزول سورة براءة، واستحسن في ذلك تعليق سيد قطب في كتابه (في ظلال القرآن). وملخصه أن الآية نزلت في ظرف ما قبل سورة براءة، إذ يقول: «إنما أمر الله رسوله أن يقبل مسالمة وموادعة ذلك

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٦١.

الفريق الذي اعزز له فلم يقاتلهم، سواء كانوا قد تعااهدوا أو لم يتعاهدوا معه حتى ذلك الحين. وأنه ظل يقبل السلم من الكفار وأهل الكتاب حتى نزلت أحكام سورة براءة، فلم يعد يقبل إلا الإسلام أو الجزية، وهذه هي حالة المسألة التي تُقبل ما استقام أصحابها على عهدهم، أو هو القتال ما استطاع المسلمون هذا، ليكون الدين كله لله<sup>۱۱</sup>.

يختتم الشيخ بحثه بتبني طرح سيد قطب الأعمى، ويظهر ذلك جلياً حين استحسن مقطعاً متقدماً من أقواله، وملخصه: أنه يستتبّع قول الداعين لجهاد الدفاع فقط، بل يرى جهاد الطلب أيضاً، ليكون الدين كله لله.

ويُعلّق الشيخ بالقول: «إنهم وعاظ السلاطين، ومن غير شك سيتعرون ثم ينهزمون أمام وعي الشعوب المسلمة المتّنامي، ﴿... وَلَئِنْصُرْكُمْ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوْيٌ عَزِيزٌ﴾<sup>۱۲</sup>.

## □ ثانيةً: الملاحظات الشخصية

(1) شيخنا الدكتور الفضلي - أطال الله عمره - لم يكن فقيهاً تقليدياً، بل عاش عصره بكل تحدياته، فلم ينكفِ عن العلوم التنظيرية، بل امتاز بأنه على تماس مع حاجات محيطه الواقعية جنباً إلى جنب مع حاجاته العلمية. ويعرفه من خالطوه بأنه ذو أريحية للسؤال عن كل الجوانب، ويشعر المرء معه بأنه نموذج حي للفقيه المعاصر.

(۱۱) سورة الحج، الآية: ۴۰.

(٢) قضية فلسطين اقتحمت كل واقعنا، فصارت شتناً أم أيينا، مؤثرة في ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا، وبالتالي من المستبعد أن يغيب المثقفون؛ فضلاً عن العلماء عن إبداء رأيهم وتوثيق موقفهم لوعية الجماهير بتكليفها الشرعي من جهة، وتوعيتها بالنتائج التي يمكن أن تترتب على أدانتها في التصدي لهذا المشروع الاستعماري من جهة أخرى.

وتجدر الإشارة هنا إلى لاحظت أن نشره لبحثه تم ربما في السبعينات من القرن الماضي، وذلك حين قرأت إشارته لاسم الرئيس الأمريكي بيل كلينتون، واستعماله بعض كلمات تلك الحقبة، من قبيل ما كان يُسمى عملية السلام والنقاش حولها في عهده الممتد من عام ١٩٩٣ إلى ٢٠٠٠، وهو ما يُفهم منه أنه كان مبادراً للتعليق على أحداث عصره وتوثيق الموقف الفقهي السياسي منها دون تأخير.

(٣) افتتاح الشيخ على المجتمع الإسلامي العام، ولنلمس ذلك بموضوعيته التي تختضن المدارس الفقهية المختلفة، وخاصة المعنية واقعاً بالمسألة التي يتناولها. فكان منه أن استعرض الآراء المتنوعة جنباً إلى جنب بكل احترام لها، وانشغل بالحاضنة الإسلامية العامة التي تؤمن بوحدة تاريخ الأمة ووحدة مصيرها. فكان يتعد عن أي لفظ يستفز به أيّ مكون، بل وجدها في البحث يضع عبارة (رض) بجانب اسم الخليفة الثاني. ويمكن قراءة ذلك بأن موضوع فلسطين من المواضيع الجامحة للأمة الإسلامية، وعدالتها وحجم المظلومية فيها، وحجم المؤامرة من تبعاتها، يجب ألا تشغلنا عنها أية نقاشات عقائدية ليس هذا موقعها.

(٤) إشارته للموقف الإيراني في المنطقة من المشروع الصهيوني لا يمكن تجاهله، فواضح للتابع هذه الشخصية العلمية المعاصرة أنها متناغمة مع الأديبيات التي جاءت بها الثورة الإسلامية، وربما كانت الإشارة من موقع أن الموقف الإيراني هو الأشهر في المنطقة أو الأكثر مصداقية أو الأكثر انسجاماً مع القاعدة الشرعية التي يتبناها الشيخ أو لبعضها أو كلها؛ إذ من المعروف عن الشيخ أنه من يتبنّون ولادة الفقيه، وأنه قبل أن يكون وكيلًا للولي الفقيه الذي عاصره، وأنها كانت أول وكالة يقبل بتسليم مسؤوليتها.

(٥) واضح لي كفارى للبحث أن الشيخ مؤمن بقوة الأمة، ودورها العالمي المتقدم، ويظهر ذلك جلياً في استحسانه لطرح سيد قطب الذي استقبع المنغلقين على أدبيات جهاد الدفاع فقط، وأشار لأهمية عزة المسلمين وقوتهم ودورهم في إعلاء كلمة الله في الأرض بجهاد الطلب وغيره من وسائل متاحة. وأن الانهزام الحالى الناتج من ظروف معينة لا يجب أن يُنسى الأمة رياحتها وحقها في إلزام الآخرين باعتناق منهج الله ما أمكنهم ذلك.

وأخيراً، بحث الشيخ نموذج لشمولية نتاجه، ونموذج لافتتاحه على هموم أمته واحتضانه لمكوناتها، وعنایته بوحدتها، وإيمانه بوحدة مصيرها، وقناعته بتکلیفها ورسالتها العالمية في إعلاء كلمة الله.



# قراءة وعرض لكتاب « القراءات القرآنية: تاريخ وتعريف»

■ الشيخ صالح محمد الغانم ■

١٤٣٢ هـ ﴿رَبِّكَنَّا﴾

من المؤكد أن القارئ والمتابع لمسيرة الشيخ الفضلي التأليفية سيقرأ أسباباً ودوافع أخرى غير تلكم الدوافع المعتادة لدى الباحثين والكتاب، فقد جرت العادة أن يكتب أحدهم كتاباً لسد فراغ في المكتبة العربية والإسلامية، وهو أهم الأسباب التي تشغل الكتاب لتقديم المعرف والبحوث العلمية إذا قطعنا النظر عن البحوث الجامعية التي يقدمها الطلاب والأساتذة لنيل درجة مقررة في مدارج الجامعة، كل ذلك يسير ضمن المناخ التقليدي للتأليف.

فيها نلاحظ على منهج الشيخ الفضلي في التأليف والكتابة كياناً علمياً غير خاضع لإفرازات مرحلة دون أخرى أو متطلبات جيل بعينه. وذلك لإدراك الشيخ الفضلي أهمية الكتاب وال الحاجة الفكرية الملحة في صفوف الجامعة وفي حلقات الحوزة العلمية لتغذية الأمة بالمعارف الهدافة وتطوير هذه المعرفة لتشكل سياجاً يحمي الأمة ويحافظ

على إثرها وترانّها بكل ما يشتمل عليه الفكر الإسلامي، سواءً في أجواء الجامعة أو في المناخ الحوزوي؛ ولو من باب التجديد في مناهج الدراسة الحوزوية بهادة علمية منهجة تُعنِّي الطالب على طرق التفكير العلمية في تخصصات تبني تعليمها الحوزة.

لذلك نستعرض هنا كتاب «القراءات القرآنية» للدكتور الفضلي - حفظه الله، إذ يقول في مقدمة كتابه: «فقد لا يختلف في أن القراءات القرآنية من أغني تراثنا الثقافي بالفكر العربي والإسلامي، ولا سيما في علوم اللغة العربية، كالأصوات والتصريف والنحو والمعجميات».

وهي المقدمة التي استعرض فيها كتبًا تناولت القراءات من ناحية نحوية أو لغوية، ثم نبه إلى مجال مهم مفقود في القراءات القرآنية، وهو تاريخ هذه القراءات والتعريف بها، حيث يقول: «لم يُقدَّر له أن يُؤْقَى حقه من الدراسة والبحث وهو تاريخ القراءات القرآنية والتعريف بها... وقد انتهجت في كتابة ما أشرتُ إليه طريقة عرض نصوص أقوال العلماء والمعتنيين في كل مسألة، مقارنًا ومستدلاً ومتعبِّدًا بعد ذلك إلى نتيجة هي رأيي في المسألة».

وقد جاء الكتاب مصنفًا في فصول ستة، وهي كالتالي:

- الفصل الأول: نشأة القراءات وتطورها.
- الفصل الثاني: التعريف بالقراءات.
- الفصل الثالث: مصادر القراءات.
- الفصل الرابع: الاختلاف في القراءات وأسبابه.
- الفصل الخامس: الاختيار في القراءات.

- الفصل السادس: المقياس القرائي.
- وفي الطبعة الثانية، زاد الدكتور الفضلي فصلاً سابعاً، بعنوان: القراءات والتجويد.

لكلّ أَنَّ الشِّيخَ الْفَضْلِيَ - حفظه الله - كَان يُدْرِكُ مَدِي الإِهْمَالِ الَّذِي يَتَابُ عَلَى عِلْمِ التَّجْوِيدِ؛ حِيثُ لَمْ يُعْطِهِ الْكَثِيرُ مِنَ النَّاسِ حَقَّهُ مِنَ الْأَهْمَالِ وَالْإِهْمَالِ، وَخَاصَّةً بَيْنِ طَلَابِ الْحُوزَةِ الْعُلُومِيَّةِ وَالَّذِينَ بِدُورِهِمْ سِيَكُونُونَ أَئِمَّةَ الْجَمَاعَةِ فِي الْمَسَاجِدِ وَالْجَمَاعَمِ، وَهُمْ بِلَا شَكٍ قُدوَّةُ النَّاسِ فِي ضَبْطِ الْقِرَاءَةِ الْقُرْآنِيَّةِ وَتَعْلِيمِهَا لِلصَّغَارِ وَالْكُبَارِ.

وَلَذَا نَجَدَ الشِّيخَ الْفَضْلِيَ حَقَّ رِسَالَةَ فِي التَّجْوِيدِ بِعِنْوَانِ: «بِدَايَةُ الْهَدَايَةِ فِي عِلْمِ التَّجْوِيدِ» لِلشِّيخِ عَبْدِ الْمُحَمَّدِ الْلَّوِيْمِيِّ الْأَحْسَانِيِّ، كَمَا حَقَّ كِتَابًا آخَرَ، وَهُوَ: «شَرْحُ الْوَاضِحَةِ فِي تَجْوِيدِ سُورَةِ الْفَاتِحَةِ»، لِابْنِ أَمِّ قَاسِمِ الْمَرَادِيِّ النَّحْوِيِّ، وَالْجَدِيرُ بِالذِّكْرِ أَنَّ الشِّيخَ الْفَضْلِيَ - رَعَاهُ اللَّهُ - كَتَبَ كِتَابًا تَدْرِيسِيًّا فِي التَّجْوِيدِ، أَسَمَّاهُ: «الْمَوْجِزُ فِي عِلْمِ التَّجْوِيدِ»، وَأَتَمَّنِي عَلَى الشِّيخِ الْفَضْلِيِّ أَنْ يَتَاحَ لِهِ الْمَجَالُ فِي أَنْ يَكْتُبَ كِتَابًا شَامِلًا جَامِعًا لِعِلْمِ التَّجْوِيدِ وَتَارِيْخِهِ وَأَهْمَّ رِجَالِهِ، لَأَنَّ الفَصْلَ السَّابِعَ مِنْ كِتَابِ الْقِرَاءَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ جَاءَ مُوجَزًا، لَا يُعْرِضُ لَنَا الْعَلَاقَةُ التَّامَّةُ بَيْنِ عِلْمِ الْقِرَاءَاتِ وَعِلْمِ التَّجْوِيدِ، مَعَ أَنَّ الشِّيخَ الْفَضْلِيَ أَشَارَ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى فِي آخرِ الْفَصْلِ، حِينَ قَالَ: «وَالَّذِي أُفِرِّقُ بِهِ أَنَّ عِلْمَ التَّجْوِيدِ انبَثَقَ مِنْ عِلْمِ الْقِرَاءَاتِ فِي فَتَرَةٍ مُبَكِّرَةٍ مُقْتَصِّرًا عَلَى دراسَةِ أَحْكَامِ الْأَصْوَاتِ ... وَالَّتِي تَمْثِيلُ بِشَكْلٍ وَاضِعٍ فِي خَارِجِ الْحُرُوفِ وَصَفَاتِهَا».

وَالآنَ سَنَقْفُ مَعَ كُلِّ فَصْلٍ مِنْ فَصُولِ الْكِتَابِ لِلتَّعْرِيفِ بِهِ

واستعراضه بإجمال.

### □ ولنبدأ بالفصل الأول: نشأة القراءات وتطورها

يقرّ الدكتور الفضلي بأدوار مختلفة قطعتها القراءات ضمن مراحل متداخلة بعضها في بعض، حتى استقرت علّيَّا من علوم القرآن الكريم، وتمثلت تلکم الأدوار التاريخية في نشوء تعليم التلاوة ثم حفظ القرآن كله أو بعضه، ومن بعد إلى روایة تُسند القراءة إلى الرسول الأعظم ﷺ، فمجال تخصص مجرد له أسانید و تلامذة، ومنه إلى علم ذي قواعد وأصول و مؤلفات وأبحاث.

وقد وضع الدكتور هذا الفصل في مراحل وهي:

الأولى: تمثل في إقراء جبريل النبی ﷺ وتعلمه له.

الثانية: تمثلت في تطور القراءة حين كان النبي ﷺ يعلم أصحابه ومن يدعوههم للإسلام القرآن.

الثالثة: تمثل في أمر النبي ﷺ بتعليم بعض المسلمين بعضهم بعضًا بل وقيامه بهذا الأمر بنفسه.

الرابعة: عُرِفَ جماعة بتعاهدهم القرآن تلاوة وتدارسا، وسمُّوا بـ «القراء»، وهذا يعني تحول قراءة القرآن لظاهرة دينية تُعني بالتلاؤة وليس التعليم فقط.

الخامسة: تصدى بعض الصحابة لحفظ القرآن كاملاً عن ظهر قلب.

السادسة: تحولت القراءة إلى تلمذة بالرجوع إلى حفظة القرآن  
للقراءة عليهم والأخذ عنهم.

السابعة: بدأت وجوه القراءة المختلفة تأخذ طرقها في الرواية  
ومساراتها في النقل.

الثامنة: تم تعيين القراء للأمسكار في عهد الخليفة عثمان بن عفان  
حين بعث بمصحف لكل مصر من الأمسكار الإسلامية بعد توحيد  
المصاحف، ومع كل مصحف قارئ يقرئ الناس.

النinth: إقبال نفر من كل مصر على المصحف العثماني وقراءته  
وفق ما قرروا على الصحابة.

العاشرة: تكون أئمة للقراءة انتنوا بالضبط أتم عنایة؛ حتى صاروا  
أئمة يقتدى بهم ويرحل إليهم ويؤخذ عنهم.

الحادية عشرة: بدأ فيها التأليف في القراءات وتدوينها.

الثانية عشرة: كان تسبیح القراء والاقتصار على جمع قراءاتهم في  
مؤلف خاص سُمي بـ: (القراءات السبع)، لابن مجاهد التميمي (ت  
٤٣٢هـ).

الثالثة عشرة: مرحلة الاحتجاج للقراءات في جوانبها اللغوية من  
صوتية وصرفية ونحوية وغيرها.

الرابعة عشرة: ظهر الشرح والتأليف على القراءات السبع.

الخامسة عشرة: تم تعشیر القراءات السبع، فصارت عشر قراءات؛  
دفعاً لشبهة الأحرف السبعة الواردة في الحديث.

السادسة عشرة: تطور المقياس الضابط والمصنف للقراءات؛  
لتفرقة بين القراءة الصحيحة وغيرها، وملخصه:

- صحة السنده واتصاله بالنبي ﷺ.
- موافقة العربية ولو بوجه.
- موافقة الرسم العثماني ولو احتفالاً.

#### □ الفصل الثاني: التعريف بالقراءات

وهو: «العلم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزولاً لناقلها». وقسموا القراءة إلى قسمين:

- القراءات المتواترة، وهي القراءات العشر.
- القراءات الصحيحة، وهذه تنقسم إلى:

أ. الأحادية، وهي: الجامعة للأركان الثلاثة في المقياس القرائي. وهي على قسمين: المستفيضة وغير المستفيضة.  
ب. القراءات الشاذة المخالفة للرسم العثماني.

وفي هذا الفصل، أشار الشيخ الفضلي إلى نقطتين مهمتين في هذا الفصل، وهما:

- قراءة البدو وأمثلتها وحكمها.
- الفرق بين القراءة والقرآن، حيث استعرض فيها أقوال العلماء القائلين بأن القرآن القراءة حقيقة متغيرة، وأبرزهم أستاذه السيد أبو القاسم الخوئي، ثم أخذ في الرد عليه مستندًا على اجتهاده - حفظه الله - وخبرته بعلوم العربية كأحد أساتذتها. وهو بذلك

يتفق مع شيخ الطائفة الطوسي والطبرسي وصاحب روضات الجنات والشهيد الأول، حيث يقول: «إن القراءات العشر متواترة ومجموع على جواز القراءة بها».

### الفصل الثالث: مصادر القراءات:

وخلالصته أن القراءات مصدرها النبي ﷺ، وأن الاختلاف في القراءة كان إمضاء وتقريراً من النبي ﷺ؛ تيسيراً وتوسيعة على الأمة؛ وإمضاء النبي وتقريره كقوله و فعله كما هو مقرر في علم الأصول.

### الفصل الرابع: اختلاف القراءات وأسبابه:

يرجع الدكتور الفضلي ذلك إلى عدة أسباب:

١. الاختلاف في حركات الكلمة، وهو على قسمين:
  - اختلاف في حركات الكلمة بلا تغيير في معنى الكلمة وصورتها، نحو: ﴿وَيَعْنِي صَدَرِي﴾<sup>(١)</sup>، برفع القاف ونصبها.
  - اختلاف في الحركات مع تغيير المعنى وبقاء الصورة، نحو: ﴿وَكُفَّلَاهَا زَكَرِيَا﴾<sup>(٢)</sup>، بتشديد الفعل وتخفيفه.
٢. الاختلاف في الحروف، وهو على أقسام ثلاثة:
  - اختلاف في حروف الكلمة مع تغيير معنى الكلمة وبقاء صورتها، نحو: ﴿وَأَنْظُرْ لِأَلْيَظَابِرِ كَتِفَ ثُثِشُرُهَا﴾<sup>(٣)</sup>، وقُرئي:

(١) سورة الشعراء، الآية: ١٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣٧.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥٩.

﴿نَشْرُهَا﴾.

- اختلاف في الحروف مع تغير الصورة وبقاء المعنى، نحو: ﴿كَأَلْمِنَ الْمَنْفُوشِ﴾<sup>(١)</sup>، حيث قرئت: ﴿كَالصُّوفِ الْمَنْفُوشِ﴾.
  - اختلاف في الحروف مع تغير المعنى والصورة، نحو: ﴿وَطَلَحَ مَنْشُور﴾<sup>(٢)</sup>، حيث قرئ: ﴿وَطَلَعَ مَنْشُور﴾.
٣. الاختلاف في التقديم والتأخير، مثل: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْمَقْعِدِ﴾<sup>(٣)</sup>، حيث قرئت: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْحَقِّ بِالْمَوْتِ﴾.
٤. الاختلاف في الزيادة والنقصان، مثل: ﴿وَمَا عَمِلْتُ أَيْدِيهِمْ﴾<sup>(٤)</sup>، حيث قرئ: ﴿وَمَا عَمِلْتُ أَيْدِيهِمْ﴾.

ثم يذكر الدكتور بعض أسباب الاختلاف من مثل اختلاف إقراء النبي من صحابي إلى صحابي، وتقرير النبي لقراءة المسلمين وإمضائها، واختلاف نزول الآيات والرواية عن الصحابي، وكذا اختلاف اللهجات، وعدم نقط المصاحف وشكلها في وقت مبكر من فجر الإسلام، وأيضاً اجتهاد القراء في القراءة أحياناً دون اعتماد رواية أو نقل عن النبي ﷺ.

#### الفصل الخامس: الاختيار في القراءات:

ويعني به اختيار أئمة القراء مقاييسًا معيناً انتهجه في الموازنة

(١) سورة القارعة، الآية: ٥.

(٢) سورة الواقعة، الآية: ٢٩.

(٣) سورة ق، الآية: ١٩.

(٤) سورة يس، الآية: ٣٥.

والاختيار بين قبول القراءة وردها، فنافع المدنى، مثلاً، قرأ على سبعين من التابعين، واختار ما قرأه ورواه عنهم ما اتفق عليه اثنان وترك ما سواه، وهكذا سائر القراء.

ثم نبه الدكتور إلى أن الاختيار ليس اختياراً أو رأياً اجتهادياً من لدن القارئ، وإنما هو اختيار مداومة وملازمة عند إمام من أئمة الإقراء، على حد تعبير الإمام ابن الجوزي (ت ٨٣٣هـ) في كتابه النشر في القراءات العشر، ١ / ٥.

#### الفصل السادس: المقاييس القرائية:

ويعني به أن القراء وضعوا مقاييس للقراءة المتواترة وغيرها، ليميزوا المتواتر من الشاذ، ومررت هذه المقاييس بمراحل مختلفة تطورت فيها وفق متطلبات علم القراءات وملابساته. حتى استقر العلماء على مقاييس إمام المقرئين ابن الجوزي حتى يوم الناس هذا.

#### الفصل السابع: القراءات والتجويد:

عرف فيه الشيخ الفضلي القراءة والتجويد ووجوه الانفاق بينهما ووجوه الافتراق، وما يدرسه كل علم على حده؛ حتى يخلص إلى إيجاز الفرق بينهما في كلمتين: «القراءة: لفظ، والتجويد: أداء».

وبعد هذا الفصل، يأتي على ذكر المراجع ثم الفهرس.

وفي نهاية المطاف، نؤكد على أهمية ما أضافه الدكتور الفضلي - حفظه الله - للدرس الشرعي في علم القراءات والتجويد والذي تم تأسيسه بمنهج علمي متميز ليتبعد به الطالب والأستاذ.



## أدب التقديم.. الدكتور الفضلي نموذجاً

■ الأستاذ عبد الله بن علي الرستم

### □ تمهيد

يعتبرُ بعض القراء أن التقديم (التقرير) الذي يكتبه بعض العلماء أو المفكّرين لبعض الكتب نوعاً من أنواع الحصانة التي تُعطى للكتاب المقدّم له، وحصانة للمؤلف الذي يقدّم أوراقه لأحد العلماء المعروفيـن على الساحة في تخصصـيـ ما، ذلك أنه ليس بالضرورة أن بعض الكتب التي لا يوجد بها مقدمة لأحد الأعلام أنه لا يمتلك حصانة، بل يكفي بذلك أن يكون الكتاب والكاتب بأفكاره حصانة لنفسـه.

ولذا نرىـ الكثيرـ منـ الكـتبـ التيـ لاـ يـوجـدـ بـهاـ تـقـديـمـ لأـحدـ الأـعـلامـ، يـدـبـرـ بـعـضـ الـقـرـاءـ عـنـ قـرـاءـتـهـ، خـصـوصـاـ إـذـاـ كـانـ الـكـاتـبـ غـيرـ مـعـرـوفـ، عـلـىـ خـلـافـهـ فـيـ كـتـابـ وـكـاتـبـ آـخـرـ أـثـبـتـ جـدارـتـهـ عـلـىـ السـاحـةـ الـتـيـ يـصـوـلـ وـيـجـولـ فـيـهـ بـقـلـمـهـ وـفـكـرـهـ.

ثم ليس بالضرورة اللجوء إلى أحد الأعلام لوضع تقديم لكتاب ما، فكم من الكتب التي قدم لها بعض الأعلام إلا أنها لا ترقى إلى المستوى المطلوب، فلربما كان ذلك التقديم ك نوع من التشجيع للكاتب

الذي يريد أن يستفيد من رأي ذلك العالم في الكتاب ليضع النقاط على الحروف، وذلك ليسنى له التنبه إلى ما وقع فيه في مؤلف آخر إن واصل المسيرة، ولربما كان التقديم كنوع من التعريف بالكتاب والكاتب، خصوصاً إذا كان صاحب الكتاب قد وُسّدَ الشرى وكتابه ما يزال مخطوطاً بين المخطوطات، أو كانت طبعته متهرّة لها أهمية في الميدان العلمي.

وبنظرة خاطفة إلى أرفق المكتبات، ارتأيت أن أنظر إلى تلك التقديمات التي قدمَ لها أحدُ أعلام هذه الأمة وأحد مجاهديها بالحركة الدؤوبة في تنشيط حركة الفكر على المستوى الحوزوي والجامعي والثقافي والفكري، والذي يعتبر بحق وضع بصمة على جبين الزَّمنِ بمؤلفاته وتحقيقاته ومقدماته الكثيرة، وكذا جهوده الكبيرة في حث الجيل الناشئ على الاستفادة من الطاقات التي يمتلكها كل إنسان، ذلك العلَّمُ هو سماحة العلامة الدكتور عبد الهادي بن العلامة الميرزا محسن الفضلي - حفظه الله تعالى - الذي يعتبر أشهرُ من نارٍ على عَلَمٍ. فلقد قدم هذا المجاهدُ لأكثر من ستين كتاباً في مجالات مختلفة، كالفقه، والتاريخ، والتراث، وال التربية، واللغة، والأدب، والشعر، والمعاجم، والسير، والعقيدة.. وغيرها من المجالات الكثيرة التي صقلت أفلاماً كثيرة كُلُّها تُدينُ بالفضل للعلامة الفضلي - حفظه الله، ولرُبَّ قائل: إن هذا تطفلٌ على التخصصات التي ليست من شأن صاحب التقديم.

وللإجابة عن هذا التساؤل، أقول:

إنَّ المطلع على سيرة الدكتور الفضلي المليئة بالعلم والجهاد في سبيل

المعرفة، وعلى تلك المؤلفات التي تجاوزت الستين مصنفًا في مجالات مختلفة، باستثناء التحقيقات والمقالات المنشورة في الصحف والمجلات، لعرفَ أن الدكتور الفضلي من الشخصيات النادرة في هذا الزمن بعطائه العلمي الرصين غير المنقطع، ولعلَّمَ أنَّ حياته مرهونةٌ لخدمة العلم والعلماء.

ولذا كان لزاماً على كُتبِ التراجم التي بلغت أكثر من عشرين كتاباً أن تذكره في مدوناتها كشخصية علمية موسوعية بارزة في الساحة العربية والإسلامية في هذا العصر، ذلك أن كُتبه تُفصح عن نفسها، وهي حصانة لنفسها ولمؤلفها، لما فيها من التجديد في الطرح، والابتكار في الفكرة، والمنهجية العلمية، وسلامة الأسلوب، وغير ذلك مما له شأن الكتب ذات المستوى العلمي الكبير.

فهذه التقديرات على كثرتها ارتتأينا أن تأخذ نصيبها من الدراسة الموضوعية قدر المستطاع، وهذه السطور المتواضعة أندَّمْها وفاءً للعلامة الفضلي - حفظه الله - لما قدَّمه للأمة الإسلامية من عطاء على جميع المستويات.

وعوداً على بدء حديثنا يتطرق إلى بعض التخصصات في كتابة التقديرات، يوجد هناك من وضع نفسه في هذا الموضوع من كتابة التقديرات لبعض الإصدارات، نرى أن في ذلك جُرأةً على العلم والكلمة بتنسنه منصب كتابة التقديرات. نعم، لو وضع نفسه موضعَ المشجع والمحفز لإصدار بعض الكتابات المنسية لكان أصوبَ في الفعل، بدلاً من إقحام نفسه في هذا الميدان الكبير، ولا من بأسٍ في كتابة

التقديمات ذات الاختصاص من إنسان متخصص له وزنه في ميدانه.

### □ غرض التقديم

لعلَّ الغرض من هذه التقديمات التي تناولها الدكتور الفضلي كثيرة، فهي بالدرجة الأولى تنمُّ عن خُلُقٍ عاليٍ وصفاتٍ سامية في التعامل ينهلُ منها، وأبرزها التواضع والتواصل مع شريحة كبيرة من المثقفين من أبناء الجيل الجديد. فهناك من يرفض كتابة تقديم لكتابٍ ما، وذلك بحجة عدم ارتقاء الكتاب إلى المستوى المطلوب، وهناك من يرى أنَّ الكتاب لا يرقى إلى مستوى العلمي والثقافي، وغيرها من الأسباب التي هي بحاجة إلى تعاطٍ هادئٍ.

في حين نرى أنَّ الدكتور - حفظه الله - يقدم لمعظم الكتب التي وردت له، ولعلَّ المتابع لهذه التقديمات يرى أنها مختلفة باختلاف موضوع الكتب، وكذلك بين أهمية موضوع الكتاب من عدمه. ولذا جاءت بعض التقديمات بعيدة عن مدح الكاتب بما ليسَ أهله، في حين أنه يستخدم أسلوبًا آخر، وهو: التشجيع الذي يمثل جانباً مهماً عند الدكتور وتأثيره النفسي لدى الكاتب. ولذا أنت بعض التقديمات تُشيد بالعمل مع دراسة موجزة حول فكرة الكتاب، كما في التقديمات التي اخترناها، وبعضها الآخر يقدِّم لها إضافةً وجيزة بحجم يتنااسب مع حجم الكتاب وفكته.

ولنا أن نضيف مسألة مهمة هنا، وهي: إنَّ الدكتور لا يقدم من أجل التقديم، بل إنَّ الغرض هو خدمة الفكر والثقافة، وهذا جليٌّ لمن يقرأ تلك التقديمات خصوصاً المطلولة منها، فهي تنمُّ عن اهتمامٍ واطلاع

من قبل الدكتور. وهذا راجع إلى رصيده الثقافي الكبير الذي أسسه بجهده من خلال تواصله مع ما يحول في الساحة الثقافية بجميع أبعادها، وربما كتب فيها بحثاً نشره في مجلة ما أو كتاباً، وهذا الإطلاع ليس اطلاعاً سطحياً، بل إطلاع ينم عن قراءة عميقـة في ذات الموضوع، حتى أصبحت بعض تقديماته تشكل رؤية عميقـة لفكرة الكتاب.

وسأـمـرـ في هذه السطور مروـراً سريعاً على أبرز ثلاثة تقديمـات لثلاثـة كـتبـ، وهي:

- أعلام هجر في الماضين والمعاصرين، السيد هاشم بن السيد محمد الشخص، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ، مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر - بيـرـوتـ.
- الغـدـيرـ في الكتاب والسنـةـ والأـدـبـ، العـلـامـةـ الشـيـخـ عبدـ الحـسـينـ الأمـيـنيـ (١٣٢٠ـ - ١٣٩٠ـهـ)، تـحـقـيقـ: مـرـكـزـ الغـدـيرـ لـلـدـرـاسـاتـ الـإـسـلامـيـةـ، بـإـشـارـافـ آـيـةـ اللهـ السـيـدـ حـمـودـ هـاشـمـيـ الشـاهـرـوـديـ، الطـبـعـةـ الثـانـيـةـ، ١٤٢٤ـهـ، مـؤـسـسـةـ دـائـرـةـ مـعـارـفـ الـفـقـهـ الـإـسـلامـيـ.
- النـصـبـ وـالـنـواـصـبـ، الشـيـخـ حـسـنـ المـلـمـ، الطـبـعـةـ الـأـوـلـىـ، ١٤١٨ـهـ - ١٩٩٧ـ، دـارـ الـهـادـيـ - بيـرـوتـ.

#### □ سبـبـ الاختـيـارـ

سبـبـ اختـيـارـ هـذـهـ المـقـدـمـاتـ الـثـلـاثـ هوـ:

- (١) طـوـلـ التـقـدـيمـ، بـحـيثـ تـعـتـبـرـ بـحـثـاً مـتـكـامـلـاًـ، وـمـاـ كـانـ ذـلـكـ إـلـاـ لـأـهـمـيـةـ الـمـوـضـوـعـ لـدـىـ الشـيـخـ - حـفـظـهـ اللهـ، إـذـ بـإـمـكـانـ أـنـ تـكـونـ بـحـوـثـاًـ

مستقلة لو أراد الشيخ الرجوع إليها مستقبلاً. وليس دائمًا طول التقاديم ينبع عن اهتمام أو سعة اطلاع، فلربما جاء التقاديم في وادٍ والكتاب في واد آخر، كما في بعض تقديمات الكتب الأخرى غير التي قدم لها الشيخ.

(٢) تنوع المواضيع، فلكل كتاب من هذه الكتب التي قدم لها الدكتور الفضلي موضوع مستقل عن الآخر. فكتاب (أعلام هجر) يتناول تاريخ منطقة برجالاتها يتنمي إليها الدكتور، وكتاب (الغدير) موسوعة ضخمة تتناول موضوعاً واحداً أعطي هذا الموضوع بعداً شمولياً من قبل المؤلف، أما كتاب (النصب والتواصب) فإنه يتناول قضية عقائدية تستحق الالتفاتة وتسلیط الضوء.

وربما هناك الكثير من التقديمات الطويلة التي تناولت مواضيع غير التي اخترناها، ولكن لضيق الوقت وشبه جاهزية المادة مسبقاً أحبتنا المشاركة بهذه السطور القليلة.

#### □ تقديم لكتاب ، أعلام هجر ،

يعتبر كتاب (أعلام هجر) من الكتب الرائدة في مجال الترجم الشيعية لمنطقة الأحساء، ذلك أن هذه المنطقة مرت بظروف مختلفة من الناحية الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، مما جعل المؤلف وغيره من أبناء المنطقة أن يكرسوا اهتمامهم في استطاف تاريخ هذه المنطقة بجميع جوانبه.

ونظراً لأهمية المنطقة من الناحية الاقتصادية والسياسية، فهي ذات

أهمية دينية، حيث كانت إحدى المناطق التي أسلمت طوعاً في صدر الإسلام، وكذلك كانت إحدى المناطق التي يُذر فيها التشيع لأهل البيت عليهم السلام في النصف الأول من القرن الأول المجري، فكان منها رجالاتُ الحربِ الذين شاركوا مع أمير المؤمنين عليه السلام في حربه، وكان منها رجالات الرواية الموثوقة روایاتهم في كتب الحديث، وكان منها الشخصيات المهمة على مرّ التاريخ، ولم يكن تاريخ رجالاتها مدون إلا ذلك التزير القليل. فكان للدكتور الفضلي بحصمةٍ في الكتابة عن تاريخ هذه المنطقة، لتأيي مقدمته قراءةً في كُتب التاريخ والتراجم.

ففي تقادمه لموسوعة (أعلام هجرة)، يتحدث عن الاستيطان البشري وعن السلالات البشرية التي كانت على امتداد الساحل الشرقي من الجزيرة العربية، ثم يأتي على ذكر شيءٍ من تاريخ المنطقة في صدر الإسلام والرسائل التي بعث بها النبي صلوات الله عليه وآله وسالم إلى حكام هذه المنطقة، ليجول بقلمه على الظروف السياسية التي حولت الاختلاف الإيجابي بين (مدرسة أهل البيت) و(مدرسة الصحابة) إلى تناحرٍ طائفي ييد الأميين، مستعرضاً بعض الشواهد على أحقيّة أهل البيت عليهم السلام الذين كان لهم الفضل الكبير في نشر ثقافة الإسلام، مما ولد هذا الاختلاف إلى إنشاء مراكز ومدارس بحثية في المناطق الإسلامية والتي منها الأحساء، ثم يأتي على تشيع وثقافة أهل الأحساء، الذين لم ينقطعوا عن المركز الإسلامي الأم المتمثل في المدينة المنورة، مما جعل أهل المنطقة ينهلون من كلا المدرستين، فممن أخذ عن مدرسة أهل البيت عليهم السلام أبناء صوحان العبدلي، وحكيم بن جبلة وغيرهم كثير، ويستعرض بعض الأسماء الشيعية البارزة على مرّ القرون، موضحاً أن هذه المنطقة بُرِزَ فيها

ثلة من العلماء في كثير من العلوم والفنون. وهو في هذا التقديم البالغ (٢٣ صفحة) يستعرض أبرز النقاط المهمة مع قليل من الشواهد، ذلك أن الكتابة في هذا الميدان تستلزم وقتاً، وهو - الفضلي - إذ لم يُوْقَنَ لذلك رغم ممارسته الكتابة عن الأحساء، فإنه كان يأملُ من يكتبُ عن هذه المنطقة من أبناء المنطقة كما أوضح ذلك في التقديم. وقد تطرق إلى أهمية الكتاب، حيث يوضح للقارئ ما إذا أراد التوسيع والحصول على معلومات أولى وأوفر في التعريف بهذه المنطقة ورجالاتها، فما عليه إلا قراءة ما كتبه براع المؤلف الذي وصفه في ص ٣٣ بأنه: «بذل جهداً كثيراً».

ونقرأ في تلك الكلمات الموجزة أشياء كثيرة تتمُّ عن اطلاعٍ واسعٍ في تاريخ هذه المنطقة وعليائها، فلو أنه وضع شواهد لكل ما تطرق إليه لا أصبح كتاباً داخل كتاب، ولخرج عن إطار التقديم، ذلك أنه أشار ص ١١: «أنه شارك في «دائرة المعارف الإسلامية الشيعية» للسيد حسن الأمين ببحث عن الأحساء ركز فيه على ذكر أعلامها في الفقهاء والخطابة والشعر، مقتضاً على المهم ومحاجزاً بذكر العدد الأقل».

وبينما لي أن الدكتور اقتصر على هذه المعلومات العامة، ذلك أن المؤلف تطرق إلى شيء ليس باليسير عن تاريخ المنطقة قبل الإبحار في موضوع الكتاب الأصلي وهو (الترجم)، باعتبار أنَّ موسوعة كهذه تستلزم من الكاتب أن يكتب عن تاريخ المنطقة الموجل في القِدَم قبل أن يبدأ في موضوع الكتاب.

## □ تقنيمه لكتاب «الغدير»

لا يخفى على الباحثين من أبناء الأمة الإسلامية ما تشكله مسألة (الغدير) كحادثة تاريخية ذات مدلولات عدّة، حصلت في نهاية العقد الأول من صدر الإسلام، ويعتبر كتاب الغدير من أوسع الكتب التي تناولت هذه المسألة على المستوى الأدبي والتاريخي والروائي، وأهمية هذا التقديم يكمنُ في استقراء الحادثة استقراءً مختلفاً عنها دأب عليه البعض. لذا يؤكد الدكتور في هذا التقديم بقوله ص ١٧-١٨:

«فالبحث في بيعة غدير خم ليس بحثاً طائفياً كما يظن البعض، وليس إثارة لصراع تاريخي كما يعتقد الآخرون. وإنما الأمر -في واقعه- مشروع إسلامي يهدف إلى تحديد وتعيين الطريق إلى السنة، يؤمن سالكه من العثار، ويرى السائر على ذمته من عهدة التكليف الشرعي. ونحن إذ نطرح هذا لا نهدف منه إلى غلق باب النقد العلمي الموضوعي، وإنما نريد أن نقول: هذا هو واقع معتقدنا، وهذا ما نملكه من الدليل عليه والدليل إليه، ولائي باحث أن يقارن، ولكن بشرط الالتزام بقواعد النقد العلمي البناء والمأذف إلى الخير».

ويؤكّد مسألة أخرى ثبت مدى متابعة الشيخ للمؤلف والمُؤلَّف، فهو إذ يعرّف بالمؤلف تعريفاً موجزاً في كلماتٍ عظيمة اخترها في مجلٍّ صغيرة بقعة بيانه وبراعة أسلوبه؛ لأنَّه من عرِفَ المؤلَّفَ عن قُربٍ ليوضح مدى الجهد الذي بذله المؤلَّف في هذه الموسوعة النادرة، ولم يغفل عن التعريف بالموسوعة في قوله ص ١٩: «إن كتاب الغدير هذا من الظواهر العلمية والفنية المميزة والمتميزة في عالم التأليف، ذلك أنَّ ما أَلْفَ في الغدير يربو على ما أَلْفَ فيها يهائله، ولم يقدر لأيٍ كتاب منها أن

يشتهر اشتئار هذا الكتاب، وأن يمثل المركز الذي احتله هذا الكتاب في قائمة المصادر الأصيلة، وأن يخلد مؤلف من مؤلفي تلك الكتب بسبب كتابه في الغدير مثلما خلد الشيخ الأميني بسبب هذا الكتاب».

ويوضح بطريقة فنية معاصرة في تبويب الكتاب بقوله ص ١٩ - ٢٠: «ويرجع هذا إلى ما تميز به هذا الكتاب في النهج والمادة، فقد اعتمد الشيخ الأميني طريقة الاستقراء وطريقة التحليل النقدي، وكرس كل طاقته لاستعراض ما له علاقة بالحديث والحادثة، وبالظروف السياسية والاجتماعية التي أحاطت ورافقت هذه الحادثة».

ويؤكد الدكتور بأن المؤلف استخدم المنهجية، والموضوعية، والصراحة والشجاعة، والدعوة إلى الوحدة الإسلامية، والثابرة والصبر، والموسوعية في الثقافة، وأسلوب التعبير، وثوابت البحث الإمامي، ولكل محور من هذه المحاور التي استعرضها الدكتور استلزمت منه وقتاً ليس باليسير ليخلص إلى فرز هذه المحاور من الموسوعة، والتي أوجز الحديث عنها وابتعد عن الشواهد.

كذلك أوضح الدكتور إلى طريقة المؤلف وسبب تأليفه والتاليج التي توصل إليها، وحاول إثباتها، وكل شيء من شأنه متعلق بهذا الكتاب الموسعي الذي هو بحق بحاجة إلى لجنة علمية تتحدث عنه، وقد عشتُ وقتاً ليس باليسير مع هذه الموسوعة المهمة، فأستطيع القول بأن كل محور من هذه المحاور يستلزم شواهد من الكتاب، ويدلoli أن الدكتور - حفظه الله - أوجز إيجازاً كبيراً في التعريف بالمؤلف والمؤلف، فقد بلغ عدد صفحات تقديم الدكتور (٦٦ صفحة).

## □ تقييمه لكتاب «النصب والتواصب»

بلغة راقية يتحدث الدكتور في هذه المقدمة حول أهمية هذا الموضوع الذي يتهيئ بعض الكتاب، فالموضوع فيه التباس عند بعض الباحثين والمفكرين من حيث انصراف هذا المصطلح إلى فئة من الناس، حيث يؤكد في مقدمته ضرورة تناول مثل هذه المواضيع لتسبيح الحقيقة؛ لأن كثيراً من الباحثين يتبعون عن بعض المسائل التي يعطونها حساسية من خلال عدم توفيقهم في الكتابة عنها، بينما إذا أعطيت حقها من الكتابة والبحث العلمي فإنها ستكون مصدرًا مهمًا، فيقول في ص ٥: «ومن هنا كان لا بد من أن تدرس ليهaz الحديث من الطيب، ويعاد للعقيدة نقاوتها، وللتشرع جمال صورته، وللأمّة سلامتها وعافيتها، وبخاصة أنها نعيش الآن يقظة الضمير وصحوة الفكر، مما يضخم أمامنا المسؤولية الشرعية تجاه حضارتنا وتجاه أمتنا».

ثم يشرع الدكتور في إضافة بعض المعلومات المتعلقة بالمفهوم الأساسي (الإمامية) والتي انطلقت منها مشكلة (النصب والتواصب)، لينتقل بهذه المسألة إلى توضيح مفهوم النظرية السياسية للحكم وفق مذهب أهل البيت عليه السلام، ويوضح الحال الذي أصاب شريحة من الأمة من خلال «التقليل من شأن أهل البيت عليه السلام»، وخلخلة كيان الشيعة من الداخل» [ص ٨]، موضحاً أن هذه المشكلة بواعث سياسية انصبت في نقاط كثيرة، منها: «المنع من تدوين الحديث؛ لتلا تنشر أحاديث فضل أهل البيت، ومعاقبة من يروي فضائل علي وأآل علي، وإبعاد أتباع أهل البيت عن الوظائف والمناصب الحكومية، ووضع الحديث في مناقب الخلفاء» [ص ٩]، مما حدى بأولئك الوصول إلى الغلوّ عن هذه

الممارسات.

وتقديم الدكتور لهذا الكتاب ليس بمعزلٍ عما يجري في الساحة الثقافية وما تصدره دور النشر من كتب قديمة وحديثة، حول أدقّ بعض المفاهيم المتعلقة بـ «النصب والنواصب»، فیناقش ما وردَ فيها بصيغة علمية دون تهكمٍ على أصحاب تلك المؤلفات، موضحاً الخلل الذي وقع فيه أولئك المصنفوون، ومستعرضاً الشواهد التاريخية والروائية التي انبثقت منها هذه المصطلحات كالنصب والغلو كتيبة وصل إليها أولئك الذين أدبروا عن خط أهل البيت عليهم السلام، وهذا إن دلّ فإنما يدلّ على تصلّع الدكتور في قراءة المواضيع بشتى الطرق من خلال اطلاعه على التراث الفكري والثقافي لمسيرة وحركة التاريخ والأحداث التي تمر بالمسألة الواحدة.

ولا ينسى في إشارةٍ لطيفةٍ إلى المؤلف بناءً كبيراً، بقوله في ص ٦: «فجمع الشئ الكثير ما يرتبط بمفهوم «النصب والنواصب»، ونظمها، وألقى عليه من الضوء العلمي الكاشف الشيءُ الكثير أيضاً»، ويضيف: «وبحسبه أنه راد الساحة ليكسر جمود التهيب من الدخول إليها، وحسبه أن كان الجريءَ في إزاحة الستار ليكشف ما كان يدورُ وراءُهُ ما كان للأمة أو عليها». حيث وصف هذا الكتاب بالعمل الموسوعي، وأن مؤلفه بذلك فيه الجهدُ المضني في دراسة المفهوم، ويرى أن مثل هذه الدراسات بلا شك ستفتح البابَ لدراساتٍ أخرىٍ مماثلة، موضحاً التبيّنة التي وصل إليها المؤلف.

وختاماً، أرجو أن أكون قد وفّقتُ لهذه المسألة التي ربما تعتبر تتمة

لما تطرق له كاتب آخر، وهو: الشيخ عبد الله يوسف، حيث تزامنت فكرة الموضوع مع تكريم العلامة الفضلي في مهرجان (الفقيه المثقف)، وقد وفق للكتابة والمشاركة، وكان الكسل والتأخير من نصبي الذي أرجو تجاوزه في كتابات قادمة.



## **جهود الشيخ الدكتور الفضلي في دراسة العربية وتدريسها: العرض، التعريف، الملامح**

---

■ **الأستاذ جابر بن عبد الله الخلف**

١١ رمضان ١٤٣٢ هـ

المدف من الكتابة في هذا العنوان هو الرغبة في قراءة الأبحاث والدراسات اللغوية التي أنجزها الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي على مدى أكثر من ثلاثة عقود من الخبرة في دراسة العربية وتدريسها، وهذه القراءة ضرورية ومهمة للاطلاع على قرابة الثلاثين كتاباً في مختلف لغات العربية وآدابها.

### **□ عبد الهادي الفضلي ودراسة العربية**

حين عزمتُ على إعداد هذه المشاركة كان أمامي عدة خيارات، فاخترتُ منها أن أتحدث حول عنوان: «جهود الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي في دراسة العربية وتدريسها»، فقمتُ بقراءة ما تيسر لي من كتبه حول عنوان الموضوع، مثل: «دراسات في الفعل»، و«الذكرة

في اللغة العربية وأدابها»، و«البحث اللغوي في النجف الأشرف»<sup>(١)</sup>. والاطلاع على بعضها ولو لاماً، مثل: «فيهشت الكتب التحوية المطبوعة». ومنها ما كنت قد قرأته سابقاً، مثل: «ختصر النحو»، و«مراكز الدراسات التحوية»، و«تهذيب البلاغة»، و«الشيخ محمد أمين زين الدين ودوره في إحياء الحركة الأدبية في النجف الأشرف وتطورها»، وغير ذلك من مقالات أو دراسات من هنا وهناك.

كما قمت بقراءة فهرست مؤلفات الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي، المنشور بمجلة الكلمة، العدد (٥٥)، خصوصاً ما يتعلق بحقل علوم العربية وأدابها.

ولكن يبدو أنه من الصعب جداً الحديث في مقالة مختصرة في جلسة محددة الوقت والزمان عن تلكم الجهود التي قدمها الدكتور الفضلي في دراسة العربية وتدريسها لغة ونحواً وصرفاً وأدباً وعروضاً ونقداً

(١) قرأت كتاب «الدرس اللغوي في النجف الأشرف» الصادر عن شركة المصطفى، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، وهو «دراسة جديدة ورائدة» كما ورد في التقديم، وكانت أحب الكتاب دراسة في مناهج الدرس اللغوي في النجف ومستوياته، وأثره في فهم النص الشرعي باعتبار النجف مركزاً من مراكز الدراسات الشرعية واللغوية، ولكن بعد قراءته تبين أن الكتاب عبارة عن (فهرست) بأسماء المؤلفين في الدرس اللغوي وعنوانين كتبهم، والتعريف بها، وهو جهد قيم، وقد أولى المؤلف شافاه الله وعفاه - الشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، والمحقق رضي الدين محمد بن الحسن الاسترابادي (ت ٦٨٨هـ) بالغ عنايته ويليهما حيث درس جهودهما التحوية واللغوية وأراءهما دراسة وافية، خصوصاً (رضي الدين الاسترابادي). وقد عرف الكتاب وترجم له (٢٠٨) من الشخصيات النجفية ذات الجهود اللغوية من خلال ما استعرضه من كتبها في الدرس اللغوي.

وتاريخ أدب. ولكن «ما لا يدركُ جلهُ، لا يتركُ كلهُ»، وانطلاقاً من ذلك أحببتُ المشاركة في هذا العنوان، ولو بشكل موجز.

منذ نعومة أظفاره كانت العربيةُ ولعهُ وعشّقه قبل أن تكون تخصصه، ولعلَّ لحضور المكان بعقر بيته الجغرافية دوراً مؤثراً في ذلك، فقد كان مسقط رأسه في مدينة (البصرة) في العراق عام ١٣٥٤ هـ - ١٩٣٥ م، ولقد كانت البصرةُ مدينة رائدة في دراسة العربية وتدرسيتها في مساجدها وجوامعها منذ أيام الخليل بن أحمد الفراهيدي، وما قبله وما بعده.

في مدينة (البصرة)، درس الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي معظم مقررات مرحلة المقدمات الحوزوية، وعن البصرة يقول الشيخ الفضلي: «حافظتِ البصرةُ على إرثها وتاريخها الحضاري منذ تأسيسها، ومنذ رجالها الأوائل: الفرزدق، والجاحظ، وبشار، والخليل، ففي كل أزمانها التي تعاقبت عليها كان للبصرة حركتها الثقافية ...، وخصوصاً في الجوانب اللغوية والأدبية؛ حتى يمكن تسميتها: (مدينة اللغة العربية وأدابها)»<sup>(١)</sup>.

هذا ما كان من دور المكان، كما هي عبقرية العراق في مدنه وقراه من الموصل شمالاً حتى البصرة جنوباً، حيث يصبح بالعقربات العربية المتقدة دوماً باللغة؛ حتى كان اللغة هوية المكان، أليس البابلية والسومنية والعربية من لغات المكان؟!

---

(١) الفقيه المثقف، ص ١٩.

وهذا كان للعراق النصيب الأوفر في نشأة علوم العربية ودراستها. فقد تأسست في العراق سبعة مراكز لدراسة العربية وتدريسها منذ بداية عصر التدوين، كما يذكرها الشيخ الدكتور الفضلي في كتابه «مراكز الدراسات النحوية»، هي: (البصرة)، و(الكوفة)، و(بغداد)، و(النجف)، و(الموصل)، و(الحلة)، و(أربيل).

ثم يأتي دور (الأم السيدة عقيلة البطاط)، وهي من البصرة أيضاً. فهي تعرف معنى اللغة بوصفها (أمّا)، كما تعرف معنى أن تولد في البصرة، وتلد طفلها فيها، فاحتضنت الطفل البانع منذ نعومة أفكاره ثلاثة حواضن: (الأم) و(البصرة) و(اللغة)، فلما يذهب من قدره؟! أخذته والدته مرة معها، وهو لا يزال صغيراً، وكانت في زيارة للنجف الأشرف، فابتاعته من دكان صغير لبيع الكتب يقع في أول سوق العمارة كتاباً صغيراً في النحو يسمى: «الأَجْرُوْمِيَّة»<sup>(١)</sup>، وبعد عودتها من النجف إلى البصرة أعطته والده الشيخ المولع باللغة ليُدرِّس الكتاب، وكان لتوه قد أكمل الصف الرابع الابتدائي في التعليم الحكومي، ثم توالت الدروس من قبل والده في متون النحو وشرحه من (قطره)، ثم (ألفيته)، ثم (مغنيه)، ثم أتبع ذلك متون الصرف وشرحه من (مراجه)، ثم (شافعيته)، ثم (مقصوده)، ثم أتبع ذلك متون البلاغة

(١) صاحب الأَجْرُوْمِيَّة: هو أبو عبد الله محمد بن داود الصنهاجي النحوي المشهور بابن آجُروم - بفتح المزة المددة وضم الجيم والراء المشدة. ومعناه بلغة البربر: (الفقير الصوفي)، ولد بمدينة فاس بالغرب العربي سنة ٦٧٢ هـ، قال ابن العاد في شذرات الذهب، ج ٣/ ٦٢ عن ابن آجُروم: «نحوي مقرئ، له معلومات من فرائض وحساب وأدب بارع، ولهم مصنفات وأراجيز، توفي بفاس سنة ٧٢٣ هـ».

وشروها من (مختصرها)، ثم (مطوطها)، ثم (جواهرها).. وهكذا، حتى استبدَ الولعُ الفطريُّ فاستحالَ تَوْلُعاً واشتغالاً.

ثم كان الأثر البالغ لأستاذة الشيخ الفقيه الأديب محمد أمين زين الدين، وأخيه الشيخ علي في تغذيته بآداب العربية وأساليبها؛ حتى اشتد عوده، ونضجت سليقة اللغة والأدبية واكتمل ذلك التولُّ بالدراسة الأكاديمية، فقد درس في مرحلة البكالوريوس النحو والصرف على يد الشيخ عبد المهدى مطر، ودرس تاريخ الأدب العربي على يد الدكتور عبد الرزاق محبي الدين، ثم تبع ذلك دراسته في مرحلة الماجستير النحو لدى الأستاذ كمال إبراهيم، وفقه اللغة لدى الدكتور إبراهيم السامرائي، والبلاغة لدى الدكتور عبد الرزاق محبي الدين، والأمثال العربية لدى الدكتور صفاء خلوصي، وتحقيق المخطوطات لدى الدكتور مصطفى جواد، وكان لأستاذته في هذه المرحلة كما في المرحلة التي قبلها باللغُ التأثير في دراسته وتعميقها، خصوصاً الدكتور مصطفى جواد، والدكتور إبراهيم السامرائي.

ثم تلا ذلك تحضيره لرسالة الماجستير بعنوان «أسماء الأفعال والأصوات» ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠م، بإشراف الدكتور إبراهيم السامرائي، ومناقشة الشيخ عبد المهدى مطر، والأستاذ كمال إبراهيم، والدكتور مهدي المخزومي. (وقد شملت الدراسة ٨١ اسم فعل استوعبها المؤلف دراسة وبحثاً واستقصاءً في مصادرها من أمَّاتِ الكتب التحوية واللغوية).

بعد ذلك أكمل دراساته الأكاديمية العليا في (كلية العلوم) بجامعة

القاهرة بمصر، وذلك بتحضير رسالة الدكتوراه، وكانت بعنوان «قراءة ابن كثير وأثرها في الدراسات النحوية» عام ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م، بإشراف الدكتور أمين علي السيد، ومناقشة كل من: الدكتور الشيخ إبراهيم نجا (وكيل جامعة الأزهر)، والأستاذ علي النجدي ناصف (عضو مجمع اللغة العربية).

#### □ الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي وتدرис العربية

لم يعد درسُ العربية ولغاتها وأدابها ونحوها وصرفها متوقفاً عند حد التحصيل العلمي وحسب، وإنما غداً اهتماماً خاصاً، واجتهاداً متواصلاً، ولم يتوقف على درس المتون التراثية الأصيلة، بل أصبح موصول الوشائج بالدرس اللغوي الحديث درساً وتحصيلاً، قراءةً وكتابةً، توضيحاً وتدريساً، تمهيداً وتجديداً، تعليمياً وتعليناً.

وقد مارس الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي تدرис العربية ونحوها في الحوزة العلمية بالنجف، فقد درس «قطر الندى» وشرحه، وألفية ابن مالك» وشرحها، «معنى الليب عن كتب الأعaries» وتفاصيله، كما درس شرح النظام للنيسابوري في الصرف، ودرس علوم البلاغة من خلال «ختصر المعانى»، و«المطول» للتفتازاني، و«جواهر البلاغة في المعانى والبيان والبدىع» للسيد أحمد الهاشمي. وإلى جانب الحوزة، مارس تدرис نحو العربية وصرفها أكاديمياً بجامعة الملك عبد العزيز في مدينة جدة. فهو، حسب ما صرخ به في إحدى محاضراته، قد مارس تدرис العربية لمدة ثلاثة عاماً.

ولا مِزَّةَ في أنه أصبح خبيراً في مجال تخصصه، وموسوعياً في

دراساته اللغوية وال نحوية والأدبية، وختلف التخصصات الأخرى ذات العلاقة بدراسة العربية وتدريسها.

وقد أشرف على رسائل علمية، مثل:

١. من الظواهر النحوية للحرروف المستخدمة في القرآن الكريم (دكتوراه)، صباح بافضل، كلية التربية للبنات بجدة (إشراف بالاشتراك مع د. مصطفى الصاوي الجوني).
٢. الرومانسية عند بعض الشعراء السعوديين (ماجستير)، الشفاء بنت عبد الله زيني عقيل، كلية التربية للبنات بجدة (مناقشة).
٣. الأنجوبة المرضية عن الأسئلة النحوية، للغرناطي، (ماجستير)، تحقيق سلامه عبد القادر، كلية الشريعة، جامعة أم القرى (مناقشة).

وقد كتبت بعض المقالات حول حقل اهتمام الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي بالعربية دراسةً وتدريساً، ولكنها تحتاج إلى قراءة نقدية ومراجعة، وهي كالتالي:

١. الدكتور عبد الهادي الفضلي علم من أعلام العربية وفخر للنحوين السعوديين المعاصرين، محمد خضر عريف، مجلة الموسم، العددان ١٠-٩، ١٤١١هـ-١٩٩١م.
٢. أسماء عربية، الدكتور عبد الهادي الفضلي، الأستاذ حسين بافقية.
٣. الدكتور عبد الهادي الفضلي النحوي الأكاديمي، الأستاذ جعفر العمران.
٤. الدكتور عبد الهادي الفضلي عالم اللغة والنحوي السعودي، عبد

الإله صالح آل علي، بحث جامعي بإشراف الدكتور حمزة المزیني، وهذا الأخير أکبرها حجمها، وأأشملها.

□ ملامح عامة حول منهج التأليف في حقل العربية وتدريسهها من خلال قراءتي في كتب الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي، يمكنني تسجيل الملاحظات الآتية حول الملامح العامة التي ينتهجها في كتاباته وتأليفه:

(١) حرصه بشكل دائم على حضور «العربية» في كتاباته ومحاضراته وإشاراته، وذلك من خلال التعريف بالمفاهيم والمصطلحات العلمية تعريفاً لغوياً، سواء كانت في الفقه، أو الأصول، أو الأدب، أو التاريخ، أو النقد. وهي - بلا ريب منهجية علمية لا يكاد يحيى عنها، باعتبار أن (العربية) نحواً وصرفًا ولغةً تشكل ركيزة أساسية سواء في عرض الأفكار وتوضيحها، أم في بسط الآراء وشرحها، أم في نقل الأقوال ونقدتها.

ومثال ذلك ما نقرؤه في بحثه (المال دراسة فقهية مقارنة)، أو كتابه (الغناء دراسة فقهية الحقيقة والحكم)، أو كتابه (الموجز في علم التجويد)، أو كتابه (التقليد والاجتihad)، أو بحثه (بيع العربون)، أو بحثه (التبلیغ الإسلامی)، وغير ذلك، فهو يتم اهتماماً خاصاً في شرح المعنى اللغوي للمفاهيم محل الدراسة، بل ربما يستفيضُ في بيان وجوده المعاني اللغوية، كما في تعريفه بمصطلح (التبلیغ)، وهذه نقطة مهمة من نقاط اهتمامه بمنهجية البحث العلمي، وتأصيل المفاهيم تأصيلاً لغوياً، ثم اصطلاحياً.

وقد يتبنى رأياً فقهياً، أو يجتهد في استخراجه بناء على الاختلاف في تأصيل المفردة لغريباً، كما في مناقشته لمادة (قوم)<sup>(١)</sup> اللغوية أثناء بحثه الفقهية.

(٢) اهتمامه الخاص بالتنوع الكتافي في حقول العربية المختلفة، سواء في اللغة، أو الأدب، أو النحو، أو الصرف، أو العروض، أو تاريخ الأدب، أو تحقيق التراث اللغوي المخطوط. وهذا جليٌ واضح من خلال ثبّت كتبه ومسردها، وقد تجلّ ذلك بشكل أوضح بتأليف كتابٍ خاصٍ حول ذلك بعنوان (تحقيق التراث)، يحكي تجربته في هذا الجانب، وكان لأستاذة الدكتور مصطفى جواد بالع الأثر في هذا المجال بالذات. وربما تناول البحث - أحياناً - بأسلوب العرض التاريخي الموجز، كما في كتابه مراكز الدراسات النحوية، وهو لا يقصد (الاستقصاء

(١) يقول السيد محمد الحسيني: «وربما يتفرد الشيخ الفضلي في هذه المسألة بقراءة أقرب ما تكون إلى السياق القرآني، إذ إنه بعد الإشارة إلى ما يعنيه هذا اللفظ (قومون) وأنه ليس حقيقة شرعية ولا مصطلحاً فقهياً، أشار إلى ما ورد في القرآن في مادة (قوم)، وانتهى إلى ما أفاده نصاً: «ونستفيد من هنا أن القوامية لا تعني القيمة التي فهم منها المستدون التسلط والتصرف، وإنما تعني إنابة مسؤولية رعاية مصالح النساء وتدبير شؤونهن بالرجال. ومن أظهر مصاديق تلك الرعاية وذلك التدبير، هو وجوب إنفاق الرجل (الزوج) على زوجته، وهذا يعني أن الإنفاق من القرامة، وليس من القيمة، وقد يرجع هذا إلى أن أكثر المجتمعات - ومنها المجتمعات العربية التي تحاول معرفة معنى القوامة لديهم - مجتمعات ذكورية، تحمل الرجل مسؤولية رعاية مصالح المرأة وتدير شؤونها، وهم لا يرمون من هذا إلى أن تلك الرعاية وذلك التدبير هما من نوع الولاية السلطوية، وإنما هما شأن من شأنهن تركيبة المجتمع ... ونخلص من كل ذلك إلى: أن القرامة غير القيمة». انظر: الشيخ الفضلي فقيهاً، بقلم: السيد محمد طاهر الياري الحسيني.

التام، أو الإحصاء المستوعب) لعنوان البحث، وإنما يفتح الباب لمن أراد أن يكمل هذا الجانب بشكل أكثر استقصاء واستيعابا، وفي كتابه الآخر (التذكرة في علوم اللغة العربية وأدابها) شيء كثير من هذا المعنى.

(٣) اهتمامه بعمل المشجرات والخدالول والتصنيف العلمي أثناء التقسيم للأنواع، ويعبر عنه أحياناً بالخلاصة كما في كتابه (ختصر النحو)، ويرمي من ذلك إلى إعادة التركيز على النقاط الأساسية في الموضوع؛ لاستيعابها وسرعة تذكرها.

(٤) اهتمامه بعمل الإحصائيات ومراعاة التصنيف العلمي أيضاً في دراسة الظواهر، ويمكن أن يكون كتابه (فهرشت الكتب النحوية المطبوعة) مثالاً على ذلك، فقد احتوى الكتاب على ١٢٦٥ عنواناً لكتاب نحو عربي مطبوع حتى عام ١٩٨٦م.

(٥) انعكاس أثر تجربته في التعليم الحوزوي والأكاديمي على منهجه في التأليف اللغوي. فقد استفاد الأصالة والعمق من التعليم الحوزوي، كما أنه استفاد المعاصرة والجدة وحسن التنظيم والاتساق وعمق التخصص من تعليمه الأكاديمي، وهذا يبدو واضحاً في كتبه بشكل عام، وفي كتبه في علوم العربية وأدابها بشكل خاص.

(٦) محاولة الجمع بين رأي النحويين ورأي الأصوليين ورأي المدرسة اللغوية الحديثة في مناقشة المسائل اللغوية أو النحوية. ويتبين هذا المعنى من خلال هذين المثالين من كتابه (دراسات في الفعل):

الأول: في تناوله لموضوع اشتراق الفعل، وعرضه الاختلاف بين النحويين البصريين والkovfines في مسألة أصل الاشتراق، هل هو الفعل

أم المصدر، واستعراضه لاشتقاق العرب من أسماء المعاني وأسماء الأعيان (أذهب من الذهب، فضض من الفضة، أبحر من البحر، أثلج من الثلج)، واشتقوا أيضًا من أسماء الأعيان العربية (هندس، درهم، فهرس)، كما أشار أيضًا إلى ميل الباحثين المحدثين، مثل: د. مصطفى جواد، ود. مهدي المخزومي، و د. إسرائيل لوفنسون إلى المدرسة الكوفية في مقاربتها لما تبنته المدرسة اللغوية الحديثة، والدرس اللغوي المقارن بين اللغات السامية، ثم ينقل في ص ٣٩ رأي مدرسة النجف الأصولية الحديثة بأن مبدأ الاشتاقاق هو (المادة)، «ويريدون بالمادة الحروف التي تتالف منها المشتقات من دون ملاحظة وضع الهيئة والدلالة على النسبة، كمادة (ك. ت. ب.)».

ويقول: «غير أن المشكلة لا تزال قائمة؛ لأنها مسألة تاريخية، وليس مسألة عقلية تخضع للتصور العقلي، والقواعد المنطقية». ويشير فيما بعد إلى ما انتهى إليه تطور المسألة لدى اللغويين المحدثين الذي أفادوا من مناهج البحث الحديث في دراسة اللغات دراسة مقارنة وتاريخية. وكان الرأي الذي انتهوا إليه هو أن أسماء الأعيان أو أسماء المعاني الحسية هي أصل الاشتاقاق.

وفي نهاية المطاف، يخرج بالنتيجة النهائية بعد عرض الأقوال ومناقشتها إلى القول ص ٤٥: «إن الرأي الذي يتمشى وطبيعة اللغة هو رأي المدرسة اللغوية الحديثة القائلة بأن مبدأ الاشتاقاق هو اسم المادة، وأن الفعل هو الآخر مشتق منها».

الثاني: في مسألة تقسيم الفعل، فقد قسم النحويون - حسب

سيويه - الفعل إلى ثلاثة أقسام، هي: «ما مضى (الفعل الماضي)، ما يكون ولم يقع ( فعل الأمر والفعل المضارع الدال على المستقبل)، ما هو كائن لم ينقطع (الفعل المضارع الدال على الحال)، ...».

ثم يقول: «أما ما قاله الأصوليون (حسب صاحب الكفاية): إن استقراء أمثلة الفعل تنتهي - بدامة - إلى أن (الأمر) لا دلالة فيه على الزمان، وأن دلالته مقتصرة على طلب إيقاع الفعل فقط».

ثم استعرض «المأخذ التي أحذها الأصوليون على تقسيم النحوين للفعل إلى ثلاثة أقسام مع سلامه الأساس، ولكن الاشتباه في التطبيق، فالأمثلة المأخذة من الذهب مثلا هي (ذهب) (يذهب) (ذهب)، فال الأول يدل على وقوع حدث الذهب في الزمان الماضي، والثاني يدل على وقوع حدث الذهب في الزمان الحاضر، والثالث يدل على طلب إيقاع حدث الذهب».

ويضيف: «ويرجع هذا - كما يقول الأصوليون - إلى أن صيغ الأوامر ألفاظ إنسانية خالصة، والإنسانيات لا اقتران لها بالزمان».

ثم استعرض ص ٤٥ جملة من الآيات القرآنية تدل سياقاتها على أن الأفعال يأتي كل منها لزمان غير زمانه إذا اقترن بها بصرفه إلى ذلك، مثل: دلالة الماضي على المستقبل، دلالة المضارع على المستقبل، ثم يتبعها إلى التبيجة النهائية في خاتمة الفعل، وهي أن الفعل ينقسم إلى قسمين: ماضي وحاضر.

(٧) مراعاة النهج النحوي القديم والمنهج الحديث في مناقشة الآراء، ففي تناوله لتعريف الفعل ومدلوله، استعرض آراء النحاة

القدماء، وذكر طرائفهم في تعريف الفعل، وهي: التعريف بالمثال (سيبويه، أبوبيكر الزبيدي)، والتعريف بالقسمة أو الإسناد (أبوبكر ابن السراج، ابن مالك، بدر الدين محمد ابن الناظم، الأشموني)، والتعريف بالحد (الكسائي، ابن كيسان)، والتعريف بالعلامة أو الدلالة (أبو القاسم الزجاجي، أبو علي الفارسي...).

وفي ص ١٦، يقول: «وبعد هذا العرض المقتضب لطرائق تعريف الفعل في المنهج النحوى القديم؛ لا بدّ من محاولة لاستجلاء مدلول الفعل في ضوء المنهج الحديث (...). باعتبار أن الفعل وحدة لفظية؛ أي مجموعة أصوات ذات نظام معين يأخذ وظائف معينة في الاستعمال اللغوي الاجتماعي، فيأخذ وظيفة دلالية، وأخرى صرفية، وثالثة نحوية، ومن خلال معرفتنا بهذه الوظائف نستطيع أن نبين مدلول الفعل بوضوح».

(٨) مراعاة الاختيار بين مختلف المدارس النحوية في تبني الآراء وترجيحها، فهو ليس مقلداً للمدرسة البصرية، رغم أنها (مسقط رأسه)، وإنما يستعرض الآراء ويناقشها حسب المنهج العلمي، فهو يقول في كتابه دراسات في الإعراب، ص ١٥٧: «وبعد هذا التطاويف مع الإعراب تعريضاً ونقداً، والذي كوفتُ فيه وبصائرُ مغرقاً مع تاريخ الفكر النحوى في تراجمي أزمانه ثم عدت فعاصرتُ متعاملاً مع الفكر النحوى الحديث في تجاربه ونقداته وآراء رانديه».

ما زال الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي مدرسةً من مدارس تعلم العربية وتعليمها، وحرىٌ بنا أن نتعلم منها فنَ الدرسِ اللغويِّ،

وفنًّا إتقانه، وقبل ذلك وبعد نتعلم أدب الدرس والنفس.

وفي الختام، لا بد من الشكر والعرفان للأخ أبي حيدر أحمد الفايز فقد استفدت منه كثيراً، فقد شارك في توفير مجموعة من المصادر والمراجع القيمة من كتب الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي، والشகر والعرفان موصولان للأخ حسين منصور الشيخ فقد استفدت من بعض كتاباته حول الشيخ الدكتور الفضلي خصوصاً فهارس كتبه، وكتابه الآخر «الدكتور عبد الهادي الفضلي تاريخ ووثائق».

## **اللاسجالية في كتابات الدكتور الفضلي ومحاضراته**

---

■ الأستاذ جابر عبد الله الخلف ■

### **□ تعريف السجال**

في اللغة: «سَجَلَ الشيءَ أَرْسَلَهُ مُتَصَّلًا، وَأَسْجَلَ الْكَلَامَ: أَطْلَقَهُ وَأَبَاحَهُ، وَتَسَاجَلُوا: تَبَارَوْا وَتَفَاخَرُوا، وَالْمَسَاجِلَةُ هي: المفاخرة والمبرأة في العمل أيها يغلب صاحبه، وقالوا: الحرب بينهم سجال؛ أي: مرة على هؤلاء ومرة على أولئك. ومن المجاز: ساجله مساجلة؛ إذا باراه وفاخره بأن صنع مثل صنعه في جزئي أو سقفي. وأصله في الاستقاء، وهو ما يتتساجلان؛ أي يتباريان».

بعد ملاحظة ما تنطوي عليه هذه المادة اللغوية من معانٍ التاري والتراخي، وإرسال الكلام وإطلاقه بقصد التغلب والمفاخرة، نخلص إلى الفكرة الأساسية في الموضوع، ألا وهي: (اللاسجالية في كتابات الدكتور الفضلي ومحاضراته)؛ وذلك لضرورة توضيح مفهوم «اللاسجالية» الواردة في العنوان.

وهو المعنى اللغوي الذي أخذ في التطور حتى استحالت لفظة

(السجال) من معناها القاموسي البسيط، فأصبحت مفهوماً مرتبطة بالغلبة والمعارضة والنزاع في النقاشات الفكرية والمناظرات الدينية والمذهبية. فالسجال مصدر ساجلٌ يُساجل، بمعنى: تأوَّبَ في الكلام مرةً بعد مرة، ثم استعملت المساجلة في المعارضه والباراة في كل شيء، وقولهم: «الحربُ سجال» صارت مثلاً يضرب في النزاع والجدال وفي غيره<sup>(١)</sup>.

#### □ ابعاد الدكتور الفضلي عن السجال السلبي

إن من المزايا التي يتمتع بها الدكتور الفضلي - من خلال إجراء قراءة ولو عابرة لكتاباته ومحاضراته - حرصه الشديد على أن يكون خارج ما يمكن وصفه بالسجال الفكري والديني بمعناه السلبي المتضمن للعبارة والمعارضة والمناطحة والبارزة والكر والفر، فهو لا تبدو عليه صفات المطاحن فيما يتناوله من أفكار سواء كان في كتبه أو محاضراته؛ بل يبدو بسماء الباحث الأكاديمي، ومزايا الحوزوي في انتظام أفكاره وعمقها وشمولها، فتراه يتخلل وينتقي أعقد الأفكار من قام الصراعات والسباقات قبل أن يباشر بها جمهوره، أو يفاجئ بها قراءه، كما ينتقي الفلاح جيد البر من رديته.

فهو قارئ نandi بامتياز، وباحث منهجي يسمى بأسلوبه عن مبدأ

(١) قال البيوسي في زهر الأكم في الأمثال والحكم: «ولفظ السجال في المثل جمع، ولا يصح أن يكون مصدرًا بمعنى المساجلة»، وخالفه الزمخشري في المستقصي في أمثال العرب بقوله: «يجوز أن يكون مصدرًا بمعنى المساجلة، وهي الباراة»، وفي عصرنا تطور مفهوم الكلمة إلى معان كثيرة، مثل: مساجلة كلامية، ومساجلة شعرية، وسجال فكري، أو مذهبى، أو صحفى.

(المطاراتات والمناظحات)، وهو حريص أدقّ الحرص على انتقاء ألفاظه وعباراته وأفكاره من بين ركام الألفاظ والعبارات والأفكار السجالية المتراءة في متون الكتب، كما أنه يُعرّيها من أسماء القراءات السجالية التاريخية والمذهبية، فأسلوبه رصين رصانة (الأكاديمية)، ومتين متنانة (الحوزوبي) الأصيل.

محاضر بارز استطاع بها يمتلكه من قدرة على المناورة الفكرية، وبها يتسلح به من منهجة وإيجاز ناصع الإيماء والإشارة، ناصع اللفظ قليل العبارة، فقد استطاع أن يشد إليه جمهوره ومتبعي محاضراته، واستطاع أيضاً - بعد تجربة علمية عريقة، وخبرة أكاديمية - استبدال النهج السجالي في الطرح الفكري والأدبي بمنهجية (ملء الفراغ) في المكتبة العربية الإسلامية، فأصبحت دروسه وكتبه ومحاضراته تملأ الفس والعقل والقلب، وأخذت مع الوقت تسد الفراغات والفتحات المسكون عنها، سواء كانت فراغات فكرية، أو عقائدية، أو فقهية، أو لغوية، أو نحوية.

وقد خلت كتبه ومحاضراته أو تكاد من العنوانين السجالية؛ بغية النأي بأفكار قرائه، ورواد محاضراته عن الارتجالية والاستفزاز المذهببي، أو الغلو الديني. فلا (مطاراتات) ولا (مناظحات في الفكر)، ولا مبالغات، أو مخاصمات، وإنما (سلوكنا من منظور إسلامي)، و(كيف نقرأ التاريخ)، و(كيف يجب أن يكون النقد)، و(الإمامية والأمة)، و(حضارتنا في ميدان الصراع)، و(المسؤولية الخلقية)، و(مشكلة الفقر)، و(أصول البحث)، و(الإسلام مبدأ)، و(أصول البحث)، و(تحقيق التراث) وغيرها.

فقد أثبت الشيخ الفضلي بما تناوله من دراسات أنه خارج تقاليد السجال المذهبي، أو الديني، فلا تراه قد تأثر بطاحونة السجال التاريخي فيها يطرحه من أفكار أو طرحة من قضایا، بل تناول ذلك بعقلية القارئ الوعي، ومنهجية الباحث المقارن؛ ولذا لا تراه مشغوفاً بطرح كل فكرة قد أكل عليها الدهر وشرب، أو تراه مولعاً باستعادة التاريخي بوصفه مازقاً ومزلقاً، فليس من مصلحة الواقع والمستقبل الزج بالتاريخ بكل أسلكه دون مبرر منهجي.

كما أنَّ الدكتور الفضلي في كتاباته المختلفة، ومحاضراته الإسلامية المتعددة يتبنى منهجية النقد بوصفها الوسيلة المثلثة في دراسة الأفكار، وهو يطرح النقد باعتباره وسيلة هدم وبناء: هدم الآيل للسقوط من الأفكار، وإعادة إعماره بمواد معاصرة، وأاليات حديثة، فيقدم البديل النافع.

وقد دعا في إحدى محاضراته التي كانت بعنوان: (المناهج المعاصرة في تفسير الظاهرة الشرعية) إلى «اتباع طريقة الإمام الصادق عليه السلام، وهي نقد المنهج»، بدلاً من نقد المفردات الذي لا ينفع، وقد أشاد في محاضرته بمنهجية السيد محمد باقر الصدر في نقله العلمي الموضوعي لأفكار الرأسمالية والاشراكية في كتبه الفكرية الرائدة. فمنهجية: «إإن قالوا قلنا» بوصفها المنهجية الذهبية لأنصار السجال المذهبي والديني أثبتت بعد أكثر من عشرة قرون فشلها في حسم التنازع حسب تعبير الأستاذ فؤاد إبراهيم.

وقد ساهم الدكتور الفضلي مساهمة أصيلة في التأكيد على مبدأ

احترام الآخر المؤسس أصلًا على احترام الذات، وقد ساهم أيضًا في صياغة مفاهيم إسلامية تقوم على تعدد وجهات النظر، وتأصيل مبدأ النقد كديل أساسي عن مقوله: «قالوا وقلنا» وجدليتها غير المجدية في فهم الآخر.

وقد استفاد ذلك من أساتذة له كرام، ساهموا في صقله فكريًا وفقهياً وأدبياً، وهم (المحمدون الأربع):

الشيخ محمد رضا المظفر (ت ١٣٨٤هـ)، ومساهمته الرائدة في تأسيس كلية منتدى النشر، التي ساهمت في تجديد الدرس الحوزوي، وخرجت جيلاً من العلماء والأدباء المجدين والمصلحين في شتى مجالات الحياة الفكرية والأدبية، والسيد محمد باقر الصدر (ت ١٤٠٠هـ)، ودوره الريادي في الدراسات الإسلامية المختلفة، في الفقه الاقتصادي والأصولي والفكري، والشيخ محمد أمين زين الدين (ت ١٤١٩هـ)، ودوره الأدبي، وجهاده الإصلاحي ، وأطروحته التغييرية الهدافلة، وما تربى على يديه من تلامذة أفذاد، والسيد محمد تقى الحكيم (ت ١٤٢٣هـ)، وما طرحة من دراسات أكاديمية مقارنة في كتابه الأصول العامة للفقه المقارن، وكتابه الآخر من تجارب الأصوليين في المجالات اللغوية.

فقد كان هؤلاء الأساتذة الكرام عليهم السلام الأثر البارز في التكوين الثقافي والفكري والأدبي للشيخ الفضلي، فالملاحظ على كتابات هؤلاء الأساتذة الأفذاد اشغالهم بالعلم الإسلامي، والمشاركة في الإصلاح الاجتماعي والديني والثقافي والأدبي أكثر من اشغالهم بالسجالات

المذهبية والدينية، أو الردود واستعادتها، بل ساروا نحو أهدافهم دون ضجيج أو ضوضاء، ونأوا بأنفسهم عن مثل هذه السجالات التي أصبحت شاغلاً عن اهتمام الحقيقى لقضايا الإسلام.

ومن أبرز الأمثلة على ابتعاد الدكتور الفضلي عن الغرائز السجالية دراسته المعونة بـ(قراءة في كتاب التوحيد) لمؤلفه الشيخ الدكتور صالح الفوزان، التي ربما تبدو للوهلة الأولى أنها تجربة سجالية ناجحة، لو كان الدكتور الفضلي من ذوي الطرح السجالي المذهبى، ولكن منهج العرض، وطريقة التناول، وأسلوب المعالجة التي تناول بها أفكار الكتاب تنم عن حرصه الشديد على التزام (منهجيته) الفضلى، ألا وهي منهجية النقد العلمي الموضوعي بعيداً عن الردود الارتجالية الطارئة، والاستفزاز المتعجل.

فبعد أن عرف الدكتور الفضلي بالكتاب، وقدم عرضاً لمضمونه في نقاط محددة، قال معرفاً بالكتاب: «منهج فيه مؤلفه المنهج السلفي فحاكم في ضوئه، وحكم على هديه»، ثم أضاف: «قرأته، فقدرْتُ في مؤلفه الكريم غيرته على الإسلام، وأكترتُ محاولاته الخيرة في الدفاع عنه بتعريفه المذاهب القديمة والحديثة التي تختلف الإسلام، أو تختلف معه كلياً أو جزئياً، وهذا ما كنا نرغب في أن يكون من جميع الكتاب المسلمين؛ لأن الدفاع عن العقيدة واجب ديني، وحق قانوني».

وفي هذه النصوص السابقة تجلّى الدكتور الفضلي بموضوعيته الأكاديمية، وحياده الإيجابي، فقد قرأ الكتاب قراءة واعية، وعرف بمنهجه، وقدّر مؤلفه غيرته الإسلامية، وأكبر فيه محاولاته الخيرة في

الدفاع عما يعتقده من أفكار إسلامية، وهذا خير دليل على حسن الظن بالآخرين، والثقة في عاطفهم الدينية، وأكده على أن الدفاع عن العقيدة واجب ديني، وحق قانوني.

وقد بسط الدكتور الفضلي في قراءاته العذر للشيخ صالح الفوزان حين قال: «الفت نظري فيه [أي في الكتاب] شيتان استوقفاني عندما طويلاً، فأحبيبته أن أوضحها أكثر؛ لعل فيها ما لم يطلع عليه سعادة الدكتور الفوزان».

وهذا التزام منهجي بأخلاقية الحوار البناء النافع، وليس التورط في المنهج السجاللي غير المجدى، مع أن موضوعات الكتاب ذات مضامين سجالية في الإرث التقليدي للمذاهب الإسلامية.

حتى تناوله للتاريخ بحضوره المسيطر؛ وذلك في محاضرته «كيف نقرأ التاريخ؟»، فقد برع دوره النقدي للتاريخ وحركته بوصف النقد قيمة حضارية، وقد سعى سعياً جاداً إلى تأصيل ذلك في محاضراته حين يطل بها على جمهوره في المناسبات الاجتماعية والاحتفالات العامة؛ لحرصه الشديد للمشاركة في تنمية الوعي الاجتماعي، ففي محاضرته هذه حرص - في هدوء بلين - على بيان العوامل المؤثرة في كتابة التاريخ، مثل: الجو السياسي والثقافي، وعقيدة المؤرخ، والميول السياسية للمؤلف وثقافته وعلاقاته، والبيئة الثقافية، وبيان أسباب التحرير والتزوير.

كما أنَّ منْ يستمع إليه في محاضراته أو يقرأ له؛ يلاحظ حضور التراث في كتاباته بما يمثله من أصالة دون مبالغات في تمجيد الماضي، أو آراء السلف، ويلاحظ أيضاً حضور المعاصرة بما تثله من فاعلية

وحضوره. فالدكتور الفضلي يظل ابن عصره؛ ولذا تراه وفياً له، فما يطرحه من موضوعات تبدو تاريجية أو تراثية، لا يطرحها بجلباب الآباء والأجداد، وإنما يخلع عليها أحدث الأساليب المعاصرة في توافق هارموني جاذب.

وفي كثير من المناسبات الاجتماعية، كما في كتاباته ومحاضراته، طرح موضوعات تناولها مفكرون عالميون لها علاقة بالدراسات الإسلامية سواء في دول عربية، أو إسلامية، أو غربية لها أبعاد واسعة، مثل: العلمانية والمناهج المعاصرة في نقد الظاهرة الدينية، والدراسات الاجتماعية والاقتصادية وغيرها، ولكن لم يتنازل عن منهجه التقدي والإحيائي.

وأخيراً، يلمسُ كُلُّ من يلتقي بالدكتور الفضلي ويجادله أنه خير مثال لقول الشاعر:

وتراهُ يُصْفِي للحَدِيثِ بِسْمِهِ وَيَقْلِبُهُ وَلَعْلَهُ أَدَرَى بِهِ

## جذور التجربة النهجية عند العلامة الفضلي

■ الأستاذ عيسى مبارك محمد الريبي

قال تعالى: «وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَسْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ يَتَهَمِّ طَائِفَةٌ لِيَسْتَعْفِفُوا فِي الَّتِينَ وَلَيَنْدِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْدُرُونَ»<sup>(١)</sup>.

إن المتبع للمسيرة العلمية، والحركة الثقافية المتنوعة، والتراكم العظيم الذي خلفه لنا العلامة الفضلي ح، يصل إلى نتيجة حتمية بسمو هذه الشخصية، وعمق الأصالة في تجربتها، وأنها بحق تشكل ظاهرة في تاريخ الحوزة العلمية في عصرنا الحالي هذا، وتمثل بجهادها الطويل رقماً مهمًا في تاريخ علماء الشيعة العاملين الوعابين لمسألة النهوض والتغيير والإصلاح والتجديد (نظرياً وتطبيقياً).

وقد صنع العلامة تجربة رائدة في عدة جوانب علمية، لها سماتها البارزة المميزة وبصمتها الخاصة، وجذورها وأسسها وعطاءاتها وثمارها، فلم يكن الفضلي مكملاً لصفوف حوزوية أو أكاديمية تمر على هذه البساطة، تشي وترحل وينسها الزمن والأجيال، إنما كان مفصلاً

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٢.

ومنعطافاً في هذا المسار.

وسنحاول في هذا المقال أن نشير إلى بعض من جذور هذه التجربة في أطراها المنهجية.

### □ سر التفرد لشخصية العلامة الفضلي

هل الظروف الحوزوية الكائنة بالنجف هي التي صنعت لنا الشخصية العلمية والحركية للعلامة الفضلي؟ وهل وجوده في ذلك الجمّع أساتذة كبار وزملاء شكل عاملًا رئيسيًا في ذلك؟

هل مزاوجته في الدراسة بين الجامعة والمحوزة أوجد في تجربته مثانة واسعًا في الشأن العلمي والتخصصي؟ وهل انخراطه في الأحزاب والمؤسسات الثقافية في الجامعة أو في النجف أو فيما بعد التقاعد أوجد عنده حاسة الوعي الاجتماعي السياسي والأسلوب العصري في الخطاب؟

هذه أسئلة لا يحيد من طرحها حينما نستجمع سيرته العلمية وعطائه، وهذه المفاصل في حياته تبدو من أول وهلة عوامل رئيسة جعلت كثيراً من الدارسين الذين تناولوا مسيرته يقفون عندها، بل ويجعلونها محطات أساسية لسيرته العلمية والعملية.

لكن شيء من التحليل العميق، والوقفة المطرولة، نستطيع الجزم بأن هذه العناصر والظروف لا تعدو كونها عوامل مساعدة، أما المحرك الأساسي للشخصية فهو وعيه وعمق تفكيره لما يجري حوله وما يتلقاه، فولا الاستعداد والرغبة الملحة والنزعية التطويرية والتجددية والنظرة

الشمولية والعصرية التي امتلكها العلامة منذ نعومة أظفاره، لم يكن لجميع تلك الظروف والبيئة والشخصيات أي أثر في شخصيته.

بل يمكننا القول بأن التفرد والتميز الشخصي هو الذي يصنع فارقاً لأنّ الشخصية، وهذا جليٌّ في المخرجات التعليمية سواء في الحوزة أو الجامعة. وقد تباين العوامل والظروف في توفير بيئة تعليمية محفزة، لكن من يصنع الذهنية هو رغبة الشخص نفسه واستعدادها ونوعية تفكيره وبراعته انطلاقه. وأن خصائص ذاتية اتسم بها العلامة، مثل: إعادة التفكير فيها أنتجه الماضيون، والتأمل العميق فيها يتلقاه الشخص، ووعي الإنسان واسع إدراكه ورؤاه للأمور والقضايا، وإشعال الروايا بالأسئلة عن الدور والموقع للمنظومات المؤسسية للمجتمعات، والبحث عن الحلقات المفقودة، والدخول في معرك البناء والتطور، ... وغيرها، هو ما ميز تجربة العلامة الفضلي، وجعله رقماً مهماً في تاريخ الحوزة العلمية.

نقول ذلك؛ لأن هناك سؤالاً يحثنا على تحليل هذا الأمر بهذه الصورة، وهو: لماذا لم تصنع في ظل هذه الظروف التي عاشها العلامة الفضلي أو المشابهة لها المئات بل الآلاف من التجارب المميزة؟

وسنطرح التساؤل بطريقة أخرى: لماذا تفرد الفضلي وأشباهه من النوادر والقلة بحمل هذه التجربة عن غيره من المئات والآلاف من الطلبة الحوزويين أو الجامعيين؟

وهذا ما نجده في مسيرة العلامة الفضلي، فمحطاته التي يقسمها الباحثون نجد أنها تعكس تجربته، حيث هو الذي يكتز الظروف

ويقتص الفرص ويبادر في صنع المكوّن الذي به سيني تجربته لبنة لبنة، فهو لا يخضع شخصيته ويتهامى بها إلى درجة أنه يكون انعكاساً للتجربة الحوزوية فقط، وكأنه يقاد لتجربة، ويكون ضمن سياق جعي لا يعي موقعه، ولا يدرى ماذا يريد وماذا يقدم وأين هو؟ بل هو واعٍ لدوره، يعكس في مرآته ما ينسجم مع تفكيره ومستواه الوعي، حيث نجد هذا الأمر واضحاً في حواراته وأحاديثه ومحاضراته وكتبه.

### □ المكوّن الثلاثي للطالب الحوزوي

يظن البعض بأن التلقي العلمي من الحوزة هو لوحده كافٍ في صنع الطالب الحوزوي، لكن لدى العلامة الفضلي يبدو أن الأمر مختلف، فقد نقل السيد عبد الله الغريفي - في مهرجان تكريمه العلامة الفضلي، حينما أثار على الحضور سؤاله الذي سأله للعلامةين الصدر والفضلي، وكانت الإجابة على حد قول السيد متقاربيتين، وكان السؤال الذي سأله: كيف تكون نفسى طالباً حوزوياً؟ فكان ما قاله له العلامة الفضلي:

«لكي تكون نفسك طالباً حوزوياً، عليك بمجموعة مكونات:

١. المكوّن العلمي من خلال دروس الحوزة.
٢. المكوّن الثقافي والفكري، والذي قد لا تقدمه الحوزة فيجب أن تصنع لنفسك برنامجاً فكريّاً وثقيفياً لكى تصنع وعيّاً وثقافة في داخلك.
٣. المكوّن الروحي والأخلاقي والعملي ليكون نموذجاً للتقوى والورع».

وعبر هذه المقوله، نجد أن المكونين الثاني والثالث يحملان في داخلهما المكون الأول، بمعنى: أن المكون الأول لا يصنع من الشخصية شيئاً يذكر، إذا لم يرده الطالب الحوزوي بالثاني والثالث، والذي هو يعود للشخص نفسه الذي يبادر ويصنع الفرص والظروف والعوامل ليكون به شخصيته وتغيراته.

وهذه المكونات الثلاثة هي التي كونت لديه أرضية صلبة لبنيتها مشروعه المنهجي الحوزوي التجديدي، فلو لاها لم يكن لبنيتها مشروعه أي م Tanner وأي قوة. فاللتقي لو حده لا يصنع مشروعًا، بل يكون نسخة مكررة من أستاذه، ومن مواد حوزوية.

ولو عملنا مسحًا سريعاً للكتب المنهجية التي وضعها العلامة، سنلاحظ بقعة توفر هذه المكونات بالأخص الأول والثاني، لأنها مرتبطة بالمنهجية أكثر. ويمكن لنا أن نشير بشكل سريع إلى كتاب (خلاصة النطق) الذي كان خلاصة لكتاب النطق للعلامة المظفر، وإلى كتاب (مذكرة النطق) والذي اختلف عنه، حيث أضاف العلامة موضوع تاريخ العلم وموضوعات المنهج القديم وموضوع مناهج البحث العلمي وهو ما استجد طرحة في علم النطق، واستبعد مباحث، منها: مبحث الصناعات الخمس<sup>(١)</sup>.

---

(١) راجع: حوار حسين منصور الشيخ بعنوان (الدكتور الفضلي ومشروع تحرير نظام الدراسة الدينية) في كتاب العلامة الفضلي: حوارات في الدين والفنون واللغة، ص ٢٠١ - ٢٢٢.

## □ البدور الأولى لتكوين التجربة

لقد أدرك العلامة الفضلي في مرحلة مبكرة جدًا من مسيرته العلمية الكثير من مواطن الخلل والضعف في التعليم الحوزوي، فبدأت أولى تكوين بذراته عن طريق الملاحظة الدقيقة أثناء دراسته للمقررات الأولى للمبتدئين في الدراسات الحوزوية، وهذه الملاحظة استطاع أن يشخصها ويجدها لنا عبر عنصرين رئيسين، هما: (المنهج والجانب التربوي في التعليم الحوزوي)، فتمخضت عنده ملاحظات هنا وهناك، ثم حاول في إطار الحلول والبدائل أن يضع قدمه لبناء مشروع بدأ يرتسن في خاطره وهو للتو يدرس (مادة المنطق) أولى المواد الحوزوية، واستمر في الخطى إلى آخر عمره الشريف، والحسيله تقديم مكتبة متنوعة شاملة لمعظم العلوم الحوزوية، جمع فيها ميزات وخصائص جديدة في المنهج والمقررات.

فهو استشعر عمق المشكلة، فترجمت في ذهنه خطوات الحل بعدما أدرك أسبابها وبراعتها. وهو في هذا الإطار لم يرشق بسهام النقد الذاتي الكيان الحوزوي فقط، ولم يستجمع هجومه الشرس ضد هذا الكيان، ولم يتراجع بانهزامية وينقص على عقيبه، ولم يغطّ وجهه ويكمّل المسيرة العميماء، إنما أخذ يتأمل ويجول ليقذ نفسه وجبله والأجيال القادمة. وبدلًا من الاستغراف في دائرة الحالة النقدية، والخطاب النظري والتنظيري، والانسحاب من ساحة المعركة، كانت الشخصية والذهنية العلمية للعلامة أكبر من هذه الحدود، فقد قام برسم خطوات الحل والعلاج ليرسم صورة جديدة، ودخل بثقله وجهده لساحة الصراع، ودمج عناصر مفقودة في أروقة الحوزة لتناغم الحالة الذهنية للمتعلم

مع الحالة المعاصرة. يقول الشيخ متحدثاً عن المراحل الأولى لهذه المرحلة من حياته العلمية: «كنت أتأمل الآية القرآنية: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّا  
خَلَقْنَاكُمْ عَبْرَكُمْ وَأَنْكُمْ إِذَا لَا تُرْجَعُونَ﴾<sup>(١)</sup> التي يمكن اعتبارها قانوناً  
وستة إلهية، حيث تفيد الآية أن هناك خطأً وهدفاً يمشي نحوه الإنسان،  
ولا يوجد ما هو عبني في هذه الحياة، بل هناك ما يتواхاه الإنسان من  
حياته التي يعيشها (...). وهذا أمر جعلني أضع أمامي هذا السؤال في  
كل كتاب أدرسه، وكل موضوع وباب فيه، بحيث أضع نصب عيني  
الفائدة من دراسته وموضع هذه الفائدة داخل العلم وفي كل باب منه».   
ولا تكتفي التجربة عند هذا الحد، بل هي ناظرة للمستقبل الذي يتظر  
الطالب الحوزوي حينما يقول الشيخ متتماً لهذه الفكرة: «وهذه النقطة  
كانت مفقودة في المقررات القديمة، وللأسف إن هذا الأمر لا يزال قائماً  
(...). فطالب الحوزة يبدأ دراسته الحوزوية بغرض الدراسة، ولا تجد  
لديه هدفاً وراء ذلك، غير أن بعضهم يتخذها كأنها أمر وراثي، إذ يكون  
ابناً لأحد طلاب العلم، فيتبع والده ويرث عنه مسجده ودوره  
الاجتماعي من تزويج وتطليق ووضع وإرشاد تقليدين. من غير أن  
يدرك هؤلاء أن الهدف من الدراسة الحوزوية هو التبليغ، الأمر الذي  
يفتضي أن يعي كل طالب أهمية هذه النقطة والآليات الصحيحة لتحقيق  
هذا الهدف»<sup>(٢)</sup>.

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ١١٥.

(٢) قراءات في فكر العلامة الفضلي، إعداد/ فؤاد الفضلي، حوار/ حسين الشيخ  
مع الفضلي، ص ١٩٥-١٩٦.

فالمعادلة التي كانت تمحى على النهوض والحركة: أن الشتات والعيشية لا تولد إلا مثيلاتها، وأننا لكي نقدم نتائج منظمة ملموسة على أرض الواقع العلمي والثقافي والاجتماعي، فلا بدّ من إيجاد وحدة نظامية للمدخلات. وأن يسعى الطالب في تكوين الバاعث والمهدف من عملية التعلم والدرس؛ لتتكامل عملية التفاعل بين الحوزة والمجتمع والمادة العلمية.

وقد اعتبر العلامة الفضلي أن (التبلیغ) هو الهدف الذي ينبغي أن يحمله المتسب للحوزة العلمية. وقد حدد العلامة في مقال له بعنوان (التبلیغ الإسلامي)<sup>(١)</sup> المجالات الفكرية التي ينطلق فيها المبلغ الديني:

١. «العقيدة الإسلامية».
٢. «التشريع الإسلامي».
٣. «الأخلاق الإسلامية»<sup>(٢)</sup>.

وذكر وسائل لإيصال هذه المجالات، هي: «التعليم. التربية. الإعلام»<sup>(٣)</sup>. كما اعتبر أن التبلیغ الإسلامي امتداد للظاهرة النبوية الدينية بقوله: «التبلیغ الإسلامي هو امتداد لظاهرة التبلیغ الديني، تلك الظاهرة التي انوجدت مع بعثة أول نبي حمله الله تعالى مسؤولية تبلیغ الشريعة الإلهية إلى الناس الذين بعث إليهم»<sup>(٤)</sup>. وقد اعتبر أن الحوزة

---

(١) مجلة المنهاج، العدد ٢٢، عام ٢٠٠١-١٤٢٢م، ص ٦٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ٦٦.

(٣) المصدر نفسه، ص ٦٦.

(٤) المصدر نفسه، ص ٦٧.

العلمية من أهم مؤسسات التبليغ في المجتمع الإسلامي، حينما عدد  
أهم مؤسسات التبليغ.

وهنا يعيد العلامة نصاب الأمور كما يريد المشروع لها، فـ «العلماء  
ورثة الأنبياء»، والوسائل والأهداف التي أشارت لها النصوص  
الشرعية، ينبغي أن يقتفي أثراها طالب العلم، ليقوم بالدور الرسالي على  
أكمل وجه. وبصورة موجزة: كان هناك عنصران مهمان يريد العلامة  
أن يوجدما، هما:

١. عنصر المنهجية والتنظيم في الناحية التربوية التعليمية.

٢. عنصر المدفية والرسالية في الناحية الاجتماعية.

إنه يريد مزج الذهنية العلمية بالواقع، ويريد تفاعلاً لطالب العلم،  
ويريد أن يتتوفر المنهج الدراسي على عناصر ليصنع الطالب دائرة تجمعه  
بالمنهج والواقع.

## □ على خطى المنهجية

لم ينسب العلامة لنفسه الريادة في سبيل هذا المشروع، فهو دائمًا  
تجده وفياً لمن قبله، يقتفي آثارهم، ويدعى لنفسه أنه ما هو إلا مكمل  
للمسيرة، وهذا الأمر له باعثان: أخلاقي، وعلمي.

فالدافع الأخلاقي هو: نكرانه لذاته وسمو تواضعه، وأنه لا يرى  
لنفسه شيئاً يُذكر قِبَل الشخصيات الإصلاحية الإسلامية والتي قدمت  
خدمات للمذهب والحوزوة، وأنه يجد نفسه وفياً لدینه وحوزته  
وأساتذته الذين اغترف منهم تلمذة وقراءةً واطلاعاً. فقد كان يشير في

أكثر من مناسبة في حواراته ودراساته للعلماء: المظفر والصدر والحكيم وزين الدين ... وغيرهم من تلمذ على يدهم في هذا المجال.

وقد تبين للمتابع عمق ملاحظاته العلمية ومنهجه الدقيق حينما تناول بالدراسة مناهج الصدر والحكيم والمظفر في أكثر من دراسة، وقدرته على استنطاق مفردة المنهج للمدونات الأصولية والفقهية، لاستخلاص الأسس العامة لطرق البحث والاستدلال. إضافة إلى استنطاقه للامح الحركية والإصلاح والإحياء في حياة بعض العلماء الذين تناولهم في دراسات ومقالات ومحاضرات كثيرة<sup>(١)</sup>، ونلاحظ ذلك جلياً في مادة (أصول الفقه)، حيث نزعة التطوير والتتجدد تبدو في أوجها وأوسعها، فقد خصص لهذه المادة أربع مقررات علمية، هي: (مبادئ أصول الفقه)، و(قواعد فهم النص الشرعي)، و(دروس في أصول فقه الإمامية)، و(أصول البحث)، إضافة إلى الدراسات العلمية: (علم الأصول ودور الشهيد الصدر)، و(منهج دراسة النص لدى الحكيم)، و(منهج البحرياني في الخدائق الناضرة) ... وغيرها. وهي تنم عن ذهنية علمية منهجه دقيقة في رصد المنهج لدى المتبع الأصولي والفقهي لعلمائنا، وهذا العلم هو عماد الدراسات العليا (البحث الخارج) في حوزاتنا العلمية.

إضافة إلى ذلك، قام بنفسه تطبيقاً بخوض هذا المنهج الذي أسس له ونظر له بخطوات علمية، عبر دراساته الفقهية المعروفة، مما أكسب التجربة متانة علمية وعمقاً أصيلاً وواقعية مدروسة وبعداً عملياً

---

(١) وخير مثال لذلك كتابه ذو الجزأين (هكذا قرأتم).

مفصلاً لمن يريد أن يخطو هذا المسار، ولذلك تكتمل منظومة التجربة المنهجية في بعديها النظري والتطبيقي وبجميع المستويات.

### □ المنهجية والانفتاح على الواقع المعاصر

إن الارتباط بالواقع عند العلامة والذي سعى له كعنصر أساسي للمنهج والمقرر، يعني الانفتاح على كل مفرزات الواقع، لتصقل ذهنية الطالب علمياً واجتماعياً، وهو في الوقت ذاته يريد من المنهج الحوزوي أن يتتجاوز ذلك الانغلاق الذي عزله عن الواقع مئات السنين. فانظره يتحدث عن تجارب حديثة للتجديد الحوزوي في حوار له، وقد كان المحاور يسأل العلامة حول تجربتي الشيخ الأيررواني والسبحاني، فكان مما قاله: «التفكير في التجديد – بحد ذاته – أمر جيد، وأن يُقدم الإنسانُ على تحقيق هذا الأمر ويحاول، فهذه خطوة ثانية إلى الأمام. ولكن الأمر الذي أرى أن كثيرين يفتقدونه هو الاقتصار على ما لديهم في الحوزة، بينما من المفترض أن ينفتحوا على المؤسسات الأخرى والمؤلفين الآخرين من الاتجاهات الأخرى ويرون ما لديهم ويعاولون أن يستفيدوا منهم، لأن الطريقة الحوزوية هي طريقة موروثة لأكثر من ٥٠٠ عام، بينما نحن نحتاج الآن إلى الطرق والأساليب الحديثة للتعبير، ولذلك فإن أهم ما يؤخذ على هذه التجارب أنها تفتقد الاستفادة من التجارب الحديثة في تطوير المناهج الحوزوية»<sup>(١)</sup>. وفي حوار له أشار بصورة سريعة إلى مواصفات مصمم المنهج، وهي: الموهبة، والاطلاع

---

(١) حوارات في الدين والفكر واللغة، مصدر سابق، ص ٢١٥

على المناهج الأخرى، والنظرة للمستقبل<sup>(١)</sup>. فالاستعداد والاطلاع الواسع والنظرة المستقبلية لا شك أنها تفتح الرؤية للمصمم ليضع في الحسبان احتياجات الأجيال ومتطلبات المعاصرة.

#### □ اللغة العلمية المنفلقة

من الأشياء التي لاحظها العلامة، وهي تشكل عائقاً علمياً للطالب الحوزوي في فهم الأفكار والمعاني المبثوثة في الكتب الحوزوية: انغلاق العبارة في الكتاب الحوزوي، بحيث لا تُفكَّر هذه العقدة إلا بأستاذ يقوم بشرح العبارة. وقد اعتبر العلامة هذه الظاهرة في الأسلوب التعبيري للكتب الحوزوية من المأخذ المنهجية، وقد فصل القول فيها في مقال متخصص له متحدثاً عن تجربته في التعليم الحوزوي، وقد حدد ملاحظتين، هما<sup>(٢)</sup>:

١. الجمود على المواد العلمية الموروثة وعدم إضافة مواد لها دخل مباشر يساعد على التخصص في الفقه، مثل: علم الرجال والحديث، ودراسة الحياة الاجتماعية لل المسلمين في عصر التشريع ... وغيرها. مما أثر في خلق حالة جمود على المقررات والكتب العلمية.

٢. الجمود على طريقة شرح العبارة في التدريس، وشرح المتون والتوقف على ما فيها من موضوعات.

(١) انظر: حوار حسين منصور الشیخ في تحديث نظام الدراسة الدينية، مصدر سابق.

(٢) انظر مجلة الجامعة الإسلامية، العدد ١٤١٤ م / ١٩٩٤ هـ، ص ١٩٣. مقال له بعنوان: تجربتي مع التعليم الحوزوي.

وهاتان المؤاخذتان أو الملاحظتان كانتا في عناية العلامة أثناء  
مشروعه المنهجي.

فالانغلاق والجمود الذي لاحظه العلامة جلياً في أروقة الحوزة  
كانت له عدة زوايا وجوانب، عبر حدوده الزمانية والعلمية، ونوع  
أسلوب كتابها. فالعلامة الفضلي لاحظ القصور الداخلي والخارجي  
للمنهج في أدائه وأثره على الحصيلة العلمية للطالب.

#### □ الحلول الجذرية

وبعد أن بين الملاحظتين في مقاله، أخذ يرصد اقتراحات وحلول  
لعلاج الحالة المرضية، من قبيل:

١. وضع شروط للقبول، منها: حصول الطالب على شهادة الثانوية.
٢. إعادة كتابة المواد العلمية المقررة في المقدمات والسطوح بأسلوب  
علمي وشامل يربط الموضوعات بعضها وفق منهج تربوي.
٣. الاقتصار في البرنامج الدراسي على ما له علاقة بتخصص الطالب  
الفقيهي، وإضافة علوم أخرى، كعلم الرجال والحديث والمعاملات  
المالية وأصول البحث العلمي والأديان والمذاهب المعاصرة والفقه  
المقارن والقانون والنظم المعاصرة وتاريخ التشريع.

وهذه الحلول المطروحة، لا شك أنها تعد للطالب أرضية مناسبة  
لحصيلة أكثر عمقاً وأوسع أثراً ليكون ذا ذهنية حاضرة تتفاعل مع  
الواقع والأراء، وتحظى بعمق وشخص واسع. فقد ركزت الحلول كما  
مر بنا على:

١. النظر لجهة الطالب في تهيئته ووضع شروط لانتسابه للحوزة.

٢. اعتماد الأسلوب العلمي التربوي المتدرج.
  ٣. الشمولية والتخصص.
  ٤. إضافة علوم تغطي الحلقة المفقودة في متطلبات الدرس الشرعي.
- فقد وضع العلامة في اعتباره عنصر الطالب والأسلوب والمادة العلمية، وهذه هي عناصر العملية التعليمية فيها لو أضفنا لها عنصر الأستاذ.

فعلى سبيل المثال في مادتي: (أصول البحث، وتاريخ التشريع الإسلامي)، واللتين تفرد العلامة بقصب السبق في التصنيف لهما والحاقدانها بمقررات الدرس الشرعي) نلاحظ جلياً إشارة العلامة للنقص الذي تعاني منه الحوزة في موادها. يقول العلامة في مقدمة مقرر (أصول البحث): «إذا كان لي أن أذكر ما مررت به من صعوبة في إعداد هذا المقرر، فهي عدم وجود تجارب سابقة في هذا المجال أخذ منها العضيد المساعد، فكل ما كتب في (منهج البحث العلمي) - مما اطلعت عليه - يقتصر ويركز على (المنهج التجاري)، مغفلأ (المنهج التقلي) و (المنهج العقلي) وما عهاد الدراسات الإسلامية في علمي الفقه وأصوله<sup>(١)</sup>. وهو ما راح يؤسس له مقدمتي الكتاب المطولتين في إدخال المنهج المعرفي الإسلامي الغيب في الدراسات الأكاديمية الجامعية، والمتمثل في الوحي والنص القرآني والنبوى وأهل البيت عليهم السلام.

وقد أصل هذه العناصر مكملاً بذلك الحلقة المفقودة.

أما في مقرر (تاريخ التشريع الإسلامي)، فقد ذكر أن العنصر

---

(١) أصول البحث، ص ٦.

المفقود في الدراسات الإسلامية بالنسبة لمادة الفقه، وهو إهمال الفقه الإمامي من قبل المعنيين في هذا المجال، بالرغم مما اتسم لدى المذهب الإمامي من فتح باب الاجتهاد والنشاط المستمر للحو زات، مما حدا بالعلامة اعتبار «أن هذه الثروة العلمية للفقه الإسلامي وما يدور في فلكه من تفسير ورجال وأصول وما إليها لحربي ألا يهمل تاريخه، ليفاد منه علمياً، ولبيان تقديرًا للجهود الخيرة التي ساهمت فيه»<sup>(١)</sup>.

وقد حدد المجال الذي تناوله في هذا المقرر، وهو تاريخ الفقه الإسلامي الإمامي، وذكر المبرر النهجي لذلك بقوله: « لأن تاريخ الفقه الإمامي - فيها وقفت عليه - يشكل الحلقة المفقودة في تاريخ الشرع الإسلامي، فقد ألفت عشرات الكتب في تاريخ فقه المذاهب الأربعة (... ) ولم يقدر للفقه الإمامي أن يفرد بكتاب مستقل...»<sup>(٢)</sup>.

هذا مع العلم أن العلامة لم يحالله الحظ في تأليف مقررات في الأديان والمذاهب والقانون والنظم. لكن بنظرة استقرائية يستطيع كل باحث أن يجمع الخطوط العامة المنهجية لهذه المواد ومتى لاتها لإكمال المسيرة وفق المنهج الذي أسس له في المواد التي وفق للتالييف فيها. إضافة إلى ما كان يشير له من أفكار من بحوثه ومحواراته وكتبه حول هذه المواد التي لم يوفق لها، وهي تمثل أفكار ناضجة، ومقدمات من الممكن للباحثين والمصممين للمناهج دراستها وفق خطة منهجية لإكمال المسيرة التي بدأها العلامة.

---

(١) تاريخ التشريع الإسلامي، ص ٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ٦.

والغرض من ذلك كله تكوين ذهنية علمية للطالب لينطلق إلى البحث والحركة الثقافي والاجتماعي والتخصسي، ويكون واعياً لمتطلبات عصره. لذلك كان العلامة واعياً لمسألة مهمة في ناحية المهدف من التحاق الطالب للدراسة، وهو تنمية ذهن الطالب للبحث والعمل التبلغي، كما مرّ بنا. أما الاكتفاء بالتلقي فقط من أستاذ، أو الانحصار في مقرر أو مقررين، فهذا لا يبني ولا يحقق المطلوب والمأمول، وهذا ما دعاه للاحاق العنصر التربوي لعملية التجديد بالإضافة لنهاجية المادة العلمية، قال: «وما يكون الذهنية العلمية لدى الطالب ليس العلم والمادة العلمية فيه، إنما التربية والمارسة، فالمدرس يستطيع أن يعلم الطالب فقها وأصولاً وعلم رجال وعلم حديث، ولكن هذه العلوم - منفردة - لا تكون داخل الحوزة المجتهد أو الفقيه، دون أن يبارس هذه العلوم أثناء الدراسة من خلال كتابة البحث - مثلاً - أو من خلال الأسئلة التطبيقية في كل مادة منها»<sup>(١)</sup>.

أخيراً: إن الشرح الذي كشفته العين المجهرية للشيخ كان واسعاً، والجرح الذي تلمسته يده كان عميقاً، مما يشير إلى أن خطط العلاج والبدائل والحلول لا بد أن تكون أقوى من الحالة المرضية لرسم مسار الخلاص والنهوض، وهذا مما يرفع من شأن مشروعه العلمي الذي امتد لأكثر من ٥٠ سنة، ويضع العلامة في مصاف الرواد والشخصيات الإصلاحية والمجددة في قرتنا الحالي. ويجعله الابن البار للحوزة العلمية

---

(١) حوار حسين منصور الشيخ، مصدر سابق، ص ٢١٩.

والتي وفي لها بجهده وأخلص لها بعمله، وطور من أدائها بإدخال عناصر هي بحاجة لها لتكون المخرجات في كفاءة عالية في دراساتها تناقض ما هو موجود في أروقة الجامعات والمعاهد العلمية في مجتمعاتنا المعاصرة؛ ليقدم الإسلام والدين والفقه بطريقة معاصرة، وهي مسؤولية كبيرة تقع على عاتق العلماء في كل عصر.

لقد كانت هذه جولة سريعة جداً في جذور المنهجية لتجربة العلامة الفضلي الرائدة، أرجو أنني وفقت لها؛ وكيف لغير صغيرة أن تصف بحرًا في اتساعه وعمقه وامتداده؟!

عيسي مبارك محمد الريبيح

الأحساء - الطرف

١٤٣٤ هـ





## المحتويات

---

عبدالهادي الفضلي .. بين الضوء والظل	٧
مقدمة	١١
المesson الأول: الشيخ الفضلي الشخصية الاستيعابية	١٥
افتتاحية الندوة	١٧
الشيخ الفضلي .. الشخصية الاستيعابية	١٩
مداخلات الجمهور	٣٣
المesson الثاني: العلامة الفضلي في حاضرة البناء الصدرى	٤٣
افتتاحية الندوة	٤٥
العلامة الفضلي في حاضرة البناء الصدرى	٤٩
المesson الثالث: الإحياء الإسلامي والقرآنات عند الشيخ الفضلي	١١٥
افتتاحية الندوة	١١٧
الإحياء الإسلامي في كتابات الدكتور الفضلي	١٢١
من مداخلات الجمهور	١٢٩

جهود الدكتور الفضلي في الدراسات القرآنية .....	١٣٣
الموسم الرابع: التجديد والتعددية: فضل الله والفضلي نموذجاً.....	١٤٣
افتتاحية الندوة.....	١٤٥
التجديد والتعددية: فضل الله والفضلي أنموذجًا.....	١٤٧
المدخلات.....	١٧٩
الموسم الخامس: قراءات في فكر العلامة الفضلي وجهوده العلمية .	٢٠٥
افتتاحية الندوة.....	٢٠٧
الأراء النحوية عند الفضلي: «دراسات في الإعراب» نموذجاً...	٢٠٩
ملخص وتعليق على دراسة: «الصلح مع إسرائيل» .....	٢١٥
قراءة وعرض لكتاب «القراءات القرآنية: تاريخ وتعريف» .....	٢٢٣
أدب التقديم.. الدكتور الفضلي نموذجاً.....	٢٣٣
جهود الشيخ الدكتور الفضلي في دراسة العربية وتدريسها .....	٢٤٧
اللاسجالية في كتابات الدكتور الفضلي ومحاضراته .....	٢٦١
جنور التجربة المنهجية عند العلامة الفضلي .....	٢٦٩
المحتويات .....	٢٨٧